



تاريخ اسلامى

دكتور

مدحت محمد عبد الحارث
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

كلية التربية

قسم الجغرافيا

الفرقة الثانية

العام الجامعى ٢٠٢٣ / ٢٠٢٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

سورة المجادلة - الآية ١١

تمهيد:

العرب (التسمية والموقع)

تعددت الآراء حول لفظة عرب^(١) واتفق العُض على أن كلمة عرب تطلق على الناطقين للغة العربية من بدو وحضر في شبه الجزيرة العربية، ولكلمة عرب العديد من المعانى اللغوية، فابن فارس^(٢) يذكر بأن (عَرَب) العَيْنُ وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ أَسْوَءُ ثَلَاثَةٌ: أَحَدُهَا الْإِنَابَةُ وَالْإِفْصَاحُ، وَالْآخَرُ النَّشَاطُ وَطِيبُ النَّفْسِ، وَالثَّالِثُ فَسَادٌ فِي جِسْمٍ أَوْ عَضْوٍ ، فَأَلَوَّلُ قَوْلُهُمْ: أَعْرَبَ الرَّجُلُ عَنْ نَفْسِهِ، إِذَا بَيَّنَّ

(١) تضاربت آراء المفسرين والمؤرخين واللغويين حول لفظ عرب، ولم يتفقوا على رأي واحد بشأنها، وتنوعت التفسيرات إلى تاريخية وأسطورية وتخمينية، لمزيد من التفاصيل حول لفظة عرب أنظر : جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٤ ، دار الساقى ١٤٢٢ هـ، ج ١، ص ١٣ - ٣٥؛ محمد بيومى مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم، ط٢، : دار المعرفة الجامعية، ص ١٢١ - ١٣٦.

(٢) **ابن فارس** : أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازيّ ، يُكنّى بأبي الحسين، ويُلقَّب بابن فارس وُلِدَ في قزوين عام ٣٢٩ هجرية. وكرَّس حياته في الترحال، وطَلَبَ العِلْمَ، والتعليم هجرية أقام في همدان مدة طويلة، ومنها تنقَّلَ بين بغداد، ومكَّة المُكرَّمة، ومدينة الريّ التي رحل إليها بدعوة فخر الدولة البويهى إلى الري ليؤدب ابنه مجد الدولة أبا طالب، فأقام بها ، حيث التقى فيها الوزير صاحب بن عبّاد. وتلمذ ابن فارس خلال ترحاله على يد كبار شيوخ، وعلماء عصره، أمثال: والده فارس بن زكريا، وأبي الحسن القَطَّان، وابن العميد، وأبي سعيد السيرافيّ، وغيرهم. ويُذكر أنّ هناك من تتلمذَ على يديه من طُلَّاب العِلْم، ومنهم: بديع الزمان الهمدانيّ، وكان أحمد بن فارس متوقد الذكاء، اتصف بالكرم وحسن الخلق، وكان عابداً لله، يَنصِفُ بالوقار، والكرَم، والتواضع، ، ومن مؤلفاته معجم المجمل. معجم المقاييس. جامع التأويل في تفسير القرآن. كتاب مُتخَيَّر الألفاظ. كتاب دارات العرب. كتاب كفاية المُتعلِّمين في اختلاف النحويين. كتاب الإنباع والمزاوجة. كتاب غريب إعراب القرآن. كتاب تفسير أسماء النبيّ -عليه السلام-. كتاب ذخائر الكلمات. كتاب العمّ والخال. شرح رسالة الزهريّ إلى عبدالمكّ بن مروان. كتاب خلق الإنسان. إلى أن تُوقِّي في مدينة الريّ في شهر صفر من عام ٣٩٥. أحمد بن فارس : صاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، محمد علي بيضون ١٤١٨ هـ، مقدمة الناشر، ص ٥.

وَأَوْضَحَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الثَّيْبُ يُعْرَبُ عَنْهَا لِسَانُهَا، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْمَرُ فِي نَفْسِهَا» و "الإبانة والإفصاح" هو المعنى الأقرب لمفهوم "العرب" عند ابن فارس

فيصل من هذا إلى عدم استبعاد تسمية العرب بهذا الاسم كونهم أهل الفصاحة والبلاغة، فأما الأمة التي تسمى العرب فليس ببعيد أن تكون سميت عربا من هذا القياس لأن لسانها أعرب الألسنة، وبيانها أجود البيان، ومما يوضح هذا الحديث قول العرب : ما بها عريب ، أي ما بها أحد، كأنهم يريدون : ما بها أنيس يعرب عن نفسه (١).

والعرب هم : " جيل من الناس معروف خلافا للعجم " فهم يجعلون العرب مقابل العجم التي تعني عندهم الإبهام وعدم الفصاحة، فيؤكدون على أن المرجع الأساسي لمادة "عرب" هو "الإبانة والإفصاح" (٢) .

"اختلف الناس في العرب لم سموا عرباً لعدة فرضيات فقال بعضهم:

- لأن العرب أهل بيان وفصاحة، واسم العرب مشتق من الإعراب وهو الإبانة، فيقال: أعرب الرجل عن ضميره إذا أبان عنه.
- أو من كلمة "عرب" العبرانية أي أرض الغروب والظلام، والعبرانيون لا يميزون في الصورة بين العين والغين، أو من "عرب" العبرانية بمعنى الخلط والمزج لكونهم شعباً ممزوجاً من نسل قحطان وإسماعيل ومديان ومؤاب وعمون وعملاق وغيرهم .

(١) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ، ج٤، ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٢) جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١٦، ص ١٧٨ - ١٨٠.

- أو سموا كذلك حين ارتحالهم عن الوطن الأصلي غربًا، فلفظة "عرب بمعنى غرب" لكنها سامية .
- وقيل : أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب: "يعرب بن قحطان"، وهو أبو اليمن كلهم، وهم العرب العاربة. ونشأ إسماعيل بن إبراهيم معهم فتكلم بلسانهم فهو وأولاده العرب المستعربة.
- وقيل: إن أولاد إسماعيل نشأوا "بعربة" وهي بلد من تهامة؛ فنسبوا إلى بلدهم إلى أن قال: وكل من سكن بلاد العرب وجزيرتها، أو نطق بلسان أهلها فهم عرب، يمنهم ومعدهم" قال الأزهري: "إنهم سموا عربًا باسم بلدهم العريات." (١).
- ويرى البعض ان لفظة عرب مشتقة من الكلمة العبرية (أرابا) ومعناها الارض الداكنة أو المغطاة بالكأ ، وهذا المعنى الأخير يشير الى حالة هؤلاء القوم الاجتماعية القائمة على التنقل والسعي الى موارد العشب. وذكر البعض الاخر ان اللفظة مشتقة من الكلمة العبرية ، أرب ، وتعني الحرية وعدم الخضوع لنظام ما، بينما قال آخرون ان هذه اللفظة ذات صلة باللفظة العبرية ، عابار ، بمعنى التنقل والتحرك من موضع الى اخر (٢).

فرق اللغويون بين العربي والأعرابي ، فالعرب هم أهل الأمصار، والأعراب منهم سكان البادية وأهل النجبة وارتياذ الكأ وتتبع مساقط الغيث، فمن

(١) أحمد رضا : معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة - بيروت ١٣٧٧ هـ ، ج ١ ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) سالم: دراسات ص ٧٦ .

نزل البادية أو جاور البادية وظعن بظعنهم وانتوى بانتوائهم فهم أعراب، ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية مما ينتمي إلى العرب فهم عرب وإن لم يكونوا فصحاء (١) .

ظهر كلمة "عرب" غير معروف تاريخيا على وجه الدقة فالمستشرقون وعلماء التوراة المحدثون؛ فقد تتبعوا تأريخ الكلمة، وتتبعوا معناها في اللغات السامية، وبحثوا عنها في الكتابات الجاهلية وفي كتابات الآشوريين فوجدوا لفظه "عرب" قد ظهرت لأول مرة في التاريخ في القرن التاسع عشر قبل الميلاد في احد الوثائق الاشورية للملك شلمنصر الثالث ملك اشور (٨٥٣ ق. م) ووردت في الكتابات البابلية جملة "ماتوربي" "Matu 'matu a-ra-bi" "arabai"، ومعنى "ماتو" "متو" أرض، فيكون المعنى "أرض عربي"، أي "أرض العرب"، أو "بلاد العرب"، أو "العربية"، أو "بلاد الأعراب" بتعبير أصدق وأصح، ثم اخذت لفظه عرب تتردد منذ ذلك الوقت في الوثائق الاشورية والبابلية في صيغ متعددة منها عربي Aribi، وعربي Urbi، وعربي Arbi. ثم ظهرت لفظه عربية Arbaya للمرة الاولى في النصوص الفارسية المكتوبة بالأخمينية عام ٥٣٠ ق.م، وقد جاءت بمعنى البادية الفاصلة بين العراق والشام بما فيها شبه جزيرة سيناء (٢) .

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر: إسماعيل بن حماد، الصحاح، ج ١/ ١٧٨، والأزهري، محمد، تهذيب اللغة ج ٢/ ٣٦٠، مادة (عرب)، وانظر كذلك الألوسي، ١٧ انظر: الجوهري، يراجع.
(٢) لمزيد من التفاصيل أنظر: جواد علي: المفصل، ج ١، ص ١٦- ٢٤؛ صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب ص ١٥؛ جرجي زيدان: العرب قبل الاسلام ص ٤٣.

طبقات العرب :

وتقسيم العرب إلى طبقات -وذلك من ناحية القدم والتقدم في العربية- هو تقسيم لا نجد له ذكرًا لا في التوراة أو الموارد اليهودية الأخرى ولا في الموارد اليونانية أو اللاتينية، أو السريانية. ويظهر أنه تقسيم عربي خالص، نشأ من الجمع بين العرب الذين ذكر أنهم بادوا قبل الإسلام، فلم تبقى منهم غير ذكريات، وبين العرب الباقين، وهم إما من عدنان، وإما من قحطان^(١)، وقد قسم المؤرخون (العرب) إلى ثلاثة أقسام بائدة وعارية ومستعربة: ^(٢)

- ١- العرب البائدة .
- ٢- العرب العارية .
- ٣- العرب المستعربة .

أولاً: العرب البائدة :

يقصد بالعرب البائدة الشعوب العربية القديمة التي سكنت جزيرة العرب، ثم هلكت واندثرت بسبب كفرهم بالله سبحانه وطغيانهم فأرسل عليهم العذاب، ومنهم :

عاد : تعتبر أقدم العرب البائدة وكانت منازلهم في الأحقاف، بين اليمن وعمان إلى حضرموت بالأحقاف، فكانوا جبارين طوال القامة، وأرسل الله إليهم

(١) جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٢٩٥.

(٢) أبو الفداء إسماعيل : المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة

(د.ت)، ج ١، ص ٧٣ .

سيدنا هود، فكذبوه، وقالوا: من أشد منا قوة! ولم يؤمن بهود منهم إلا قليل (١)، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: (**وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ**) (٢) وأن الله سبحانه أهلكهم بالريح فقال سبحانه (**وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ صِرَاصِرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**) (٣)

ثمود : قوم سيدنا صالح عليه السلام ، ويؤكد ابن خلدون ان منازل ثمود كانت بالحجر ووادى القرى فيما بين الحجاز والشام (٤) وبيوتهم منحوتة في الصخر بأبواب صغار وكانوا يعبدون الأصنام عاث قوم ثمود في الارض فسادا، ولما سار النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى تبوك أتى على قرية ثمود، فقال لأصحابه: « **لَا يَدْخُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْقَرْيَةَ وَلَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا، وَأَرَاهُمْ مُرْتَفَى الْفَصِيلِ فِي الْجَبَلِ، وَأَرَاهُمْ الْفَجَّ الَّذِي كَانَتْ النَّاقَةُ تَرِدُ مِنْهُ الْمَاءَ** » (٥) ، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم قال تعالى: (**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا**

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ١٤١٧ هـ، ج ١، ص ٧٩- ٨١؛ ابن خلدون : العبر ج ٢ ص ١٩- ، جواد علي : المفصل ج ١ ص ٣٠٥

(٢) سورة الأعراف : الآية (٦٩).

(٣) سورة الحاقة : الأيتين (٦-٧).

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، ط ٢، دار التراث - بيروت، ١٣٨٧ هـ، ج ١، ص ٢٠٤؛ ابن خلدون : العبر، ج ٢، ص ٤١؛ عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط ٧، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤ هـ، ج ١، ص ١٥٢.

(٥) المقدسى : البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد (د.ت)، ج ٣، ص ٣٧؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٨٢-٨٥.

المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٤٢ .

فِي دِيَارِهِمْ جَانِمِينَ* كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا ۗ إِلَّا إِن تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا
لِّتَمُودَ (١) .

طلسم وجديس : وكانت مساكن هاتين القبيلتين في اليمامة من جزيرة العرب ، ونزل بعضهم الحرم وبعضهم الشام ، ومنهم العماليق ، تفرقوا في البلاد ، واقامو فيها الى ان ابادهم العماليق (٢).

جرهم : فهم صنفان، جرهم الأولى: وكانوا على عهد عاد، فبادوا ودرست أخبارهم وهم من العرب البائدة. وأما جرهم الثانية: فهم من ولد جرهم بن قحطان. وكان جرهم أبا يعرب بن قحطان. فملك يعرب اليمن وملك أخوه جرهم الحجاز (٣)، واقاموا في مكة (٤) حتى قدم عليهم اسماعيل (عليه السلام) ، فصاهرهم ، واصبحت ولاية

(١) سورة هود الأيتين (٦٧-٦٨).

(٢) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة (ن.ت)، ج ١، ص ٩٩؛ المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ٤٢ ، ج ٢ ص ١٤٨ .

(٣) أبو الفداء: المختصر ، ج ١، ص ٧٣ .

(٤) **مكة** : وردت وتفسيرات كثيرة حول اسم مكة ، فقيل انما سميت كذلك لأنها بين جبلين مرتفعين، وقيل : (سميت مكة لأنها تمك الجبارين)، ويرى بعض العلماء ان اسم مكة مشتق من الكلمة البابلية (مكا) والتي تعني البيت وهو اسم الكعبة عند العرب، وعرفت مكة بأسماء أخرى منها الذي ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى : ((أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين))، وقيل ان المقصود ببكة موضع البيت اي الكعبة ومكة تعني القرية نفسها، وذكر ياقوت ايضا ان بكة هو موضع البيت ومكة الحرم كله، وكذلك سميت مكة بأمر القرى والحرم ، والبلد الامين ، والبيت العتيق، والبيت المحرم . النويري : نهاية الارب ، ج ١ ص ٣١٣ ؛ ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ، ص ١٨٢ ؛ فيليب حتي : تاريخ العرب ج ١ ، ص ٤٩٤ ؛ عبد العزيز سالم ، دراسات، ص ٤٩٤ .

البيت بيد جرحم حتى انتزعتها منهم خزاعة وكفانة فنزلوا بين مكة ويثرب ، وذكر البلاذري ان جرحم هلكت بعد ذلك بسبب وباء نفث بينهم فأفناهم ^(١).

ثانياً - العرب العاربة :

وهم عرب اليمن، من ولد قحطان، وينسبون الى قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفكشاد بن سام بن نوح ^(٢) ، وكانت موطنهم بلاد اليمن، وسموا بالعاربة لرسوخهم في العربية، ويعتبرهم المؤرخون اقدم سكان الجزيرة العربية ^(٣)

ثالثاً- العرب المستعربة :

عندما اسكن إبراهيم الخليل ابنه إسماعيل عليهما السلام مكة، كانت جرحم نازلين بالقرب من مكة، فاتصلوا بإسماعيل وتزوج منهم، وصار من ولد إسماعيل العرب المستعربة لأن أصل إسماعيل ولسانه كان عبرانياً، ولذلك قيل له ولولده فسموا بالعرب المستعربة ^(٤)، لأنهم انضموا إلى العرب العاربة، وأخذوا العربية منهم، ومنهم تعلم "إسماعيل" الجد الأكبر للعرب المستعربة العربية، فصار نسلهم من ثمَّ من العرب واندمجوا فيهم، وموطنهم الأول مكة على ما يستنبط من كلام الأخباريين، فيها تعلم "إسماعيل" العربية، وفيها ولد أولاده، فهي

(١) البلاذري : انساب الاشراف ، القاهرة ١٩٥٩ ، ج ١ ص ٧-٨ ؛ المسعودي: مروج الذهب ج ١ ص ٤٢

(٢) أبو الفداء: المختصر، ج ١، ص ٩٩؛ المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ٧١

(٣) مبروك نافع : عصر ما قبل الاسلام ص ٤١ ، علي ابراهيم حسن : التأريخ الاسلامي العام ص ٢٥ .

(٤) أبو الفداء: المختصر، ج ١، ص ٩٩، ج ٤، ص ٢٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، دار الفكر ١٤٠٧ هـ ، ج ١، ص ١٢١.

إذن المهد الأول للإسماعيليين^(١)، وفانتشر العدنانيون في مناطق واسعة من جزيرة العرب حتى وصلوا الى العراق والشام واختلطوا بالقبائل الاخرى وتفرقوا في كل مكان^(٢).

الموقع

شبه الجزيرة العربية هي موطن العرب قديما وهي تقع في الجنوب الغربي من قارة آسيا يحدها البحر الأحمر شرقاً (بحر القلزم) والمحيط الهندي جنوباً والخليج العربي غرباً المعروف عند اليونان باسم (الخليج الفارسي) وحدّها الشمالي خط وهمي يمتد في اصطلاح العلماء العرب من خليج العقبة حتى مصب شط العرب في الخليج العربي (بلاد الشام)، ويبلغ طولها من رأس الخليج العربي الى العقبة حوالي الف ميل، ومن البحر العربي الى اطراف الهلال الخصيب حوالي الف ومائتي ميل، وهي هضبة مرتفعة في الغرب تنحدر تدريجيا نحو الشرق حتى تصبح كالسهل عند سواحل الخليج العربي، وشبه الجزيرة العربية بلاد فسيحة، أرضها حرات (حجارة سوداء تكونت بفعل البراكين)، قسمت قديماً إلى خمسة أقسام هي تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن، ولهذا الموقع أهمية كبيرة إذ كانت شبه الجزيرة العربية حلقة الوصل بين الحضارات القديمة، على أن شبه جزيرة العرب ليست وحدها هي مسكن العرب، فقد كانت لهم مساكن فيما حولها، إلا أنها مساكن أكثرهم، وسكنوا كذلك في العراق من ضفة الفرات

(١) جواد علي: المفصل، ج ٢، ص ٢٦ .

(٢) جواد علي: المفصل ج ١ ص ٣٨١ .

الغربية، حتى بلغوا أطراف الشام، كما سكنوا في فلسطين وسيناء إلى ضفاف النيل الشرقية حتى أعلى الصعيد، وغلب عليهم طابع البداوة والترحال^(١).

قد وصف "ديودورس الصقلي" العرب بأنهم يعيشون الحرية، فيلتحفون السماء. وقد اختاروا الإقامة في أرضين لا أنهار فيها ولا عيون ماء، فلا يستطيع العدو المغامر الذي يريد الإيقاع بهم أن يجد له فيها مأوى. إنهم لا يزرعون حباً، ولا يغرسون شجراً، ولا يشربون خمرًا، ولا يبنون بيوتًا. ومن يخالف العرف يقتل. وهم يعتقدون بالإرادة الحرة، وبالحرية. وهو يشارك في ذلك رأي "هيرودوتس" الذي أشاد بحب العرب للحرية، وحفاظهم عليها ومقاومتهم لأية قوة تحاول استرقاقهم واستئلالهم؛ فالحرية عند العرب هي من أهم الصفات التي يتصف بها العرب في نظر الكتّبة اليونان واللاتين^(٢).

(١) محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم، ص ٨١ - ٨٢؛ محمد النوى : الحياة الدينية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة مؤمنون للدراسات والأبحاث، ٢٠١٥، ص ٤؛ صالح العلي - محاضرات في تاريخ العرب ص ١٣ .

(٢) جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ١، ص ٢٦٢.

الفصل الأول

حياة العرب فى الجزيرة العربية قبل الإسلام

- ١- الحياة السياسية
- ٢- الحياة الإقتصادية
- ٣- الحياة الدينية عند العرب.
- ٤- الحياة الاجتماعية.
- ٥- علوم ومعارف العرب قبل الإسلام

مدخلمصطلح الجاهلية

الجاهلية الذي أطلقه المؤرخون على الزمن قبل الدعوة الإسلامية مشتق من الجهل الذي هو نقيض الحلم لامن الجهل الذي هو نقيض العلم بل تعني السفة والغضب والانفة ، وهي الحال التي كانت عليها العرب قبل الاسلام (١) وقد أشار القران الكريم إلى ذلك في قوله تعالى **(وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ)** (٢)

ولقد عرف عصر ما قبل الاسلام في الجزيرة العربية " بالعصر الجاهلي ، ويرى بعض المؤرخين ان الجاهلية في المعنى الصحيح في ذلك العصر الذي لم يكن لبلاد العرب فيه ناموس وازع ، ولا نبي ملهم ولا كتاب منزل (٣) . اي ان عرب الجاهلية كانوا على جهل بالشرائع الحقة والاحكام العادلة والمثل العليا التي جاء بها الاسلام ، وعلى هذا الاساس يصح اطلاق لفظ الجاهلية هذا على العصر السابق لعصر النبي ﷺ : (٤) .

وقد ورد لفظ الجاهلية في القران الكريم في العديد من المواضع ، وكذلك في الحديث النبوي والشعر الجاهلي، قال تعالى في وفي سورة الاعراف : **(خُذْ**

(١) ابن منظور :لسان العرب ، ط بولاق ١٣٠٣ هـ ، ج ١٣ ص ١٣٦ ، الالوسي : بلوغ الارب ج ١ ص ١٧

(٢) سورة ال عمران : الآية رقم ١٥٤ .

(٣) فيليب حتي : تاريخ العرب ج ١ ص ١١٧

(٤) عبدالكريم زيدان : المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية - بغداد ١٩٦٩ ، حاشية ص ١٥

الْعَفْوُ وَأُمِرَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (١) ، وفي سورة المائدة (أَفْحَكُمُ
الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (٢) ، وسورة القصص
(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا
نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) (٣) وفي سورة الفتح : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ
حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) (٤). وجاء في الحديث النبوي ان رسول الله ﷺ: قال لأبي ذر
وقد تحير رجلا بأمه : (انك امرؤ فيك جاهلية) ، اي فيك روح الجاهلية ،
وقريب من هذا المعنى استعمالهم استجهله الشيء اي استخفه (٥) .

يروى لعنتره العبسي قوله:

وَإِذَا بُلِيتَ بِظَالِمٍ كُنْ ظَالِمًا ... وَإِذَا لَقِيتَ ذَوِي الْجَهَالَةِ فَاجْهَلِ (٦)

ورد في قول عمرو بن كلثوم التغلبي قوله :

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَجْهَلْ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا (٧)

فكلمة الجاهلية استخدمت منذ القدم للدلالة على السفة والطيش والحمق
، وقد اخذت تطلق على العصر القريب من الاسلام او بعبارة ادق على العصر

(١) سورة الأعراف : الآية رقم ١٩٩ .

(٢) سورة المائدة : الآية رقم ٥٠ .

(٣) سورة القصص : الآية رقم ٥٥ .

(٤) سورة الفتح : اية ٢٦

(٥) احمد امين : فجر الاسلام ص ٦٩ - ٧٠ .

(٦) المستعصي : الدر الفريد وبيت القصيد، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية،

بيروت - لبنان ١٤٣٦ هـ، ج ١٠، ص ٤٢ .

(٧) الأنباري : شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات، ط ٥، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار

المعارف، (د.ت)، ص ٤٢٦ .

السابق له مباشرة وكل ما كان فيه من وثنية وأخلاق قوامها الحمية والاختذ بالثأر
واقتراف ما حرمه الدين من الموبقات (١) .

(١) شوقي ضيف : العصر الجاهلي، ص ٣٩ .

الحياة السياسية للعرب قبل الإسلام:

مثلت القبيلة العربية وحدة النظام السياسي في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وتعصب العربي بأبناء القبيلة لأنه يجرى في عروقهم دم واحد هو دم أبيهم الذي سميت القبيلة باسمه والجميع كانوا يقدسون قبيلتهم لدرجة تفوق الميول والاختلاف الديني، فالفرد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقبيلته وينصرها ظالماً أو مظلوماً^(١)، و"العربي عصبي المزاج، سريع الغضب، يهيج للشيء التافه، ثم لا يقف في هياجه عند حد، وهو أشد هياجاً إذا جرحت كرامته، أو انتهكت حرمة قبيلته. وإذا احتاج، أسرع إلى السف، واحتكم إليه، حتى أفنتهم الحروب، وحتى صارت الحرب نظامهم المألوف وحياتهم اليومية المعتادة"^(٢).

فكان المجتمع العربي في الجاهلية مفككا سياسيا ينقسم الى وحدات متعددة قائمة بذاتها ، تمثلها القبائل المختلفة، فالعصبية في ذلك المجتمع قضت على فكرة الترابط السياسي، حتى في حالة الانتساب الى احدى المجموعتين الكبيرتين : العدنانية والقحطانية، وكان لكل قبيلة مجلس من شيوخها يرأسه رجل يتم اختياره من بين افراد القبيلة ، ويطلقون عليه عدة القاب منها : الرئيس والشيخ والامير والسيد^(٣)

شيخ القبيلة

كان شيخ القبيلة أو سيدها على قمة القبيلة ولقب أيضاً بالملك أو الأخير ويجب أن يتصف بالشجاعة والكرم وأن يكون أغنى أفراد القبيلة مالاً

(١) صالح العلي : محاضرات في تاريخ العرب ص ١٥٢ ، سالم : دراسات ص ٥٦٩ .

(٢) جواد على : المفصل، ج١، ص ٢٦٧ .

(٣) ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ج١ ط مصر ١٩٦٧ ص ٤٩ .

ويمتلك من التجارب والحكم التي منحها له خبرة الحياة وكبر السن ويجب أن يكون من أقوى فروع القبيلة نسباً ورجالاً حتى يزعم له الجميع، وكانت شخصيته تلعب دوراً هاماً في إظهار القبيلة بالقوة والضعف والشخصية القوية كانت تجعل القبيلة على رأس القبائل المجاورة كلها أما إذا كانت شخصيته ضعيفة فغالباً ما كانت تنهار القبيلة ويضعف شأنها، لم يكن منصب رئيس القبيلة وراثي لما قد يؤدي إليه ذلك من تقييد للحريات . وإذا حدث انتخاب الابن بعد ابيه فإنما يتم ذلك لتوفر شروط الرياسة فيه ^(١) إنما كانت تعطى لمن تتوفر فيه الشروط والمواصفات والسيادة، وقد ذكر الجاحظ في كتاب شرائع المروءة (ان العرب كانت تسود على اشياء اما مضر فتسود ذا رأيها ، واما ربيعة فمن اطعم الطعام ، واما اليمن فعلى النسب ، وكان اهل الجاهلية لا يسودون الا من تكاملت فيه ست خصال : السخاء والنجدة والصبر والحلم والتواضع والبيان) ^(٢) ومن مهام شيخ القبيلة الآتي:

١ - قيادة القبيلة في الحروب.

٢ - تقسيم الغنائم.

٣ - عقد المخالفات ومقابلة الوفود والضيافات.

٤ - دفع ديات القتلى.

٥ - الحكم في الزواج والطلاق.

(١) سالم : دراسات في تاريخ العرب ص ٥٧٢-٥٧٣ .

(٢) اللوسي : بلوغ الارب ج ٢ ص ١٨٧

٦- فض المنازعات والخصومات بإقامة الصلح بين المتنازعين من أفراد قبيلته أو مع القبائل الأخرى. (١) .

وكان لكل قبيلة مجلس من شيوخها يسمى (مجلس القبيلة) يعقد اجتماعاته بدار الندوة ، او المنتدي ، حيث تناقش الامور والمسائل التي تخص القبيلة، كإعلان الحرب، او اقرار السلم، وتتخذ القرارات بعد التشاور والمناقشات بالأغلبية (٢) ، وهذا المجلس يضم الآتى:

١- **رؤساء البطون والعشائر**: وكان يشاورهم فى مختلف الأمور الهامة التى تتعرض لها القبيلة.

٢- **الخطيب**: الذى يدافع ويتحدث باسم سيده.

٣- **الشاعر**: الذى يمدح أفراد قبيلته وتفتخر بانتصارتهم ويذم ويهجو القبائل المتصارعة مع قبيلته، وكان الشاعر المشهور يطلقون عليه الكامل.

٤- **الكاهن**: وهو الذى يلجئ إليه أفراد القبيلة فى الأمور الهامة لأنهم يعتقدون أنه تابعاً للجن.

٥- **العراف**: وهو من أهم الشخصيات التى تعرف الأمور بالقرائن والتجارب، ومعرفة مواطن الأمور والمستقبل.

(١) علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ٤٨١-٤٨٢؛ جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ١ ص ٣٧٢.

(٢) صالح العلي : محاضرات في تاريخ العرب ص ١٥٥ ، وعلى ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي . العام ص ٤٧٨ . سالم : دراسات في تاريخ العرب ص ٥٧٥ .

وكان هناك النادي وهو المكان الذي يجتمع فيه مجلس القبيلة عند الحرب أو الأمور الخطيرة التي تهم القبيلة، ويظل منعقداً دائماً عند إعلان الحرب على أي قبيلة أخرى ومن أجل الإستعداد للحرب، وتأتي رؤساء القبائل المتحالفة وينضمون إلى هذا المجلس ويعلنون تضامنهم وتكتلهم مع مجلس القبيلة وشيخها.

وكانت الأحلاف لازمة لقبائل العرب فكان القليل منضم إلى الكثير والضعيف للقوى، ومثل الزواج والصاهرة إحدى الروابط الاجتماعية والسياسية عند العرب قبل الإسلام حيث كان الزواج بمثابة حلف بين القبيلتين ومن أهم أحلاف العرب حلف الرباب وحلف الأحلاف وحلف الفضول وغيرهم من الأحلاف . أما بالنسبة لمدينة مكة فقد كان لتقديس العرب للكعبة سببا في اهتمام قريش بتنظيم الحج إليها ، فترتب على ذلك ظهور أنظمة سياسية ووظائف دينية اختص بها اشرافهم ^(١) ، فعندما استقامت الأمور لقصي بن كلاب واطاعة الناس ، بني دار الندوة ، قرب الكعبة من الجهة الشمالية ، فأصبحت مجتمع الملاء من قريش تناقش فيها كل الأمور الخاصة بقبيلة (فلا ينكح رجل من قريش ، ولا يتشاورون في أمر ولا يعقدون لواء بالحرب ، ولا يعذرون غلاما ، الا في دار الندوة) ^(٢) ، وكان لا يدخل دار الندوة من قريش او غيرهم ، الا من بلغ الاربعين سنة من عمره ، عدا أولاد قصي فكانوا يدخلونها جميعا مع حلفائهم وتعتبر دار الندوة ملكا خاصا لبني عبد الدار، وظهرت بعض الوظائف القيادية (اللواء) هو

(١) ماجد : التاريخ السياسي ج ١ ص ٨١ .

(٢) اليعقوبي _ تاريخ ج ١ ص ٢٤٠ . زيدان _ العرب قبل الاسلام ص ٢٧٧ ، سالم ، دراسات ص ٥١٥ .

العلم الذي يحمل في الحرب ، وتدور حوله المعارك وكان بيد بني أمية ^(١)،
والإعنة فيكون صاحبها المقدم على خيول قريش في الحرب ، **والحكومة** هي
 الاموال التي يسمونها لألتهتهم ، وكانت عند ظهور الاسلام للحارث بن قيس
 السهمي .

الديات: وتسمى الاثناق ، وهي من الوظائف الهامة وكان صاحبها اذا احتمل
 شيء فسأل فيه قريش صدقوه ، وكانت في يد بني تميم بن مرة ، وعند ظهور
 النبي (ص) كان عليها عبدالله بن ابي قحافة (أبو بكر) ^(٢) رضي الله عنه.

^(١) صالح العلي _ محاضرات ص ١١٩ .

^(٢) أبو بكر الصديق ﷺ: هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن
 مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، ويلتقي في النسب مع النبي ﷺ في الجد السادس مرة بن كعب،
 ولد سيدنا أبو بكر ﷺ في مكة بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، لقبه النبي ﷺ بالعتيق
 والصدّيق، لقبه الله بالصاحب والأتيق، ولقب كذلك بالأواه، أسلم دون تردد، وقد وصفه أصحاب
 السير فقالوا: إن أبا بكر ﷺ اتصف بأنه كان أبيض تخالطه صفرة، حسن القامة، نحيفاً خفيف
 العارضين، رقيقاً معروق الوجه، غائر العينين، نأتى الجبهة، وهو من أغنياء قريش، وأنفق
 أمواله في سبيل الله، وهو أول الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، شهد
 المشاهد كلها مع النبي ﷺ، وبويع سيدنا أبو بكر بالخلافة سنة (١١هـ/٦٣٢م)، توفي يوم
 الإثنين ٢٢ جمادى الآخرة سنة (١٣هـ / ٦٣٤م)، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة. ابن سعد:
 الطبقات، ج٣، ص١٦٩-١٩٣؛ علي الصلابي: الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر
 الصديق، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة - مصر ٢٠٠٢م، ص١٧-٣٠.

السفارة : وكان صاحبها ذا حق مطلق في البت في شئون الصلح بعد الحرب أو الخلافات التي تقوم بين قريش وغيرها .

الأزلام: وهي التي يشرف صاحبها علي السهام ، والعرب يقسمون بها للاستخارة لمعرفة رأي الآلهة وكان أكبر أصحاب المناصب سناً هو الذي يتولى الرياسة ويلقب بسيد القوم .

وزعت المهام والوظائف الدينية المتصلة بالكعبة

الحجاجة او السدانة : وهي حراسة مفاتيح الكعبة وكانت وظيفة دينية وضعت في يد بني عبد الدار ، ولما اسلمت مكة بعد الفتح ظلت في يد عثمان بن طلحة.

السقاية : ويقصد بها الاشراف علي بئر زمزم وسقاية الحجاج ووضعت في يد بني هاشم ، وكانت في يد العباس ابن عبد المطلب وقت فتح مكة .

الرفادة : وهي الاشراف علي الضريبة المخصصة لإطعام الفقراء ، وكانت لعبد المطلب ثم نقلت الي ابي طالب ، ونقلت بعد ذلك الي بني نوفل ابن قصي.

ووجدت في جزيرة العرب أنظمة ملكية وحضارية مثل ممالك بلاد اليمن مثل (الدولة المعينية-الدولة القتبانية- دولة الحضارمة- مملكة أوسان - الدولة السبئية - الدولة الحميرية - كندة لحيان)، و ممالك بلاد الشام مثل (دولة الانباط - دولة تدمر -دولة الغساسنة) ،وممالك العراق قبل الاسلام (ميسان - الحضر - المناذرة)، ومدن الحجاز (مكة يثرب- الطائف) .

٤ - أيام العرب :

ساد الحياة القبلية نظم اجتماعيه مشتركة خضع لها جميع العرب، سواء أكانوا من أهل الممالك أو الإمارات أو المشيخات. وتجلت قوة تلك النظم ومؤسساتها في ثلاثة مظاهر كبرى هي أولاً: الوقائع التي نشبت بين القبائل العربية على اختلاف وحداتها الصغرى والكبرى، والتي اشتهرت باسم " أيام العرب " وثانياً: الأشهر الحرم، وثالثاً: الأسواق.

وتعتبر أيام العرب المرآة التي انعكست عليها النظم القبلية بشتى ألوانها، السياسية والاجتماعية والاقتصادية كذلك. فكان أهم أسباب الصراع هو النزاع على الماشية وأراضى المراعى وعبون الماء، أو للأخذ بالثأر، أو للتخلص من سيطرة قبيلة كبرى، على قبيلة صغرى، أو رفض الإتاوات التي يفرضها حلف قبلى كبير على ما جاوره من قبائل، أو محاولات فرديه قام بها نفر من زعماء القبائل لإظهار البطولة وأعمال الفروسية، بالإضافة إلى طمع القبائل بعضها في بعض، ولا سيما القبائل التي ترتبط بروابط حلف مع قبائل أخرى. والعادة أن القبائل القوية تطمع في القبائل الضعيفة لتأخذ منها ما عندها من مال ورزق، والقبائل الضاربة على أطراف الحضارة، تطمع في الحضر لما عندهم من رزق

حرمت منه، ولهذا صار من اللازم على الحضر حماية أنفسهم بالحصون والسلاح ، وأثرت العلاقات الشخصية بين سادات القبائل، من زواج وطلاق، ومن حسد وتنافس، ومن كلمة نابية قد تثير حرباً بين قلبي شخصين متنافرين، ومن عمل سفيه جاهل يثير غزواً وحرباً بسبب عصبية قومه له، ودفاع الجانب الآخر عن صاحبهم حمية وغيره. إلى غير ذلك من عوامل معقولة مفهومة وعوامل تافهة سخيفة تجد لها مع ذلك مكانة في القلوب؛ فتثير غزواً وتسبب نكبة ، فالغزو إذن هو: حاصل ظروف طبيعية واقتصادية واجتماعية، ألمت بالأعراب وأجبرتهم على ركوب هذا المركب الخشن. كارهين أما مختارين فليس للأعرابي للمحافظة على حياته ولتأمين رزقه غير هذا الغزو^(١).

وهذه الأيام تؤلف -في الواقع- القسط الأكبر من علم الأخباريين بتاريخ الجاهلية، ومادتها القصص الذي تناقله الناس عن شهدوها، وحفظوه في صدورهم، إلى أن كان التدوين فدوّن. ومادة هذه الأيام عربية خالصة، يتخللها شعر قيل بالمناسبة في تلك الأيام في الفخر والحماسة وفي هجاء الخصم والانتقاص منه. والفضل هو لهذا الشعر في حفظ أخبار تلك الأيام، وصيانتها من النسيان، وعلى هذه المادة العربية اعتماد المؤرخ في تدوين تاريخ العرب في الجاهلية، وتتبع التطورات السياسية التي حدثت قبيل الإسلام.

وفي شعر المخضرمين وشعر الشعراء الإسلاميين الذين نبغوا في العهد الأموي مادة تفيدنا في الوقوف على خبر تلك الأيام، فقد حفظ تفاخر الشعراء بقبائلهم ومهاجاة بعضهم لبعض آثار تلك الأيام، فدونت في شعر الهجاء والتباهي

(١) جواد على : المفصل، ج ١٠، ص ٥ - ٧.

والتفاخر، وزاد بذلك علمنا الذي أخذناه من أخبار الأيام ومن الشعر الجاهلي الذي أشير فيه إليها.

وألف فيه جماعة، منهم "أبو عبيدة" المتوفى سنة "٢١٠" أو "٢١١" للهجرة، وأدخله قوم في مؤلفاتهم، فأفردوا له بابًا أو أبوابًا، ولكننا لا نملك حتى اليوم كتابًا قديمًا قائمًا بذاته في الأيام. وكل ما نملكه هو هذه الأبواب الداخلة

في بطون كتب الأدب في الغالب وفي بعض كتب التاريخ والجغرافيا، وقد أشار "ابن النديم" وغيره إلى أسماء مؤلفين ألفوا كتبًا في أيام العرب ٢. منهم من ألف عنها كلها، ومنهم من ألف عن بعضها. ومنهم من ألف في أيام قبائل معينة. وقد ورد أن "أبا الفرج الأصبهاني" قد استقصى أيام العرب في كتاب أفرده لذلك، فكانت أيامه ألفًا وسبعمائة يوم.

ولكن هذه الأيام غير منسقة ويا للأسف، ولا مبنوية على حسب ترتيب الوقوع، وتسلسل الزمن. ثم إن من الصعب استخراج مستند منها يمكن الاعتماد عليه في تصنيف هذه الأيام، وتنظيمها على أساس تاريخي^(١) ومن أشهر هذه الأيام :

حرب البسوس:

دارت هذه الحرب بين قبيلتي (بكر وتغلب) من ربيعة إحدى قبائل العدنانية الكبرى واستغرقت فترة طويلة بلغت الأربعين عاما، حتى صارت أروع نموذج للحياة القبلية وقوة نظمها في بلاد العرب قبل الإسلام فكان السبب في تلك الحروب هو وصول قبيلة تغلب تحت قيادة زعيمها كليب إلى مركز الرئاسة في تهامة ، نتيجة ما بذله من كفاح ضد عرب اليمن وجمع قبائل مضر من عرب الشمال تحت لوائها. وارتفع شأن كليب واستبد به الزهور حتى انفرد بالأمر،

(١) جواد على : المفصل، ج ١٠، ص ٨- ١٥.

فكانت لا توقد نار من ناره ولا يستطيع أحد أن يرع مع إبله وكان يحمي كما ذهب عنه في الأمثال، مواقع السحاب. بمعنى أن يقول وحش أرض كذا في جوارى فلا يصاد .

وشق عصا الطاعة عل هذا الزعيم قبيلة بكر الذي كان متزوجا من إحدى نساءها، مما يدل على أن ضراوة العصبية القبلية يفوق تأثيرها حتى على المصاهرة. وكان السبب المباشر للصراع بين هاتين القبيلتين اعتداء (كليب) على ناقة لضيف كان نازلا على إحدى نساء بكر اسمها البسوس. وغضب من هذا الاعتداء بطل من أبطال بكر اسمه (جساس) الذي كان يسمى "الحامى الجار" وكانت البسوس خالة هذا البطل، وذهبت إليه باكية تندب النذل الذي لحق بها وبقيبتها لامتهان كليب سيد تغلب لحقوق الضيف النازل عندها. وبادر جساس وهو أخو زوجة كليب، بالانتقام دون أن يقيم لتلك المصاهرة وزنا وقتل زوج أخته.

واندلعت بذلك نيران الحرب بين بكر وتغلب التي نسبت إلى خالة جساس وصارت تعرف باسم "حرب البسوس" وسجل وقائع هذه الحرب الطويلة "مهلهل" الشاعر والفارس المشهور أخو كليب المقتول. وجرت أحداث هذا الصراع على امتداد أربعين عاما.

يوم ذي قار:

هو من أيام العرب والفرس وهو من المعارك الفاضلة وكان بسبب وقية بين النعمان ابن المنذر ملك الحيرة وهو من قبيلة لخم العربية وبين كسرى ملك الفرس لأن النعمان رفض أن يرسل بعض نساء العرب إلى كسرى، فعمل كسرى على ضرورة التخلص من النعمان ابن المنذر، وأرسل إليه يستدعيه إلى عاصمته

المدائن، وخاف النعمان على نفسه ولذلك أودع أسلحته ونسائه عند هانى بن مسعود الشيباني، وذهب إلى كسرى فقتله، وولى مكانه على الحيرة إياس بن قبيصة وطالب بأموال النعمان، رفض هانى بن مسعود فأرسل إليه كسرى جيشاً جراراً واجتمعت حوله قبائل ربيعة وبكر وبعض قبائل الحيرة العربية وجيش الفرس وجيش العرب عند ماء يسمى زى قار ودارت معركة بين الطرفين انتصر فيها العرب على الفرس، وجاء حديث النبي ﷺ: فى شأن هذا اليوم بقوله: "هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبى انتصروا".

يوم داحس والغبراء:

نشبت هذه الحرب بين قبيلتى عبس وذبيان وينتميان إلى قبائل قيس كان داحس والغبراء اسمين لفرسين يمتلكهما قيس بن زهير سيد قبيلة بنى عبس وكان لحذيفة بن بدر فرسين هما الخطار والحنفاء، ويذكر أن زهير كان نازلاً عند حذيفة بن بدر وقد تراهنا على سباق بين هذه الخيول وكان حذيفة يحسد زهير على فرسيه وقوتها فى السرعة والعدو، وعمد حذيفة إلى تدبير مؤامرة لكى يكسب الرهان من قيس بن زهير، فأقام حذيفة رجلاً من بنى أسد وهم حنفاء لقبيلة ذبيان بالطريق إن رأى داحس سابقه فيعطلها ويردها عن السباق حتى يؤخرها وحدث ذلك بالفعل ولكن جاءت الغبراء الأولى على السباق ثم الخطار والحنفاء ثم جاء الداحس آخر السباق واكتشفت المؤامرة وحدث قتال بين قبيلتى عبس وذبيان استمر حوالى أربعين سنة. وحدث صلح بين القبيلتين على إثر دعوة الحارث بن عوف وهرم بن سنان وتعهدا بدفع ديات القتلى من الفريقين.

الحياة الاقتصادية للعرب قبل الإسلام

الحياة الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام تعد عصب الحياة للإنسان في جميع الأوقات أن الجزيرة العربية على وجه التخصيص شهدت قيام دول وحضارات متعددة في أماكن معينة منها ، وهذه الحضارات بمجموعها وعلى امتداد الحقب المتباينة تعد دليلاً كافياً على حيوية المجتمع العربي، ومن الثابت أن الحياة الاقتصادية لأي مجتمع هي من الدعائم الأساسية في بقائه وارتبطت الحياة الاقتصادية (الزراعة والصناعية والتجارية) عند العرب قبل الإسلام بحرفة الرعي وتربية الماشية في بعض الأحيان ، وأن الثروة الحيوانية عند العرب قبل الإسلام كانت ركناً حيوياً من أركان الحياة اليومية فكان لها دور في حرث الأرض وحمل الأثقال وفي التنقل ، وتسهم في تصدير الأنتاج الزراعي ، وكان من أهمها الإبل وهي أكثر أنواع الماشية نفعاً للإنسان ، وكان سكان البادية لا يمكنهم الاستغناء عنها.

أولاً الزراعة :

على الرغم من أن الكثير من العرب احتقروا كل من يمتن الزراعة ، وكذلك ندرة المياه ، إلا أن الكثير من المصادر التاريخية أشارت الى اتساع الاراضي المزروعة في الجزيرة العربية والى تنوع أماكنها ووفرتها لا سيما في نجد والعربية الشرقية ومناطق الواحات واليمن ومنذ أقدم العصور ، وشملت الزراعة في عمان والبحرين وهجر واليمامة ومناطق العراق والشام ومناطق

متفرقة أخرى، وأنتجت مختلف المحاصيل والفواكه والخضر، ومهما يكن الأمر فلقد مارس العرب الزراعة واطلقوا عليها أسم الفلاحة (١).

ولقد تميز الإنتاج الزراعي بالسعة في بعض المناطق ليشمل الإنتاج لإغراض التبادل، فقد كانت مكة تستورد الزبيب من الطائف، ويروى أن الزبيب كان يحمل منها للعباس بن عبد المطلب الذي ينبذها في السقاية للحاج، وكما أن اليمامة كانت تمون مكة بالحبوب، وعرف العرب قبل الإسلام التقليل ويقصد به قطع الأغصان اليابسة من الأشجار حيث أن بقاءها يؤدي إلى ضعف النبات. وفي الحقيقة أن النخلة كانت هي ملكة عالم النبات في الجزيرة العربية فقد كان التمر من أهم المحاصيل الزراعية في بلاد العرب، فهو مادة ضرورية يعيش عليها معظم العرب، وكان أهل مكة يعتمدون على تمور يثرب (٢)؛ وعرفت عدد من المدن والقرى في الجزيرة العربية بزراعتها أشجار النخيل مثل يثرب وخيبر ودومه الجندل التي كانت تشتهر أسواقها بعرض أنواع من التمور وكان أشهرها التمر الصيماني الذي يجلب من أسواق خيبر (٣).

ولقد عرف عن أهل اليمن بزراعتهم للجبال التي تسقط عليها الأمطار بفعل الرياح الموسمية. حيث استخدموا نظام المدرجات. واهم النباتات التي زرعت بهذه الطريقة هي الكروم، كما استغل العرب الأراضي الواسعة بين الجبال. والتي

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٣١٤؛ ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية، ط ٣، بيروت - ١٩٧٠، ص ١٥٨.

(٢) البلاذري: انساب الاشراف، تحقيق محمد حميد عبد الله، مطبعة دار المعارف، مصر، ١٩٥٩، ج ١، ص ٩٢؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب، مطبعة السعادة، القاهرة، ج ١، ص ٢١.

(٣) الاصطخري: مسالك الممالك، ليدن: مطبعة بريل ١٩٣٧، ص ٢٣.

تسمى (الدارة) وهي رمل مستديرة وسط فجوة ، وفي الغالب تنبت بها الأعشاب والنباتات الصحراوية وتكون هذه المناطق أماكن لرعي الحيوانات وفضلها العرب كمناطق للسكن (١) .

الصناعة

لعبت الصناعة والحرف دوراً مهماً في ازدهار الحياة الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام ، فانتشرت الصناعات والحرف في معظم مناطق الجزيرة العربية ، وخصوصاً المراكز الحضرية و، كانت قائمة على الصناعات الغذائية وصناعة الجلود ، والصناعات النسيجية والحياكة والخياطة ، والنجارة وبعض أنواع الصناعات المعدنية كالصياغة والحدادة . ومن الصناعات التي قامت في مكة الأسلحة من رماح وسكاكين ودروع ونبال وصناعة الفخار ، من قدور وجفان وأباريق وصناعة الأسرة والأرائك كذلك صناعات البزازة والخياطة والجزارة والخمارة والنخاسة، وكذلك عرفت مكة صناعة صناعة الخز ، وهي نساجة تنسج من صوف وبريسم ، وبهذا نجد أن أهل مكة حاولوا استغلال صوف الضأن التي يمتلكونها فنسجوا منها ثياب الخز الموشاة بالحريز ، ولم تكن صناعة النسيج مقتصرة على الرجال فقط في مكة ، بل امتهنتها النساء ، كذلك استغل أهل مكة الجبال المحيطة بها فاقتلعوا حجارها وقاموا بقطعها وتسويتها ونحتها فصنعوا منها البرم، وكان رجال من أهل مكة يبيعونها في الأسواق ومنهم أمية بن خلف الجمحي ، ونحت وأهل مكة الأقداح ومن الصناعات التي عرفت

(١) ابن الفقيه : مختصر تاريخ البلدان ، طبعة ليدن ، ص ٣٣ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٤ جواد على ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٧ ، ص ٣٥ ؛ عبد الرحمن عبد الله الحضرمي : الحضارة اليمنية ، مجلة دراسات يمنية ، ع ٤٤ ، صنعاء - ١٩٩٢ ، ص ١٢٠ .

بمكة خياطة الثياب والحرف في مكة غير مرتبطة بالزراعة ، وأن إنتاجها معد للتبادل وليس لسد حاجات الاستهلاك الذاتي منها او للمقايضة بهدف الحصول على منتجات بديلة (١) .

ففي يثرب قامت بعض الصناعات مثل صناعة الخمر والمكامل والقفف التي تعتمد جميعها على زراعة النخيل ، كما قامت فيها التجارة والصناعات المعدنية مثل صناعة الأسلحة والدرع والمصوغات كالحلي وأدوات الزينة والتحف ، حيث أحترف يهود بني قينقاع هاتين الصناعتين ، ووجدت صناعة الخوص في يثرب ، وقد كان سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قد تعلم صنع الخوص من مواليه في يثرب قبل الإسلام ، واستمر يعمل بها بعد أسلامه ، فضلاً عن أن أهل يثرب كانوا يقتلون الحبال من الصوف والليف ، ويأتي في مقدمة الصناعات في يثرب صناعة الخمر ، ولكن كان أغلبها بأيدي اليهود لاسيما بنو قينقاع إذ كانوا يملكون سوق يسمى (سوق قينقاع) ، ويبدو أن لوجود اليهود في يثرب أثراً كبيراً في صناعة الخمر وإتقانها ، حيث اشتهرت يثرب بجرار أطلق عليها اسم المزفت والحنتمة والدباء والنقير كانوا ينتبذون فيها الخمر (٢) .

أما الطائف اشتهرت، بصناعة الجلود ((وكانت مدابغها كثيرة ومياهها التي تنساب الى الوادي تبعث روائح كريهة)) وعرفت الطائف أيضاً بصناعات

(١) ابن بكار : جمهرة نسب قريش ، ج ١ ، ص ٣٧١ ؛ الماوردي الإحكام السلطانية ، ص ١٩٧ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤٨ ؛ الجواليقي : المعرب من الكلام الأعمى على حروف المعجم ، تحقيق احمد شاكر ، طهران ١٩٦٦ م ، ص ٢٧ ؛ نقولا زيادة ، لمحات من تاريخ العرب ، ص ٢٤٦ ..

(٢) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ج ١ ، ص ٣٧١ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ج ٢ ، ص ٥٨ ؛ شكران خربوطلي ، الحياة الاقتصادية في يثرب قبل الهجرة ، ص ٤٢ ؛ ولفنسون ، أسرائيل ، اليهود في بداية الحجاز ، ترجمة، طه حسين ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ٩٤ .

الحدادة واشتهرت بلاد الشام ومشارفها بالزيت والزبيب والخمر ، ومهجر والبحرين ، حيث التمر الجيد المنقطع النظير كما اشتهر استخراج اللؤلؤ في عمان والبحرين ومناجم الملح في بعض مناطق اليمن كملح مأرب كما ازدهرت اليمن أيضا بصناعة النسيج والثياب كالبرود والأردية وقد ظلت اليمن محتفظة بمكانتها كأكبر مصدر للبرود الغالية حتى القرن الرابع الهجري ، وذكرت المصادر أنواعا كثيرة من البرود اليمنية ، وكل منها منسوب الى بقعة أو مكان في هذه المنطقة أو الى قبيلة من القبائل التي تسكنها وهناك أربعة عشر نوعا من أنواع الثياب اليمنية المشهورة ، ومما يؤكد سعة الإنتاج أن الرسول ﷺ : صالح أهل نجران على إلفي حلة تدفع على مرحلتين وفي صنعاء برزت صناعة الخرز والفصوص من العقيق والجزع والذهب ، كما اشتهرت بعض مناطق حمير بصناعة الأسلحة ، وتنتسب الرماح الردينية الى ردينه من ذي يزن . واليمن بصناعة الجلود بالإضافة الى تنوع استخدامات الجلود المصنعة ، وتخصص العاملين في هذه الصناعة بنوع دون آخر ، فاستخدمت الجلود في الأغراض الحربية كأوتار السهام ، والدروع والخوذ الواقية للرأس ، وتغليف الدبابات والمنجنقات بها ، والتروس ، أما في الأغراض الأخرى ، فقد صنعت منها القرب والدلاء وأدوات السقي والسروج والأحذية والحلي الجلدية كالحجانة، تتوشحه المرأة قد عرف أهل العربية الجنوبية "البلور" لوجوده في اليمن وفي أماكن أخرى. وهم يستخرجونه من نوع خاص من الحجر ويصقلونه بعناية، والغالب عليه اللون الأبيض غير أن بعضه ذو ألوان أخرى، هو لون الحجر الذي أخذ منه.

ولا يزال أهل اليمن يمارسون صقل الحجارة الكريمة التي يستخرجونها من بعض الجبال، مستعملين في ذلك الماء والتراب الناعم على حجارة رملية ويصنعونها بأشكال مختلفة ويستعملونها في صنع الحلي. وهي ذوات ألوان متعددة: بيض وسود وخضر وزرق وصفر وحممر، ومنها ما يجمع عدة ألوان متمازجة. ويعد جبل نقم وجبل الغراس من أهم المواطن التي تستخرج منها مثل هذه الحجارة على مقربة من صنعاء (١)

التجارة

تعتبر التجارة من أهم النشاطات الاقتصادية التي تميزت بها الجزيرة العربية قبل الإسلام، وقد عدها القوم ((من أشرف الأسباب وأعلاها قدرًا)) وتشمل التجارة: الاتجار داخل جزيرة العرب، أي تعامل أبناء بلاد العرب بعضهم مع بعض، والاتجار مع الخارج، أي مع الحكومة الغربية مثل الهند وحكومات أفريقيا والفرس والروم، والتجارة تكاد تكون الحرفة الوحيدة عند العرب التي لم ينظر العربي إليها وإلى المشتغل بها نظرة استهجان وازدراء وانتقاص. بل اعتبرت عندهم من أشرف الحرف قدرًا ومنزلة. ونظر إلى التاجر نظرة تقدير وتجلة، وكانت القوافل التجارية تجوب شبه الجزيرة العربية، ولهم منازل في الطريق وذلك للراحة والتزود بالماء للزود بالماء والزراد الذي تحتاج إليه القوافل، وتعد مواطن الأبار من أهم العوامل في تشكيل المنازل على الطرق التجارية، والطرق التجارية أدت دوراً بارزاً في حياة سكان الجزيرة العربية وقد انفرد الحجاز بموقع مركزي جيد فكان يتصل عبر طرق تمتد إلى الكوفة والبحرين ودمشق ومصر

(١) جواد على: المفصل، ج ١٥، ص ٦٤؛ نقولاً زيادة، لمحات من تاريخ العرب، ص ٢٤٠-٢٤٦.

واليمن وكان لقريش رحلة الى الشام واليمن، ونظراً لانهم كانوا تجاراً فان تأمين انتظام التجارة أملى عليهم عقد اتفاقيات مع القوى السياسية المؤثرة في عصرهم ، ((كان هاشم بن عبد مناف صاحب ايلاف الرحلتين ، وأول من سنها ، وذلك انه اخذ لهم عصماً من ملوك الشام ، فاتجروا آمنين ، ثم أن أخاه عبد شمس أخذ لهم عصماً من صاحب الحبشة ، واليه كان متجره ، وأخذ لهم المطلب بن عبد مناف عصماً من ملوك اليمن ، وأخذ لهم نوفل بن عبد مناف عصماً من ملوك العراق ، فألفوا الرحلتين في الشتاء الى اليمن والحبشة والعراق ، وفي الصيف الى الشام، وشهدت دولة الأنباط نشاطاً تجارياً متميزاً لوقوعها على الطريق الغربي في الجزيرة بين اليمن والشام وفي القرن الثالث الميلادي ظهرت تدمر كمركز تجاري مهم ، (على الطريق من العراق الى الشام وهو امتداد الفرع الشمالي لطريق الهند المؤدي الى الخليج العربي) ، كما شهد العراق نشاطاً تجارياً لوقوعه على الخليج العربي حتى قيل فيه ،من كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق، وكنوز الأرزاق والدم المراق ، فليحلق بأرض العراق (١) .

وقد ترتب على هذه الحيوية في التجارة ، أن ظهر كثير من الأغنياء وأصحاب الثروات وبقية الطبقات الفقيرة على حالها ، واحتلت التجارة مكانة واسعة في حياة عرب الحجاز ((والدليل على ذلك كثرة التعابير المالية والتجارية التي استعملها القرآن كالحساب والميزان والقسطاط والذرة والمثقال والقرض))

أضف أن الحج نفسه لم يكن بعيداً عن التجارة . وتسرب الريا تسرب الى الحياة

(١) ابن حبيب: المحبر، تحقيق ايلزه ليختن ، بيروت، ص١٩٥ - ١٩٦ ؛ رضا جواد تجارة القوافل ودورها الحضاري ، بغداد ، ٨٤ ، ١٩٨٤ ، ص٢٠ . جورج لوفران ، تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث ، ص١٩ .

العربية عن طريق اليهود، وكذلك انتشرت الأسواق الكبرى فابن حبيب يعدها اثنتي عشرة سوقاً ، واليعقوبي يرى أنها عشر أسواق في حين يرى الهمداني أنها أحد عشر سوقاً، وتشير الكثير من الروايات أن هذه الأسواق كانت محطات تجارية وبعضها أماكن مقدسة لها أصنام تعبدها القبائل وتأتي للتقرب إليها في مواسم معينة هي مواسم حجها فتحولت هذه المواسم والمحطات التجارية إلى أسواق للبيع والشراء ومن أشهر هذه الأسواق سوق عكاظ ودومة الجندل كالمشقر وذو المجاز وذو المجنة^(١) .

(١) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٧٩ – ص ١٨٠ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص ٢٦٣ – ص ٢٦٨ ؛ شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، ص ٧٧ ؛ نقولا زيادة ، لمحات من تاريخ العرب ، ص ٢٤٦ ؛ كارل بروكلمان ، تاريخ الشوب الإسلامية ، ص ٢٦ .

الحياة الدينية عند العرب قبل الإسلام:

عرف العرب قبل الإسلام أنواع متعددة من الديانات والعبادات فعبدوا بعض مظاهر الطبيعة التي كانت تحيط بهم مثل الأشجار وعيون الماء والكهوف والحجارة ويدل على ذلك أسماء بعض القبائل كبنى أسد وبنى كلب وبعض القبائل التي كانت تتسمى بأسماء طيور مثل عقاب ونسر أو أسماء نباتات مثل حنظلة أو أسماء أجزاء من الأرض مثل صخر وخميعها أسماء تشير إلى تقديس العرب لبعض الحيوانات والنباتات.

الوثنية:

الوثنية العربية في الجاهلية المتأخرة كانت امتداداً لمرحلة من العبادات المتنوعة حيث كان بعض العرب قد ارتقوا إلى التوحيد في زمن نبي الله إبراهيم عليه السلام فإنهم سرعان ما عادوا إلى الوثنية بعده وأصبحت الوثنية الديانة الغالبة على عرب الجاهلية في القرن السادس الميلادي.

شاعت الوثنية في بلاد العرب قبل الإسلام، وقد قامت هذه الوثنية على فكرة عبادة مظاهر الطبيعة كالأرض والسماء والنجوم والكواكب. ولما كان العرب يعتقدون بوقوعهم في حياتهم تحت تأثيرها؛ لذلك حرصوا على إرضائها اجتلاباً لخيرها. فاتخذوا لها أشكالاً مختلفة من بيوت وأشجار وأحجار مصورة تمثل إنساناً أو حيواناً وأخري غير مصورة. وصاروا ينظرون حولها ويتاجرون عندها ويعتبرون المكان الذي فيه المعبود حراماً ، يحرم الإتيان فيه بأشياء معينة.

وكانت أديانهم مع ذلك مختلفة: فكانت حمير تعبد الشمس إلى أن تغلب سليمان على بلقيس، فتهود أهل اليمن. وكانت كنانة تعبد القمر، ولخم وجذام المشتري، وطيء سهيلا، وقيس الشعري العبور، وأسد عطارداً. وكانت ثقيف وإياد تعبد بيتا بأعلى نخلة يقال له: اللات. ثم عبت إياد ويكر بن وائل كعبة سنداد وكان لحنيفة صنم من حسيس - وذلك أخلاط من تمر وأقط وسمن - فلحقتهم المجاعة فأكلوه، فقال في ذلك أحد الشعراء:

أكلت حنيفة ربها ... عام التقم والمجاعة

لم يحذروا من ربهم ... سوء العواقب والشناعة"

"وكانت عبادة الأوثان فاشية في العرب حتى جاء الإسلام".^(١)

فكانوا يعبدون الأصنام والأوثان والأنصاب:-

الصنم: هو ما يصنع من خشب أو ذهب أو فضة على صورة إنسان.

الوثن: هو ما كان يصنع على صورة إنسان من الحجارة وهي تماثيل منحوتة

في الحجر ترمز إلى الإله ولها تذبح الذبائح وتقدم القرابين.

الأنصاب: كانت أحجار تنصب في الجاهلية ويذبح العرب عليها ذبائحهم فهي

المذبح، وقد يتحول النصب بمرور الأيام إلى صنم يعبدونه ويقدمونه ويظوفون به.

وكانت الكعبة مقر أوثان أكثر العرب وكان هذا من أهم الأسباب التي جعلت لمكة وقريش الصدارة على كل مدن الحجاز وقبائله، وأعظم الأصنام عند قریش فهو

(١) ابن سعيد الأندلسي: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان - الأردن (د.ت) ص ٧٦.

هبل الذي كان من عقيق أحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، فصنعت له قريش يداً من ذهب وكان تمثاله أعظم صنم معلق على الكعبة.

الأصنام: ومن الأصنام ماهو على صورة حيوان أو صورة إنسان مثل

سواع: على صورة امرأة، وود^(١): على صورة رجل، ويغوث: على صورة أسد

ويعوق: على صورة فرس ونسرا: على صورة طير النسور ومن الأصنام أيضاً:

اللات: كانت بالطائف^(٢) وهي عبارة عن صخرة مربعة أقيم عليها بناء وكان أهل

مكة يحجون إليها ويقدمون لها القرابين وبلغ من تعظيم العرب لها أنهم سموا

أبنائهم عبد اللات وزيد اللات. ومنات: التي كانت من أقدم هذه الأصنام وهي من

المنية وهي القضاء المحتوم فكانت إلهة القضاء وكان العرب يسمون أبنائهم عبد

منات وزيد منات وقد نصب هذا الصنم على ساحل البحر بين المدينة ومكة

وكانت تعزمها الأزدي والأوس والخزرج حتى أمر الرسول ﷺ: على ابن أبي طالب

(١) ود: ظلت عبادته معروفة في الجاهلية إلى وقت ظهور الإسلام، وقد ورد اسمه في القرآن الكريم، وأن قبيلة "كلب" كانت تتعبد له بدومة الجندل. ووصفه فقال: "كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، قد ذبر عليه حلتان، متزرجة، مرتد بأخرى، على سيف قد تقلده، وقد تنكب قوساً، وبين يديه حربة فيها لواء وفضة فيها نبل..". ابن الكلبي: الأصنام. جواد على: المفصل، ج٣، ص١١٥.

(٢) الطائف: من مكة إلى الطائف مسيرة يومين وهي مدينة قديمة بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً، طيبة الهواء شمالية، وسكن الطائف قبيلة ثقيف، أكثر فواكه مكة منها، ففيها الرمان الكثير والزبيب والعنب الجيد والفواكه الحسنة، وهي علي ظهر جبل غزوان، ربما يجلد بها الماء عامتها مدايح، وإذا تأذي ملوك مكة بالحر خرجوا إليها. ابن المنجم: آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان. إسحاق بن الحسين المنجم، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٨ هـ، ص٥٦؛ الهمداني: صفة جزيرة العرب، طبعة: مطبعة بريل - ليدن، ١٨٨٤ م، ص١٢١؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت ١٩٩٥ م، ج٤، ص٨٠-١٠٠.

بكسره عندما خرج لفتح مكة سنة (٨هـ / ٦٢٩م) (١) - والعزى: وهى أحدث من منات واللات وكانت قريش تقدسها وتعظمها وكانوا يسمون أبنائهم عبد العزى (٢).
وقد ورد ذكرهن فى القرآن الكريم فى صورة النجم فى الآيات ١٩ ((أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى)) وما بعدها، ومن الأصنام التى عظمها العرب أساف ونائلة اللذان كانا بالكعبة وكانت قريش تنحر عندهما.

الصابئة: عبدة طائفة من العرب الكواكب والنجوم كالشمس والقمر والزهرة فضلاً عن كواكب أخرى مثل الشعرى وعطارد وقد عرف عبدة الكواكب بالصابئة، حيث عبد العرب الشمس وخاصة فى المناطق الزراعية ومثل لذلك مدينة تدمر ومدينة البطراء وأيضاً عبدها العرب الجنوبيين ويدلنا على ذلك ما جاء فى القرآن الكريم فى صورة النمل على لسان الهدد قال تعالى " وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ " وأصل دينهم فيما زعموا أنهم يأخذون محاسن ديانات العالم ويخرجون

(١) فتح مكة: تم فتح مكة على يد الرسول ﷺ، وذلك فى ٢٠ رمضان فى السنة الثامنة من الهجرة وذلك بسبب نقض قريش لصلح الحديبية (٦هـ / ٦٢٨م) وذلك عندما شجعت قبيلة بكر التى دخلت فى حلفها وفق بنود ذلك الصلح الاعتداء على قبيلة خزاعة التى دخلت فى حلف النبي ﷺ وبالفعل أعتدت قبيلي بكر على قبيلة خزاعة ليلاً، ولذلك استنجدت قبيلة خزاعة بالنبي ﷺ الذى جهز جيشاً قوامه ١٠ الألف مقاتل وأتجه به إلى مدينة مكة وصمم على فتحها؛ وعندما رأت قريش ذلك الجيش الجرار الذى يقوده النبي ﷺ، فأعلن أهل مكة التسليم بدون قتال، ولكن وجدت بعض المناوشات التى حدثت يوم ذلك. للمزيد من التفاصيل عن فتح مكة. انظر: البلاذري: فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٨ م، ص ٤٥-٥٠؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، (د.ت)، ص ٢٤٢، ٢٤٩..

(٢) ابن سعيد: نشوة الطرب فى تاريخ جاهلية العرب، ص ٧٨.

من قبيح ما هم عليه قولاً وعملاً بذلك سموا بالصابئة أى الخارجين لأنهم خرجوا عن تقيضهم بحملة كل دين .

المجوسية:

عرف العرب المجوسية أو عبادة النار عن طريق الفرس فى الحيرة واليمن والبحرين وكانت المجوسية فى العرب فى تميم كما عرف العرب الزندقة وهى نوعان زندقة ثنوية تقول بالنور والظلام كالمزديكية والزرادشتية، وزندقة دهرية يقول من يعتقد فيها بالدهر، وهم قوم أنكروا الخالق والخلق وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفنى

" وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ".

اليهودية:

دخلت اليهودية شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وانتشرت فى أكثر من موضع فمن المعروف ان جماعات يهودية كثير هاجرت إلى بلاد العرب بعد أن دمر الرومان بيت المقدس " اورشالين" سنة ٧٠م وهذه الجماعات استقرت فى يثرب^(١) وخيبر ووادى القرى وفدك وتيماء، ولكن اليهودية ظلت محدودة الحيز رغم اختلاط اليهود بالعرب واحتكارهم لبعض الحرف والصناعات كالصبغة والحدادة وصناعة الأسلحة والصيرفة مما جعلهم قوة اقتصادية مؤثرة، ولكن اليهود لم يكونوا مهتمون بالتبشير ونشر دينهم بين الناس تعصباً منهم واعتقاداً

(١) يثرب : بفتح أوله، وسكون ثانيه، وكسر الراء، وباء موحدة وهى مدينة النبي ﷺ، وبينها وبين مكة نحو من عشر مراحل، فلما نزلها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، سماها طيبة بها بساتين ونخيل ، وبها الأطم والحصون، سكنها اليهود والاوز والخزرج ، و أطلق الرسول ﷺ على يثرب اسم المدينة. المقدسي : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ط ٣ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٩١م ، ص ٨١ ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٣٠.

بأنهم شعب الله المختار وأن غيرهم من الشعوب غير جدير بهذه الصفة وبالتالي غير جدير بالدخول في اليهودية، فضلاً عن أن العرب كانوا يحتقرون اليهود باعتبارهم عملاء للفرس في اليمن ولتهافتهم على جمع الأموال ونكث العهود والمواثيق، ومع ذلك قيل أن اليهودية راجت في اليمن في عهد ذي نواث آخر ملوك حمير.

المسيحية:

ومن الديانات التي انتشرت في جزيرة العرب قبل الإسلام المسيحية التي انتشرت في قبائل تغلب وغسان وقضاة في الشمال وبلاد اليمن في الجنوب ودخلت بلاد العرب بفضل جهود أباطرة الدولة الرومانية الشرقية ويرجع سبب انتشار المسيحية في جزيرة العرب إلى مجاورتها لمراكز مسيحية وهي سورية في الشمال الغربي والعراق في الشمال الشرقي والحبشة (١) في الغرب والجنوب، كانت أهم مواطن النصرانية في العرب نجران باليمن كما انتشرت أيضاً بين المناذرة ودخلت بلاد العرب عن طريق التبشير، وعلى الرغم من ذلك لم تنتشر إنتشاراً كبيراً ولم ترسخ أقدامها في الجزيرة العربية ويرجع ذلك إلى أن الأباطرة لم يسعوا سعياً جدياً في نشرها بجانب ما أصاب المسيحية من خلاف مذهبي وأيضاً مقاومة اليهود لها.

الحنيفية:

(١) الحبشة : هي أرض واسعة شمالها الخليج البربري، وجنوبها البر، وشرقها الزنج، وغربها البجة. وهي بلاد شديدة الحرارة، وتشتهر بجلود النمر البربرية أكثر أهلها نصاري يعاقبة، والمسلمون بها قلة، وطعامهم الحنطة والدخن، وعندهم الموز والعنب والرمان، ولباسهم الجلود والقطن. ابن خرداذبة: المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت ١٨٨٩ م، ص ١٤٥؛ السيرافي : رحلة السيرفي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩ م، ص ٨٩؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٩ هـ، ج ١، ص ٤٢، ٤٣.

عقيدة ظهرت في بلاد العرب قبل الإسلام وكان سبب ظهورها أن بعض عقلاء العرب الذين سمت نفوسهم عن الانغماس في مساوئ الوثنية وعبادة الأصنام ولم يقبلوا الدخول في اليهودية ولا النصرانية فاعتنقوا التوحيد على دين إبراهيم خليل الله وكان إبراهيم حنيفاً فتسموا بالحنفاء، ولم تكن الحنيفية دين جديد بل كانت حركة دينية تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن في البعث بوجود إله واحد يحاسب ويجازي الناس على أعمالهم من خير وشر وكانوا يدعون إلى نبذ عبادة الأوثان وعادات الجاهلية كأد البنات وشرب الخمر ولعب الميسر ومن هؤلاء الحنفاء أمية بن أبي الصلت الشاعر المعروف، وورقة ابن نوفل ابن عم السيدة خديجة وقص بن سعادة الأيادي وزهير بن أبي سلمة الشاعر وزيد بن عمرو بن نفيل وغيرهم.

الحياة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام:

مثلت القبيلة العربية النظام السياسي للعرب قبل الإسلام حيث تعتبر القبيلة الوحدة السياسية عند العرب في الجاهلية، والقبيلة هي جماعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد مشترك تجمعهم وحدة الجماعة وتربطهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة، والعصبية تدعو إلى نصرة الفرد لأبناء قبيلته ظالمين كانوا أم مظلومين وتقوم العصبية على النسب، وبقاء القبيلة مرهون ببقاء روح العصبية بين أفرادها، والعصبية تحتم على الفرد أن يلبى نداء قبيلته إذا دعته إلى نصرتها وقت الخطر فينصرها وينصر إخوانه، والعصبية تحتم على الفرد أن يقبل بعض مسؤوليات أعمال غيره فيساهم في دفع الديات للقتلى أو الفداء على الأسرى ولهذا فإن روح الديمقراطية والمساواة هي الأساس الذي يقوم عليه المجتمع القبلي.

وكان المجتمع القبلي ينقسم إلى ثلاث طبقات اجتماعية أولها أبناء القبيلة الأحرار الصرحاء النسب تليها طبقة الموالى الذين اندمجوا في القبيلة عن طريق الحلف أو الجوار وأخيراً طبقة العبيد أو الرقيق، وكانت القبيلة تنقسم إلى بطون والبطون تنقسم إلى أفخاذ والأفخاذ تنقسم إلى عشائر والعشائر تنقسم إلى عائلات أو أسر، والأسرة العربية في الجاهلية لم تكن مفككة ولكن الولاء كان للقبيلة كلها وليس للأسرة وحدها وكانت الأسرة تتكون عن الزواج فكان الرجل يخطب المرأة من زويها وكثيراً ما كانت المرأة تستشار في أمر زوجها وكان الطلاق بيد الرجل إلا أن بعض النساء كن يشترطن أن يكون لهن حق الطلاق، وكان العربي لا يقبل تزويج بناته لغير العرب حتى لو كان راغب الزواج من الأكاسرة.

وكان العربي لا يكتفى بزوجة واحدة بل تعددت زيجاته في أغلب الأحيان بلا حدود، وكان الزواج عندهم أنواعاً متعددة

الزواج عند العرب قبل الإسلام :

زواج الصداق أو البعولة: وهو يتم أن يخطب الرجل ابنة الرجل فيصدقها بصداق يحدد مقداره ثم يعقد عليها وكانت قريش وكثير من قبائل العرب يفضلون هذا الزواج وأبقى عليه الإسلام.

زواج المتعة: وهو تزوج المرأة إلى أجل فإذا انقضى افتقرت عنه ولأولاده حق الانتساب إليه، ونهى الرسول ﷺ: عن هذا الزواج.

زواج الإماء: ولا يحق للرجل الاعتراف بأبنائه من هذا الزواج وليس له صداق.

زواج المقط: وهو أن يتزوج الابن زوجات أبيه إذا مات ما عدا أمه.

زواج الاستبضاع: وهو أن يسمح الرجل بمجامعة زوجته لأحد الرجال المرموقين ثم يعتزلها زوجها حتى يتبين حملها ثم ينسب الولد للزوج الأصلي.

زواج الرهط: وهو أن تتزوج المرأة من عدد من الرجال دون العشرة، وعندما تلد كانت تخبرهم فإذا كان المولود ذكراً حدث مزاداً عليه وإن كان المولود انثى تركوه^(١).

وكانت للزوجة مكانتها فهي شريكة للرجل وموضع تقديرة، وكانت للمرأة كأم منزلة عالية وكثيراً ما كان العربي ينتسب إلى أمه ويفتخر بنسبه إليها، ومع أن الغالبية من العرب كانت تفضل البنين على البنات إلا أن البعض كانوا يعتزون ببناتهم حتى كانوا يكتنون بهن مثل ربيعة بن رباح وهو والد الشاعر المعروف

(١) ابن سعيد: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ص ٨٠.

زهير بن أبي سلمة، وكان النابغة الذبياني الشاعر المشهور يكنى بأبي أمامة. غير أن بعض العرب كانوا يكرهون البنات إلى القيام بوأدهن أحياء، وذلك خشية الفقر وعدم القدرة على تربية الأولاد، ويرى البعض الآخر أن السبب في ذلك كان الحرص على صيانة العرض وخشية أن تجر البنت العار على قبيلتها في المستقبل نتيجة للسبى وأشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: " **لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**" سورة الأنعام آية ١٥١، وشاعت هذه العادة في قبائل تميم وقيس وهزيل وقريش وكندة وبكر وبعض الناس منعت الوأد وكانوا يشتررون الموعودة مثل صعصعة بن ناجية جد الشاعر الفرزدق فقد انقذ مائتين وثمانين موعودة واشترى كل منهن بناقتين عشاوين وجمل.

وقد تحلى العرب في الجاهلية بكثير من الأخلاق الحميدة كالكرم والشجاعة والعفة والوفاء بالعهد وكرهية الغدر وعرفوا بالنجدة واغاثة الملهوف وبجانب هذه الصفات اتصفوا بكثير من الصفات الذميمة الاعتداء والثأر ووأد البنات والانغماس في الملذات والتشائم والاعتقاد في الفأل وزجر الطير والاعتقاد في الكهنة واستطلاع الغيب.

ومن خصائص المجتمع الجاهلي التفاخر بالأجداد والآباء والأنساب

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية عند العرب في الجاهلية الأحلاف

الأحلاف:

كان للأحلاف شأن كبير في حياة العرب قبل الإسلام^(١) ، ولقد تحالفت العديد من القبائل العربية مع بعضها البعض فقد تحالفت غطفان وبنو أسد وطيء، قيل لهم: الأحاليف؛ لعقدهم حلفاً على التناصر والتآزر ، وهناك كذلك حلف "المطيبين"^(٢) ، ومن الأحلاف المشهورة عند العرب : حلف "الرباب"^(٣)، وحلف الفضول^(٤) وحلف لعقة الدم^(٥)، وتكون الهيمنة في الأحلاف التي تعقد بين قبائل غير متكافئة للقبائل القوية، أي: للقبائل التي لجأت إليها القبائل الضعيفة لعقد حلف معها. فتكون الكلمة عندئذ لسادات القبائل البارزة في هذا الحلف، وعلى القبائل الضعيفة دفع شيء للقبائل القوية في مقابل حمايتها لها وبسط

(١) الحلف : اللغة بمعنى العهد بين القوم، والحلف والمخالفة: المعاهدة، وأصله اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد، ثم عُبر به عن كل يمين، والمخالفة: أن يحلف كل للآخر.
 (٢) الحلف : اللغة بمعنى العهد بين القوم، والحلف والمخالفة: المعاهدة، وأصله اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد، ثم عُبر به عن كل يمين، والمخالفة: أن يحلف كل للآخر.
 (٣) حلف "الرباب". وهو حلف عقد بين المتحالفين بإدخال أيديهم في "رُبِّ" وتحالفوا عليه، أو لأنهم جاءوا برب فأكلوا منه، وغمسوا أيديهم فيه، وتحالفوا عليه، فصاروا يداً واحدة، وقيل: لأنهم اجتمعوا كاجتماع الربابة، وهم: تيم وعدي وعُكَل ومُزَيبة وضَبَّة أو: ضبة، وثور، وعكل، وتيم، وعدي .

(٤) حلف الفضول : إذ تداعت قبائل من قريش إلى حلف وتعاهدوا وتعاقدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها ومن غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عنه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول ٢، وهو من الأحلاف التي ظل الناس يحترمونها أحكامها حتى الإسلام. وقد عقد على هذه الصورة: اجتمعت بنو هاشم وأسد وزهرة وتيم في دار عبد الله بن جدعان، وصنع لهم طعاماً كثيراً، ثم "عمدوا إلى ماء من ماء زمزم فجعلوه في جفنة، ثم بعثوا به إلى البيت فغسلت به أركانه، ثم أتوا به فشريه .

(٥) حلف لعقة الدم : وقد عقد على أثر تخاصم القبائل من قريش في وضع الحجر الأسود في موضعه فلما استعدت للقتال قربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤى على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا لعقة الدم .

سلطانها عليها، ونظرًا إلى ما للحلف من قدسية في النفوس، أصبح من المعتاد عقده في مراسيم مؤثرة (١).

وفي كلمة الحلف شيء من الدلالة على الشعائر والأيمان والمعاني الدينية؛ ولذلك قيل للحلف اليمين، لأن من عادتهم عند عقد الحلف بسط أيانهم إذا حلفوا ، ولا تعرف صيغة واحدة معينة للقسم الذي يقسم به المحالفون. فمنهم من أقسم بالأصنام التي يعبدونها ويفقون عندها حين يعقدون الحلف، ومنهم، وهم أغلب أهل مكة، من كانوا يحلفون عند الركن من الكعبة، فيضع المتحالفون أيديهم عليه، فيحلفون ، ومنهم من أقسم بالآباء والأجداد، لما لهم من مكانة ومقام في نفوسهم. ومنهم من حلف وعقد الحلف عند المشاهد العظيمة، أو في معابد الأصنام، أو عند قبور سادات القبائل المحترمين، فيحلفون بصاحب هذا القبر ويذكرون اسمه على التعاقد والتآزر أو على ما يتفق المتحالفون عليه، وعلى الوفاء بالعهد، والأحلاف تضم عددًا من القبائل توحدت مصالحها فاتفقت على حلف فيما بينها فانتسبت القبائل الضعيفة منها إلى القوية وكان من أهم عوامل تكوين الأحلاف بين القبائل المحافظة على الأمن والدفاع عن مصالحها المشتركة، وقد وصف "هيرودوتس" طريقة من طرق التحالف والمؤاخاة

(١) حلف " المطيبين " الذي عقد في مكة بعد اختلاف بني عبد مناف وهاشم والمطلب ونوفل مع بني عبد الدار بن قصي، وإجماعهم على أخذ ما في أيدي بني عبد الدار مما كان قصي قد جعله فيهم من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة، فعقد كل قوم على أمرهم حلفًا مؤكدًا، على ألا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضًا "ما بلّ بحرٌ صوفة"، فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبًا، فيزعمون أن بعض نساء بني عبد مناف أخرجنها لهم، فوضعوا لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاءهم، ثم مسكوا الكعبة بأيديهم توكيدًا على أنفسهم، فسُمو المطيبين. وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاءهم عند الكعبة حلفًا مؤكدًا على ألا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضًا، فسُمو الأحلاف. جواد على : المفصل، ج٧، ص ٣٧٠ - ٣٧٦.

والمحافظة على العهود عند العرب، فنذكر أن العرب يحافظون على العهود والمواثيق محافظة شديدة، لا يشاركونهم في ذلك أحد من الأمم، ولها قداسة خاصة عندهم، حتى تكاد تكون من الأمور الدينية المقدسة. وإذا ما أراد أحدهم عقد حلف مع آخر، أوقفًا شخصًا ثالثًا بينهما ليقوم بإجراء المراسيم المطلوبة في عقد الحلف؛ ليكتسب حكمًا شرعيًا، فيأخذ ذلك الشخص حجرًا له حافة حادة كالسكين يخدش به راحتي الشخصين قرب الإصبع الوسطى، ثم يقطع قطعة من ملابسهما فيغمسهما في دمي الراحتين، ويلوث بهما سبعة أحجار. حتى إذا انتهى منها قاد الحلف حليفه إلى أهله وعشيرته لإخبارهم بذلك وللإعلان عنه، فيصبح الحليف أخًا له وحليفًا، أمرهما واحد بالوفاء، وقريب من هذا ما كانت تفعله قريش حين تعقد حلفًا، فيأخذ الحليف حليفه إلى الكعبة، ثم يطوفان بالأصنام لإشهادها على ذلك، ثم يعود الحليف بحليفه لإشهاد قريش ومن يكون في الكعبة آنئذ على صحة هذا الحلف، وقبوله مخالفة الحليف، إذ أصبح وله ما له وعليه ما عليه، وعلى قومه حمايته حمايتهم له، وتدون الأحلاف أحيانًا لتوكيدها وتثبيتها، وتحفظ عند المتعاقدين، وقد تودع في المعابد كالذي روي في خبر "صحيفة قريش" يوم تآمر المشركون وتحالفوا على مقاطعة "بني هاشم" في شغبهم، إذ كتبوا صحيفة بما اتفقوا عليه، ثم أودعوها - كما يقول أهل الأخبار - جوف الكعبة (١).

وقد تركت الأحلاف أثرًا مهمًا في الحياة السياسية والاجتماعية عند العرب قبل الإسلام.

(١) جواد على : المفصل، ج٧، ص ٣٧٧-٣٨٢ .

علوم العرب قبل الإسلام

قال الشهرستاني: "وعلوم العرب في الجاهلية ثلاثة: الأول، علم الأنساب والتواريخ والأديان".

"والثاني: علم الرؤيا، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يعبرها في الجاهلية".

"والثالث: علم الأنواء، وقد جاء في الحديث: "أصبح من عبادي كافر بي ومؤمن، فمن قال: مطرنا بنوء كذا فهو كافر بن مؤمن بالكوكب، ومن قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فهو مؤمن بي كافر بالكوكب". قال صاعد: "وأما علم العرب الذي كانت تتفاخر به فعلم لسانها، ونظم الأشعار، وتأليف الخطب". وكان العرب أعنى الناس بأخبارهم، وإذا سافروا في التجارات إلى بلاد العجم استعادوا أخبارهم، ونقلها أصحاب السير عنهم.

قال صاحب الطبقات: "والعرب أهل حفظ ورواية، لخفة الكلام عليهم، ورقة ألسنتهم، وكان للعرب مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها، وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها على حسب ما أدركوا بفرط العناية وطول التجربة، لاحتياجهم لمعرفة ذلك في أسباب المعيشة لا على طول تعلم الحقائق، ولا على سبيل التدرب في العلوم" (١).

(١) ابن سعيد: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ص ٨٠ - ٨١.

علم الأنساب

وللعرب حفظ الأنساب وما يُعلم أحدٌ من الأمم غني بحفظ النسب عناية العرب. قال الله جل ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ١ فهي آية ما عمل بمضمونها غيرهم. ومما خصَّ الله جل ثناؤه به العرب طهارتهم ونزاهتهم عن الأذناس التي استباحها غيرهم من مخالطة ذوات المحارم. وهي منقبة تغلو بجمالها كل مآثرة والحمد لله (١).

وهم طائفة من الناس اعتمد العرب على ذاكرتهم لحفظ أنسابهم، وهؤلاء ألموا الماما واسعا بالأنساب وتسلسل القبائل والبطون والعشائر ومن أشهرهم زغل بن حنظله بن زيد بن عبد الله بن ربيعة بن عمرو الشيباني الذهلي السدوسي الذي كان اعلم أهل زمانه بالأنساب وفي مناظرة جرت بين ملك الحيرة النعمان بن المنذر وبين كسرى انشروان، رد النعمان على كسرى متفاخر أ بالعرب مشيرا إلى أسباب اهتمامهم بأنسابهم بقوله (وليس احد من العرب أن لايسم أبا فأبا واحاطو بذلك أحسابهم وحفظوا به أنسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه، ولا ينسب إلى غير نسبه ولا يدعى إلى غير أبيه).

علم القيافة:

(١) ابن فارس : فقه اللغة ، ص ٤٣-٤٤ .

وهو تتبع الأثر من خلال تتبع أثر القدم و الاستدلال علي الأشياء وهي قسمان
قيافة الأثر وقيافة البشر .

قيافة الأثر: وتختص بتتبع أثار الاقدام او الحوافر او الاخفاف والاستدلال من
اثارها في الرمال او التراب علي أصحابها والفائدة من ذلك الاهتداء الي الفارين
من الناس او الضال من الحيوان.

وقد اتقن العرب ذلك حتي فرق بعضهم بين أثر قدم الشاب والشيخ و قدم الرجل.

الريافة:

هو معرفة استنباط الماء من الأرض، بواسطة بعض الإمارات الدالة على وجوده
فيعرف بعده وقربه بشم التراب، أو برائحة بعض النباتات فيه، أو بحركة حيوان
مخصوص وهو من فروع الفراسه^(١).

الفراسة:

الفراسة من التفرس في الشيء، وهو إصابة النظر فيه^(٢)، وحققتها
الاستدلال بالخلق على الخلق، وذلك يكون بجودة القريحة، وجدة خاطر،
وصفاء الفكر^(٣)، ولقد اتقنها ال بعض العرب وذلك في معرفة نسب الشخص
والي أي قبيلة ينتمي أو معرفة القرابة بين شخص وآخر بمجرد ملاحظة وجوههم
وبعض أعضائهم .

(١) عبد الحي الكتاني : التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية ،
تحقيق عبد الله الخالدي، دار الأرقم ، ط٢، بيروت، ج٢، ص٦٨.

(٢) نشوان بن سعيد الحميري اليمني : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق حسين
بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر
(بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ١٩٩٩ م، ج٨، ص٥١٥٠.

(٣) محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي : أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطاط، دار
الكتب العلمية، بيروت - لبنان ٢٠٠٣ م، ج٣، ص١٠٦.

وأصبح طب العرب يعتمد على الفراسة، فقد استعان الأعراب بالنبات وبالشجر في مداواة أنفسهم، علمتهم تجاربهم الطويلة القديمة، ما ينفع منها في معالجة ما يصابون به من مرض، فصار لهم طب خاص بهم، يقوم على الملاحظة وعلى التجارب في استخدام النبات في مداواة الإنسان وفي معالجة ماله، ولا زال هذا الطب معمولاً به في البوادي، عند الأعراب^(١)

علم الأنواء :

وعرف عرب الجاهلية حركات الأنواء، وأحوال الجو، والاستدلال منها على تقلبات الطقس. وكانوا يستدلون على هطول المطر قبل نزوله بلون الغيوم، وعرفوا المسالك والاتجاهات، وهي نوع من المعارف الجغرافية تفيدهم في الأسفار، يهديهم إلى ذلك مسامطة الكواكب الثابتة ومنازل القمر، إذ لكل كوكب سمت يهتدى به

(١) جواد على : المفصل ، ج ١٣ ، ص ١٠١ .



خريطة توضح قبائل وأديان العرب قبل الإسلام^(١)

(١) شوقي أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامي ، ط١٢ ، دار الفكر دمشق ٢٠٠٥ ، ص ٢٩ .

الفصل الثاني

البعثة النبوية

وحياة الرسول ﷺ في مكة

- ١- محمد ﷺ قبل البعثة.
- ٢- البعثة النبوية.
- ٣- قيام الدولة الإسلامية في المدينة.

البعثة النبوية وحياة الرسول ﷺ في مكة

١- سيدنا محمد قبل البعثة:

-الرسول منذ ولد إلى أن بُعث:

آن لنا أن نتكلم عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وأن ندخل في نطاق التاريخ الإسلامي، فلنبداً ذلك بالحديث عن نسبه الشريف. هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر، وفهر هذا هو المسمى قريش وهو الجد العاشر لرسول الله ﷺ، ويمتد نسب الرسول ﷺ إلى عدنان الذي هو الجد العشرون للرسول، وعدنان من نسل إسماعيل عليه السلام، وهاشم الجد الثاني للرسول ﷺ كان سفير قريش لدى الملوك، وكثيراً ما كان يقود تجارة قريش إلى الشام، ومات هاشم في إحدى رحلاته التجارية.

-عبد الله بن عبد المطلب:

روى أن رجلا جاء إلى الرسول ﷺ فقال له:.... يا ابن الذبيحين، فلم ينكر الرسول ﷺ عليه ذلك، والذبيح الأول هو إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام، والذبيح الثاني هو أبو الرسول ﷺ عبد الله بن عبد المطلب. نجح عبد الله بذلك من الذبح، ولكن هذه الحادثة أذاعت اسمه وأكسبته شهرة عظيمة، وأصبح موضع عناية الناس وحديثهم وحبهم، وزوجه والده بعد ذلك من آمنه بنت وهب، وعاش معها فترة قصيرة بعد الزواج، ثم تركها وسافر متاجراً إلى الشام. ومات في الطريق دون أن يعود إلى زوجته، ولكن بعد أن أودع بضعها نطفة كان مقدرها لها ان تكون أعظم شخصية في تاريخ البشرية.

فكأنما نجا عبد الله من الذبح لغرض واحد هو الألتقاء بآمنة وتكوين هذا الجنين، وبعد أن أدى عبد الله هذا الغرض أذن بالرحيل.

- مولد محمد وحياته قبل البعثة:

كان محمد ﷺ ثمره هذا الألتقاء القصير، وقد ولد في التاسع أو الثاني عشر من شهر ربيع الأول (٢٠ أبريل سنة ٥٧١م) ^(١) وكان مولده في مكان غير بعيد من الكعبة، ولم ير محمد ﷺ أباه ولذلك كفله جده عبد المطلب، وأرضعته حليلة السعدية، ولما شب عندها أخذ يرعى الغنم، ولما مات جده وهو في الثامنة كفله عمه أبو طالب ^(٢)، وتربى في بيته وساعده في أعماله التجارية، وسافر معه إلى الشام متاجراً قبل أن يبلغ الحلم و أبو طالب أخا شقيقاً لعبد الله، ولذلك كان أرحم أعمام النبي ﷺ به وأولاهم برعايته.

ومن أهم الأعمال التي قام بها محمد قبل البعثة تجارته في مال خديجة بنت خويلد، وقد سافر في هذه التجارة إلى الشام وكان معه غلامها ميسرة،

(١) اتفق جمهور العلماء علي أن ميلاد النبي ﷺ كان في شهر ربيع الأول، ولكنهم اختلفوا في تحديد اليوم، فيذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه كان لليلتين خلتا منه. وقيل لثمان خلون منه، وقيل: كان لعشر خلون منه. وقيل لثنتي عشرة خلت منه، وقيل: لسبعة عشر، وقيل: لثمان بقين منه. وقيل: إنه ولد في رمضان نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار مستندا إلي أنه ﷺ أوحى إليه في رمضان علي رأس أربعين سنة من عمره، فيكون مولده في رمضان، وكان مولده لثنتي عشرة ليلة خلت منه، وكان مولده عام الفيل علي قول الجمهور. ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ص ٤٨؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ص ١٥٨، ١٥٩؛ ابن حبان: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ج ١، ص ٣٤، ٣٣؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج ١، ص ٧٥-٧٧.

(٢) أبو طالب: عم النبي ﷺ وأسمه عبد مناف، زوجته السيدة فاطمة بنت أسد، وهو والد سيدنا علي رابع الخلفاء الراشدين، وكان مهيباً وسيداً مطاعاً في قريش، لَمَّا تُوَفِّيَ جَدُ النَّبِيِّ ﷺ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ضَمَّ أَبُو طَالِبٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ، وَتُوَفِّيَ أَبُو طَالِبٍ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ فِي سَوَالِ أَوْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَعُمُرُهُ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا نَأَلْتُ قُرَيْشَ مِنِّي شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ». ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٢٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦٨٥.

وقد رحبت هذه التجارة ربحاً عظيماً وكانت سبب ارتباط بين محمد وخديجة، وقد توج هذا ارتباط بزواجه منها وهو في الخمسة والعشرين وهي امرأة في الأربعين من عمرها.

فبسط رداءه ووضع الحجر عليه، وقال لتأخذ كل قبيلة بطرف من الثوب، فرفعوه حتى انتهوا إلى موضعه فأخذه الرسول ﷺ ووضع مكانه وكان في عمله هذا من الحكمة ما أَرْضَى الجميع.

بعثة الرسول ﷺ:

هياً مال خديجة للرسول فرصة ليتفرغ للعبادة، فقد تزوج النبي محمد خديجة فاغتني بما لها (أَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) "سورة الضحى" وشملته عناية الله فرأى أن يخلو لله، وشجعته زوجته الصالحة على رغبته فكانت تعد له الطعام، فيأخذه ويذهب إلى غار حراء، حيث يخلو ليفكر في الكون وخالقه.

بدء الوحي:

وظل محمد يخلو ويفكر حتى نزل عليه جبريل يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان، فأجاب الرسول وقد أرهقه الضم والخوف: ما أنا بقارئ. فضمه جبريل مرة ثالثة ثم أطلقه وقال له:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)). "سورة العلق"

وانقطع جبريل عن الرسول ﷺ مدة بعد ذلك، وكان الرسول يترقبه في الغار وخارج الغار، فسمع مرة وهو يمشى صوتاً، فرفع رأسه للسماء، فرأى جبريل

على نحو ما رآه في الغار، فهاب المنظر وارتعب، ورجع إلى بيته في حالة من الخشية، وقال لأهله: دثروني دثروني. فدثروه؛ وجاءه جبريل وهو في هذه الحالة فألقى إليه نداء ربه: «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمُنَّ بِتَسْتَكْبِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)» "سورة المدثر"

مراحل الدعوة :

قلنا آنفاً أن آيات سورة المدثر هي التي أمرت محمداً أن ينذر الناس، وأن يدعوهم لدين الله، وقد بدأت بهذه الآيات مراحل الدعوة للدين الجديد وهذه المراحل ثلاث هي:

- المرحلة الفردية.
- دعوة بني عبد المطلب.
- الدعوة العامة. وستحدث عن كل منها فيما يلي:

المرحلة الفردية:

هي المرحلة الأولى من مراحل الدعوة، وفيها دعا الرسول ﷺ سراً أهل بيته، كما دعا خاصة أصدقائه وكان يدعوهم لمبادئ الإسلام الأولى التي ذكرتها هذه الآية وهي الإيمان بالله ونبذ عبادة الأوثان، فأمن به في هذه المرحلة زوجته

وابن عمه علي بن أبي طالب^(١)، وزيد مولاة، ثم دعا الرسول ﷺ أبا بكر وكانت له به صلة منذ مدة فآمن به، وعن طريق أبي بكر أسلم السابقون الأولون: عثمان بن عفان^(٢)، والزبير بن العوام^(٣)، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن

(١) سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ : هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، ابن عم رسول الله ﷺ ، ولده أبو طالب شقيق عبد الله والد النبي ﷺ ، وأُمُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، يكنى بأبو الحسن وهو أول من صلي مع النبي ﷺ بعد السيدة خديجة ولقد صلي قبل أن يصلي الناس وكان ابن عشر سنين، أرسله النبي ﷺ إلي اليمن قاضيا، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وزوجه النبي ﷺ ابنته فاطمة ، وله العديد من الفضائل ، واستشهد سيدنا علي ﷺ سنة ٤١ هـ. ابن سعد : الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت ١٩٦٨ م ج ٣، ص ١٣-١٤. ابن أبي خيثمة : التاريخ الكبير، تحقيق صلاح هلال، دار الفاروق، القاهرة، ٢٠٠٦ م، ج ١، ص ٣٦١. السهيلي : الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢١ هـ، ج ٧، ص ١٠٧.

(٢) عثمان بن عفان ﷺ : هو عثمان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ينتسب إلي بني أمية؛ ولد في مكة، بعد عام الفيل بست سنوات علي الصحيح، وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، وكان شديد الحياء، عفيف النفس، واللسان، أديب الطبع، أسلم علي يد سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ، هاجر الهجرتين (الحبشة - ويثرب) وزوجه النبي ﷺ بنتيه رقية ثم ابنته ام كلثوم فلقب بذئ النورين ،بذل في عهد رسول الله ﷺ المال الكثير لنصرة للإسلام ، وخاصة في غزوة تبوك ، تولى خلافة المسلمين سنة (٢٣ هـ / ٦٤٣ م)، وقتل سنة (٣٥ هـ / ٦٥٥ م). ابن سعد : الطبقات ج ٣، ص ٣٩-٤٧؛ خليفة بن خياط : طبقات خليفة بن خياط، ص ٣٩ ؛ ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار، ص ٢٤، ٢٣.

(٣) الزبير بن العوام ﷺ: ابن خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَيْرِيِّ بْنِ قُصَيِّ ، هو ابن عمه النبي ﷺ ، وابن أخ السيدة خديجة، أسلم وهو ابن ست عشرة سنة، وقيل ابن اثنتي عشرة سنة، وقيل ابن ثمان سنوات ،وقيل أنه كان رابع أو خامس من أسلم وهو أول من سل سيفه في الإسلام ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة و يلقب بـ حوارى رسول الله ﷺ، وهو زوج السيدة أسماء بنت أبي بكر ﷺ وولدت له عبد الله بن الزبير فكان أول مولود للمسلمين في المدينة، شارك في جميع الغزوات في العصر النبوي، وبعد مقتل عثمان بن عفان خرج إلي البصرة مطالبًا بالقصاص من قتلة عثمان فقتله عمرو بن جرموز في موقعة الجمل، في رجب سنة ست وثلاثين من الهجرة، وله أربع وستون سنة ﷺ. يعقوب بن سفيان : المعرفة والتاريخ ج ١، ص ٢٧٨؛ عز الدين ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب، ج ١، ص ٥٣؛ ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٥، ص ١٠٧، ١٠٨.

عوف^(١)، وطلحة بن عبید الله، وأبو عبیدة بن الجراح^(٢)، ودخل مع هؤلاء مجموعة من الموالي والفقراء. وقد استمرت هذه الدعوة السرية ثلاث سنوات.

دعوة بني عبد المطلب:

هذه هي المرحلة الثانية من مراحل الدعوة، وقد بدأها الرسول ﷺ عندما نزل عليه قوله تعالى "وأندر عشيرتك الأقربين" فدعا بني عبد المطلب ليجتمعوا به، وبلغهم دعوته، فصدق به بعضهم وكذب به آخرون، وكان عمه أبو لهب هو وزوجته من أشد الناس قسوة عليه، فقد هتف به أبو لهب قائلاً: تبا لك، ألهذا دعوتنا؟

(١) عبد الرحمن بن عوف^{رضي الله عنه}: هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة، أمه: الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة، وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وسماه النبي ﷺ عبد الرحمن بعد إسلامه، ولد بعد عام الفيل بعشر سنين على الأرجح، وأسلم علي يد سيدنا أبو بكر الصديق^{رضي الله عنه} وهاجر الهجرتين، وشهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ، وهو أحد السنة الذين رشحهم سيدنا عمر بن الخطاب لتولي الخلافة من بعده، وهو من أثرياء المسلمين وعمل بالتجارة، وتوفي سنة اثنين وثلاثين من الهجرة، وهو ابن خمس وسبعين سنة. الكلبى: جمهرة أنساب العرب، ص ١٤؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، ج ٣، ص ١٢٤-١٣٥؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ٣٠.

(٢) سيدنا أبا عبيدة بن الجراح^{رضي الله عنه}: أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر. أمين الأمة، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ومات شهيداً بطاعون عمواس سنة ثمانى عشرة وله ثمان وخمسون سنة، أسلم أبو عبيدة في مرحلة مبكرة من الدعوة الإسلامية، وهاجر الهجرتين، وشهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها، كان أبو عبيدة أحد القادة الأربعة الذين عينهم أبو بكر لفتح بلاد الشام، ثم أمر أبو بكر خالداً بن الوليد أن يسير من العراق إلى الشام لقيادة الجيوش الإسلامية فيها، فلما ولي عمر بن الخطاب الخلافة عزّل خالداً بن الوليد، واستعمل أبا عبيدة، فقال خالد: «وَلِي عَلَيْكُمْ أَمِيْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»، وقد نجح أبو عبيدة في فتح دمشق وغيرها من مُدُنِ الشَّامِ. توفي أبو عبيدة سنة ثمانى عشرة بسبب طاعون عمواس وسنه ثمان وخمسون سنة. الإمام مسلم: الكنى والأسماء، تحقيق عبد الرحيم القشقرى، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٤م، ج ١، ص ٥٨٨؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٢٣، ٢٢٤؛ ابن قنفذ القسطنطيني: الوفيات، ص ٣٠.

الدعوة العامة:

نزل قوله تعالى ((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)) فانطلق الرسول يدعو للإسلام جهراً كل طوائف الناس، يدعو السادة والعبيد يدعو الأقربين والغرباء، يدعو أهل مكة ثم يتجاوزها إلى البلاد الأخرى، وكذلك يدعو الحجاج الذين يفتدون إلى مكة من مختلف البلدان وقد أسلم في هذه المرحلة الوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام أخو أبي جهل وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وجماعة غيرهم أراد الله لهم الهداية

مقاومة قريش وأسبابها ومراحلها:

نستطيع من دراستنا لحياة العرب وأخلاقهم قبل الإسلام أن نستنبط أسباب مقاومتهم للإسلام وللمسلمين، وتلك الأسباب هي:

١- كان الرق منتشراً في الجزيرة العربية انتشاره في كل بلاد العالم، وكان العبد رقيق العقل والقلب بالإضافة إلى الرق الجسماني، بمعنى أنه لم يكن له أن يتدين بغير دين سيده، ولا يجب أو يكره إلا تبعاً لحب سيده وكرهه.

ودخل بعض العبيد الإسلام كما قلنا، ورحب بهم محمد، واعتبر السادة هذا التصرف تمرداً من العبيد، كما اعتبروا محمداً مثيراً للفتن.

٢- كان الصراع في الجزيرة العربية يدور لأنفه الأسباب، فإذا جاء دين جديد يهاجم معتقدات القوم، فما أجدرهم أن يهبوا في وجهه ليرضوا ما بأنفسهم من شوق للغارة والحروب.

٤- المساواة بين السادة والعبيد: كان العرب يهتمون بالطبقات اهتماماً شديداً.

مراحل المقاومة:

كانت مراحل المقاومة ثلاثاً، إذ اتجهت أولاً إلى العبيد والضعفاء، وثانياً إلى سواهم من المؤمنين، وثالثاً إلى الرسول نفسه، وستتكلم عن كل من هذه المراحل على حدة فيما يلي:

العدوان على العبيد والضعفاء:

هجرة المسلمين إلى الحبشة:

لما نزل الأذى بالمسلمين، وأصابهم البلاء من قريش^(١)، وأصبحت حالة المسلمين تدعو للأسى بسبب ما لاقوه من قريش من إيذاء وهجوم، بدأ الرسول يفكر في بلدة أخرى يرسل لها المسلمين المستضعفين ليعدوا عن قريش وعن هجمات قريش، أما المسلمون الأشداء فقد بقوا بمكة يحيطون بالرسول ويدفعون بهيبتهم العدوان عن أنفسهم، ومن هؤلاء علي بن أبي طالب عليه السلام وطلحة بن عبيد الله وكثيرون سواهما.

وكانت هجرة المسلمين إلى الحبشة على مرحلتين تعرفان بهجرة الحبشة الأولى، وهجرة الحبشة الثانية، وكانت الهجرة الأولى في السنة الخامسة للدعوة وقوامها أحد عشر رجلاً وأربع نساء فيهم عثمان بن عفان وزوجته رقية ابنة الرسول والزيبر بن العوام وأبو حذيفة وامراته، وكان عثمان بن مظعون رئيس هؤلاء المهاجرين^(٢).

أما الهجرة الثانية فقد حدثت بعد ذلك بأشهر قلائل واشترك فيها ثمانون رجلاً وامراً واحدة هي أم حبيبة بنت أبي سفيان مع زوجها عبيد الله بن

(١) لمزيد من التفاصيل عن أذى المشركين للنبي ﷺ أنظر: ابن اسحاق: السير والمغازي، ١٥١-١٦٧؛ الواقدي: المغازي، ج١، ص ١٨٤؛ ابن حبان: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ج١، ص ٧٢-٧٤-٢١٤؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج١، ص ٦٤-٦٦؛ ابن عبد البر: الدرر، ص ٥٥-٥٧.

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية ج٣ ص ٨٤، ٨٥.

جحش، وكان جعفر بن أبي طالب (١) زعيم المهاجرين في هذه المرة، وبعد فترة قصيرة اتصل بمن كان في أرض الحبشة من المهاجرين خبر إسلام عمر ومجاهرتة بالعبادة، فتشجع بعضهم للعودة ليشارك عمر شجاعته وثباته ونضاله.

وقد أحست قريش عقب هجرة المسلمين إلى الحبشة أن اختيار المسلمين للحبشة سببه استعداد النجاشي لإكرامهم، وأمنهم على نفوسهم ودينهم في مغرتهم، فقررت أن تكيّد للمغترين لتحرّمهم هذا الملجأ، فأختارت لذلك عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وأرسلتهما إلى النجاشي، وكان لعمرو بن العاص جاه في الحبشة وفي بلاط النجاشي، وأرسلت مع البعثة مجموعة كبير من الهدايا للنجاشي وبطارقته، وأذاعت أن المسلمين يقولون في عيسى وفي أمه قولا عظيما فعقد النجاشي مجلساً استمع فيه لرأى جعفر ابن أبي طالب في هذه التهم، وقد نجح جعفر في عرض الفكر الإسلامى مما جعل النجاشي يقول: إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة، ويقال إنه آمن بالإسلام فثار عليه قومه لذلك، وفي العام السابع للهجرة أرسل الرسول من حمل هؤلاء المهاجرين في سفينتين وأحضرهم إلى المدينة، وكان ذلك عقب استسلام خيبر، ويروى أن الرسول ﷺ قال عندما رأى جعفر بن أبي طالب، ما أدري بأيهما أنا أسر، بفتح خيبر أم بقدم جعفر.

إسلام حمزة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ونتائج ذلك:

(١) جعفر بن أبي طالب ﷺ : ابن عم النبي ﷺ ، وهو أخو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وكان أسن من علي بعشر سنين من السابقين إلي الإسلام ، وكان رسول الله ﷺ يسميه أبا المساكين، و هَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ، لُقِبَ بِالطَّيَارِ ، استشهد يوم مؤتة سنة سبع، أبناؤه عَبْدُ اللَّهِ، وَعَوْنٌ، وَمُحَمَّدٌ. خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ط٢، تحقيق أكرم ضياء العمري ، دار القلم ، مؤسسة الرسالة - دمشق ، بيروت ١٣٩٧، ص ٨٦ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام، ج ١، ص ٣٢٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج ٤، ص ٢٥٦.

وبينما كانت الدعوة بين إسرار الرسول ﷺ وكفاح قريش، إذ دخلها في السنة الخامسة للدعوة بطلان عظيمان هما حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقد كانا معروفين بالقوة والصلابة فعز بهما الإسلام واشتد الأمل في انتصاره .

مقاطعة بني هاشم:

وانتقل العداء خطوة جديدة، فقد أدركت قريش أن قوة محمد ﷺ مصدرها أهله الذين يحمونه ويدافعون عنه، سواء منهم من اتبع دينه أو من بقى على دين آبائه وأجداده؛ ولهذا عزمت قريش على مخاصمة بني هاشم جميعاً، ورغبة عن الحرب وما تجره من ويلات اتجهوا في مقاومتهم لبني هاشم اتجاهاً سلبياً ولكنه عنيف، فاجتمعت قريش وكتبت صحيفة قررت فيها مقاطعة بني

هاشم

- ١- فلا يتزوجون منهم ولا يزوجهوهم.
- ٢- ولا يبيعون لهم ولا يشترون منهم،
- ٣- ولا يكلموهم، ولا يزورون مرضاهم ولا يشيعون موتاهم،
- ٤- وأكرهوهم أن يلزموا الشعب وهو طريق بين جبلين..

وقد كانت هذه المقاطعة قاسية جداً على بني هاشم، مسهم بسببها الضر بل الجوع والحرمان، وقد استمرت حوالي ثلاث سنوات، ولم تنقض إلى بعد أن أشفق بعض القرشيين على بني هاشم بسبب ما نالهم من أذى وعذاب فمزقوا هذه الوثيقة وعادوا إلى الاتصال بهم.

ومما يذكر عن نهاية الصحيفة أن الله بعث عليها الأربعة، أتت على كل شيء، ولم تدع إلا اسم الله جل وعلا، وقد أوحى الله لمحمد بذلك، فنقل ذلك

إلى عمه أبي طالب، فتحدى أبو طالب جماعة المشركين، وأحضروا الصحيفة فظهر صدق محمد، ومع هذا اعتبروا ذلك سحراً وزاد بغيهم وعدوانهم. ولكن كان بين المشركين نفر عارضوا المقاطعة ومشوا في نقض الصحيفة، ومن هؤلاء هشام بن عمرو بن الحارث وهو كاتب الصحيفة، وأبو البختري العاص بن هشام والمطعم بن عدى، وزهير بن أبي أمية وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمه رسول الله، وزمعة بن الأسود.

وفاة أبي طالب وخديجة:

وفي السنة العاشرة للدعوة فقد الرسول ﷺ أعظم أثنين ساعدها وكانا له قوة وملاذاً في نضاله لنشر الإسلام، هما أبو طالب وخديجة

بيعة العقبة الأولى:

وكان النبي ﷺ يستغل أية فرصة للقاء وفود العرب إلى مكة، وفي هذه المرة التقى برهط من قبيلة الخزرج وذلك عند العقبة وكان عددهم ستة رجال فدعاهم إلى الإسلام وأسمعهم بعض آيات القرآن الكريم فأجابوه وصدقوه وقبلوا ما عرض عليهم، وقالوا للنبي ﷺ سنقدم على قومنا يثرب ونعرض عليهم هذا الدين فإن أيدوك فلا يكون أعز منك ورجعوا إلى يثرب وذكروا لأهلهم وذويهم وقومهم ما ذكره رسول الله ﷺ لهم، حتى انتشرت دعوته في كافة بيوت يثرب واشتاقوا لمقابلته وكانت هذه المقابلة في العام الحادى العشر من البعثة النبوية.

وفي نفس العام قدم وفد من قبيلة الأوس يطلب مخالفة قريش ضد قبيلة الخزرج، فأتاهم الرسول ﷺ ودعاهم إلى الإسلام فقال أحدهم وهو إياس بن معاذ: هذا والله خير مما جئنا له، ثم عاد وفد الأوس إلى يثرب دون أن يعقدوا حلفاً مع قريش، وكان الأوس والخزرج يسمعون من يهود المدينة أن نبياً سوف

يبعث ويتوعدونهم به إذا حاربوهم، ولذلك لما رأى الأوس النبي ﷺ ولاحظوا أمارات الصدق عليه وقال بعضهم لبعض والله هذا الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقنكم إليه وانصرفوا إلي بلدهم.

فلما كان العام المقبل وفد إلى مكة اثنا عشر، منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، فبايعوا الرسول عند العقبة، وتعرف تلك البيعة ببيعة العقبة الأولى "بيعة النساء"، واجتمعوا وعاهدتهم النبي ﷺ على ألا يشركوا لعبادة الله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلون الأولاد ولا يأتون ببهتان ولا يعصون النبي ﷺ، وبعث معهم الرسول ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن مناف بن عبد الدار وأسعد بن زرارة ليقارئهم القرآن ويدعوهم إلى عبادة الله، وأصبح الإسلام بين الرجال والنساء وفي كل دار يثرب.

بيعة العقبة الثانية:

وفي العام التالي الموافق الثالث عشر من البعثة خرج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من الأوس والخزرج، من المسلمين الذين أسلموا حديثاً قاصدين مكة، فقدم إليهم النبي ﷺ ومعه عمه العباس وكان على دين قومه، ولكنه صحب ابن أخيه ليتوثق له، وكان معه أبو بكر الصديق ﷺ وعلى بن أبي طالب ﷺ وتحدث العباس إلى الأنصار وذكر لهم أن محمداً في عز من قومه ومنعة في بلده ولكنه فضل الإنحياز إلى أهل يثرب، وطلب منهم أن يتاعهوا على حمايته ورد عليهم أحد رجال الخزرج وهو البراء بن معرور أنهم صادقون في عزمهم وقام النبي ﷺ ورغبهم في الإسلام وتلا بعض آيات القرآن الكريم فقبلوا دعوته وبايعوه وتعاهدوا له بالدفاع عنه ورحبوا بهجرته إلى مدينتهم.

فتبسم الرسول ﷺ وقال: "بل الدم الدم الهدم الهدم" أنتم مني وأنا منكم وسالم من سالمتم وأحارب من حاربتكم.

هجرة الرسول ﷺ من مكة على يثرب:

لما علمت قريش نبأ تحالف الرسول ﷺ مع عرب يثرب في بيعة العقبة الثانية، اضطرت إضطراباً شديداً، واشتد أذاها على المسلمين، فأذن الرسول لأتباعه بمكة في الهجرة إلى المدينة، وقال "إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها"، فتجهزوا إليها في ستر وخفاء وصاروا يتعاونون بالمال، وكان كل مهاجر من قريش وحلفائهم يستودع دوره وماله رجلاً من قومه، وخرج المسلمون جماعة بعد جماعة، حتى لم يبق بالمدينة إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ومن اعتقله المشركون كرهاً.

ولما بلغ قريش تأهب الرسول ﷺ الهجرة إلى يثرب اجتمع رجالها بدار الندوة يتشاورون فيما يصنعون في أمره فاتفق رأيهم على قتله، فاعلنه الله بذلك وخرج من داره ليلاً بعد أن أمر علي بن أبي طالب ﷺ أن ينام على فراشه وقابل أبا بكر الصديق وأخبره أن الله قد أذن له في الخروج من مكة، فطلب منه أن يصحبه في هجرته، فأجابته إلى ما طلبه ومضى به إلى غار بجبل ثور.

كانت قريش تترقب حركات الرسول ﷺ وانتدبت من تتبع أثره حتى وصل بعضهم إلى الغار، فأوجس أبو بكر خيفة وأخذ الرسول ﷺ يهدأ من روعه.

فلما مضت ثلاث ليالي على الرسول ﷺ وأبي بكر وهما بالغار وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتي إليهما كل مساء بالطعام والشراب وعبد الله بن أبي بكر يأتي إليهما كل مساء بالأخبار وماتريد قريش أن تفعل.

وفي اليوم الرابع ارتحل النبي وأبو بكر بعد أن أستأجر دليلاً يسمى عبد الله بن أريقط^(١) وصاحبهما أيضاً عامر بن فهيرة^(٢) مولى أبي بكر الصديق إلى يثرب وصاروا في طريق يثرب حتى بلغ قباء - على بعد ميلين من المدينة - فنزل الرسول ﷺ على بني عمرو بن عوف وأقام عندهم أربعة أيام وأسس بقباء مسجداً، ثم خرج يوم الجمعة راكباً ناقته فلما أتى بني سالم صلى الجمعة بمن معه من المسلمين وهم إذ ذاك مائة وهي أول جمعة أقامها الرسول ﷺ في الإسلام.

ركب الرسول ﷺ على راحلته بعد صلاة الجمعة متوجهاً إلى يثرب وكان كلما مر على دار من دور الأنصار يدعونه إلى المقام عندهم قائلين: يارسول الله هلم إلى القوة والمنعة، فيقول خلو سبيلها (يعني ناقته) فإنها مأمورة، ولم تنزل ناقته سائرة به حتى أتت دار بني مالك بن النجار وبركت في مرید لغلामين يتيمين من بني النجار، ثم نزل الرسول ﷺ عنها وحمل أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري رحله وأضافه في داره، وأشتري الرسول ﷺ المرید بعشرة دنانير وأمر أن يبني في مكانه مسجد للمسلمين، ويبني إلى جانبه مساكنه التي انتقل إليها بعد

(١) عبدالله بن اريقط : عبد الله بن أريقط اللثي الديلي هو دليل النبي محمد وأبي بكر الصديق ومرافقهما في طريق هجرتهما من مكة إلى مدينة استأجره ابو بكر ليكون دليلها في الرحلة كان ماهرا خريتا فطن علي دراية واسعة بأمر الصحراء. الديار بكري: تاريخ الخميس ، ج ١ ، ص ٣٩٥.

(٢) عامر بن فهيرة : ولد عامر بن فهيرة التيمي سنة ٣٦ قبل الهجرة، وكنيته أبو عمرو من قبائل الأزدي، كان مملوكاً للطُّفيل بن عبد الله الأزدي. أسلم وهو مملوك، فاشتراه سيدنا أبو بكر من الطُّفيل وأعتقه، وكان رفيق رسول الله ﷺ وأبي بكر في هجرتهما إلى المدينة. وهو من كتابة الوحى ، وشهد بدرًا وأحد ، قُتل في يوم بئر معونة شهيداً على يد جبار بن سلمى الكلابي ، وهو ابن أربعين سنة . الواقدي : المغازي ، ج ١ ، ص ٣٤٩ - ٣٥٢؛ الجوهره في نسب النبي وأصحابه العشرة ، تعليق : محمد التونجي ، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، الرياض ١٩٨٣م ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .

أن استغرق بنائها سبعة أشهر قضاها في ضيافة أبي أيوب الأنصاري، ومنذ هاجر النبي ﷺ إلى يثرب أطلق عليها اسم المدينة وهو العام الذي هاجر فيه هو أول التاريخ الهجري.



خريطة توضح هجرة النبي ﷺ إلى المدينة (١)

(١) شوقي أبو ضيف: أطلس التاريخ الإسلامي، ط١٢، دار الفكر دمشق ٢٠٠٥، ص ٢٩.

١ - تنظيم الحياة العامة في مجتمع المدينة:

كان أول ما فعله النبي في المدينة هو بناء مسجد اتخذ منه مكاناً للعبادة وإدارة دفة الأمور. فكان هذا المسجد بمثابة دار للحكومة الإسلامية^(١). وكانت الخطوة الحاسمة في تكوين الأمة الإسلامية هو ما بدأ به الرسول من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فصار لكل مهاجر أخ من الأنصار، يشركه في بعض ماله وداره، بل ويرث كل منهما الآخر، وذلك بقصد بث الطمأنينة في قلوب المهاجرين، وإبعاد الإحساس بالغربة عن نفوسهم، وبذلك بدل النبي ﷺ نظام «الأحلاف» الذي كان سائداً في الجاهلية إلى نظام المؤاخاة^(٢). وأظهر أهالي يثرب من المسلمين إخلاصاً عجيباً للنبي ﷺ وتطبيق أوامره وطبقوا سلوك الأخوة مع المهاجرين بحب وسعادة عجيبة ، وهو الأمر الذي امتدحه القرآن الكريم في قول الله تعالى: **{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** (٣) .

(١) ابن هشام : السيرة النبوية، ج ١، ص ٤٩٦ ؛ ابن خلدون : العبر، ط ٢، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨ م، ج ٢، ٤٢١، ٤٢٢؛ محمد سهيل طقوش : تاريخ الخلفاء الراشدين، دار النفائس، بيروت ٢٠٠٣ م، ص ٣١٩، ٣٢٠.

(٢) ابن عبد البر : الدرر، ص ٨٨- ٩٠؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم - بيروت ١٩٩٣، ج ١، ص ٢٣١، ٢٣٢؛ أحمد عجاج كرمي : الإدارة في عصر الرسول ﷺ، دار السلام ، القاهرة ١٤٢٧ هـ، ص ٧٨، ٧٧.

(٣) سورة الحشر : الآية : ٩ .

كما وضع النبي ﷺ أسس التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الإسلامي في المدينة وخاصة عندما فرضت الزكاة، فتيسرت سبل العيش على الفقراء من المسلمين.

وكان هذا الأمر يقتضى تنظيماً معيناً يحدد الحقوق والواجبات لكل عشيرة أو طائفة أو جماعة من سكان المدينة، فكتب الرسول كتاباً بين فيه ذلك. وقد ورد نص هذا الكتاب أو الصحيفة عند ابن اسحاق، وعنه نقله ابن هشام .

والصحيفة تحدد العلاقات والحقوق والواجبات بين كل سكان المدينة، المقيمين فيها من قبل والمهاجرين الوافدين إليها، واعتبرتهم جميعاً سواء ، وتحديد علاقتهم مع أعدائهم ، و كانت خطوة هامة في إعلان ميلاد دولة الإسلام بقيادة النبي ﷺ باعتراف جميع أطرافها بنص صريح هو: «وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلي الله عزّ وجلّ، وإلي محمد رسول الله ﷺ (١). كانت الصحيفة من أكبر الأدلة على عبقرية الرسول ﷺ وبنودها تدل على حنكته السياسية ومقدرته الفائقة على سوس الناس بل الدنيا بأسرها (٢).

و الصحيفة تتضمنت النواحي الآتية:

أولاً: إرساء مبدأ الوحدة الإسلامية:

فالمسلمون أمة واحدة فهم أمة واحدة من دون الناس.

ثانياً: تنظيم العلاقة بين المسلمين في المدينة:

(١) لمزيد من التفاصيل عن وثيقة المدينة أنظر: ابن هشام : السيرة النبوية، ج٢، ص١٠٦ -

١٠٨ ؛ السهيلي : الروض الأنف، ج٤، ص ٢٤٠-٢٤٣ .

(٢) أبو زهرة : خاتم النبيين ﷺ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٤٢٥ هـ ، ج٢ ، ص٤٩٩ .

- ١- فلا يتحالف بعضهم ضد البعض الآخر.
- ٢- التضامن والتعاون بين أفراد الجماعة الإسلامية لأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس.
- ٣- تنظيم مسائل السلم والصلح مع الأعداء فلا يحل لبعض المسلمين أن يسالموا أعداءهم دون البعض الآخر.
- ٤- التعاون ضد من يعتدى على المدينة فسكانها "بينهم النصر على من دهم يشرب".
- ٥- يتكافل المسلمون جميعاً ضد من ظلم أو اعتدى أو أفسد ولو كان ابن أحدهم .
- ٦- عدم نصرة وعدم إيواء من يرتكب جريمة، فلا جوار لظالم أو معتدى أو مجرم
- ٧- من ارتكب جريمة قتل، فعليه القصاص إلا إذا رضى ولى القتل بالدية، والمسلمون جميعاً على القاتل حتى يقتص منه لأنه.
- ٨- ولضمان تحقيق ذلك أسندت الصحيفة السلطة القضائية للنبي، لأنه "ما كان من بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله.

ثالثاً: تحديد العلاقة مع قريش:

- ١- منع مشركى المدينة من إجارة مشركى مكة.
- ٢- منع المسلمين فى المدينة من إجارة قريش أو حلفائها.
- ٣- لقريش وحلفائها حق الصلح إذا طلبوه إلا من حارب منهم دين الإسلام. "فإذا دعوا إلى صلح يصالحونه، فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين..."

رابعاً: تنظيم العلاقة مع اليهود في المدينة:

١- إقرار الحرية الدينية لليهود المدينة "فليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يهلك إلا نفسه وأهل بيته".
 ٢- يتمتع اليهود بالمساواة التامة مع المسلمين في الحقوق والواجبات "وإنه من تبعنا عن يهود" فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم".
 ٣- يقوم اليهود بتمويل أنفسهم عند قتال من يعتدى على المدينة بل ويتكافل ويتضامن الطرفان (اليهود والمسلمون) في الأنفاق حتى النصر ضد من يجارب أهل المدينة حسب نص الصحيفة "وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين".

٤- التعايش السلمى بين الطرفين.

وبذلك كانت الصحيفة خطوة هامة في إعلان ميلاد دولة الإسلام بقيادة النبي ﷺ باعتراف جميع أطرافها بنص صريح هو: «وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلي الله عز وجل، وإلي محمد رسول الله ﷺ» (١). كانت الصحيفة من أكبر الانتصارات السياسية التي أحرزتها الحكومة الإسلامية بقيادة الرسول ﷺ (٢) ودلالة كبيرة على فطنة وعبقرية الرسول ﷺ .

(١) لمزيد من التفاصيل عن وثيقة المدينة أنظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ١٠٦ - ١٠٨؛ السهيلي: الروض الأنف، ج٤، ص ٢٤٠ - ٢٤٣؛ محمد حميد الله: الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط٧، دار النفائس لبنان ٢٠٠١م، ص ٥٧ - ٦٢.
 (٢) أبو زهرة: خاتم النبيين ﷺ، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤٢٥ هـ، ج٢، ص ٤٩٩.

الفصل الثالث

الصراع بين مكة والمدينة

- غزوة بدر سنة ٢هـ.
- غزوة أحد سنة ٣هـ.
- غزوة الأحزاب (الخندق) ٥هـ.
- صلح الحديبية سنة ٦هـ.
- غزوة مؤتة ٨هـ.
- فتح مكة ٨هـ.
- حجة الوداع سنة ١٠هـ.

الصراع بين مكة والمدينة :

لقد فرض الجهاد على المسلمين في السنة الثانية من الهجرة ، وذلك لعدة أسباب منها دفع الاعتداءات عن المسلمين من قبل الكفار ، وحماية للدين، وخصوصا أن مكة وأهلها قد بذلوا العديد من المحاولات لعدم وصول النبي ﷺ إلى المدينة واتخذوا مواقف عدائية ضد النبي ﷺ والمسلمين ، وقاموا بتحريض قادة المدينة عليهم لإخراجهم منها ، ولذلك خرجت السرايا والغزوات العسكرية الدفاعية أو الهجومية^(١) بقيادة النبي ﷺ والصحابة (فبلغ عدد السرايا

(١) فقد احتوت الغزوات علي شتي صور وأشكال العمليات الحربية كما يلي : عمليات الإغارة ودوريات القتال والردع والتأثير المعنوي مثل: غزوة ودان - بواط - العشيرة - بدر الأولى - بني سليم - ذي أمر - بحران - ذات الرقاع - بدر الآخرة - دومة الجندل - بني المصطلق - بني لحيان - الحديبية - عمرة القضاء، الغزوات الدفاعية مثل: غزوة بدر الكبرى - أحد - الخندق، الغزوات الهجومية مثل: غزوة فتح مكة - غزوة حنين - تبوك، غزوات المطاردة مثل: غزوة السويق - حمراء الأسد - ذي قرد، غزوات الحصار والقتال في القري الحصينة مثل: غزوة بني قينقاع - بني النضير - بني قريظة - خيبر - الطائف. محمد جمال الدين محفوظ : تحليل نوعي وكمي لغزوات النبي صلي الله عليه وسلم، متاح علي الإنترنت :

<https://www.alukah.net/sharia/0/31155/#ixzz6PwUMEGWE>

ثلاث وسبعين سرية^(١) ، وبلغ عدد الغزوات (سبع وعشرون، وقيل ثمان وعشرون غزوة)^(٢)

غزوة بدر: (١٧ رمضان ٢هـ / ١٤ مارس ٦٢٤م):

سبق تلك الغزوة بشهرين سرية أرسلها الرسول ﷺ في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة، تضم ثمانية من المهاجرين، وعلى رأسها عبد الله بن جحش وأمره أن يتبع تعليماته في كتاب أمره ألا يفضه إلا بعد مسيرة يومين وكانت هذه التعليمات تقضى أن تنزل تلك السرية في مكان يسمى نخلة بين مكة والطائف، وأن ترصد أخبار قريش.

تلى ذلك في شهر رمضان أن ندب الرسول ﷺ نفراً من المسلمين للوقوف على أخبار قافلة لقريش يقودها أبو سفيان بن حرب بن أمية، وكانت قادمة من الشام إلى مكة، وكان هذا هو السبب المباشر لغزوة بدر الكبرى. ذلك أن أبا سفيان أرسل إلى قريش يخبرها بتعرض المسلمين لتجارها وفي نفس الوقت اتخذ أبو سفيان لقافلته طريقاً آخر على ساحل البحر حتى نجا بها، وأرسل إلى قريش يخبرها بذلك ويطلب منها العودة إلى مكة وكانت قريش قد تملكها الغضب من المسلمين واشتد بها الخوف على تجارتها وخافت أن

(١) لمزيد من التفاصيل عن سرايا النبي ﷺ أنظر:الواقدي : المغازي، ج١، ص٩- ١٠٧٩ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٢، ص ١١-٥٥؛ نزار محمود قاسم : الأطلس الجغرافي الإلكتروني لسرايا النبي ﷺ متاح على الإنترنت : [http://www.islamsyria.com/portal/uploads/CMS/maktabah/hgh;gshg\[yvht.d.pdf](http://www.islamsyria.com/portal/uploads/CMS/maktabah/hgh;gshg[yvht.d.pdf)

(٢) لمزيد من التفاصيل عن غزوات الرسول أنظر: ابن اسحاق : السيرة، ص٣٠٣- ٣٢٥؛ ابن حبان : السيرة النبوية ج١، ص١٥٢- ٣٦٦؛ الخركوشي : شرف المصطفى، ج٣، ص١٣- ٧٨؛ ابن حزم : جوامع السيرة النبوية، ص٧٧- ٢٠٠.

تلاقى مصير القافلة السابقة، لذلك أرادت أن تظهر لمحمد مدى قوتها، فزحفت في جيش يبلغ عدده ما بين التسعمائة والألف، بينما كان الرسول ﷺ ومن معه من المهاجرين والأنصار في عدد قليل لا يزيد عن ثلاثمائة وخمس رجال.

عقد الرسول ﷺ مجلس الحرب لأخذ الرأي والمشورة، لأنه أراد أن يستوثق من الأنصار وكان قد عاهدهم على الدفاع عنه داخل بلدهم يثرب وفي هذا المجلس أيد الأنصار خطته في حرب قريش والتصدى لعدوانها وقالوا له فيما قالوا: "لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد". عندئذ تقدم الرسول وجيشه ونزل عند ماء من بدر، فأشار عليه أحد الصحابة "الحباب بن المنذر" فنفذ الرسول مشورته، وأمطرت السماء في تلك الليلة مطراً غزيراً ناحية معسكر قريش، فأعاقت خيلهم عن سرعة الحركة، ورذاذاً خفيفاً ناحية معسكر المسلمين، فساعدت إبلهم على سرعة التحرك، وأصاب المسلمين النعاس ليلة المعركة فأصبحوا في أتم نشاط وعافية، بينما باتت قريش قلقة ساهرة: وكان النظام يسود جيش المسلمين الذي كانت قيادته العليا لشخص واحد هو النبي ﷺ، بينما لم تتوافر هذه الميزة الهامة لجيش قريش، فلم تكن له قيادة عليا موحدة بعد أن ظهر الخلاف بين زعماء قريش في مكة بعد أن نجحت قافلته وأموالها.

ونتج عن هذا الخلاف في الرأي الذي ساد زعماء قريش أن عادت بعض القبائل إلى مكة دون أن تشترك في قتال المسلمين. هذا في الوقت الذي كان المسلمون يشتعلون حماساً وفداية وشوقاً إلى لقاء العدو حتى إنهم قالوا للنبي ﷺ: "والله لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا

رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك".
وقد صدق المسلمون في ذلك كل الصدق، فكانوا يندفعون إلى القتال طلباً للشهادة والجنة (١).

١. تضحية وفداء وإيثار وفداية وحب وإخلاص تام لله ورسوله، دعمه مدد السماء من تأييد الله لهم بالملائكة، يبين ذلك قوله تعالى ((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ)) (٢)
واشتبك الفريقان في معركة طاحنة انتصر فيها المسلمون رغم قلة عددهم وأسروا سبعين من رجالات قريش وقتلوا سبعين آخرين، من بينهم بعض رعوس الكفر مثل أبوجهل وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة أخو هند زوجة أبي سفيان، أما أبو لهب فقد مات غما وكمدا بعد أن سمع بنتيجة المعركة وغنم المسلمون كثيراً من الإبل والخيل والسلاح، ولم يستشهد منهم سوى أربعة عشر فقط.

أسباب انتصار المسلمين على قريش:

١- القيادة الموحدة في المعركة.

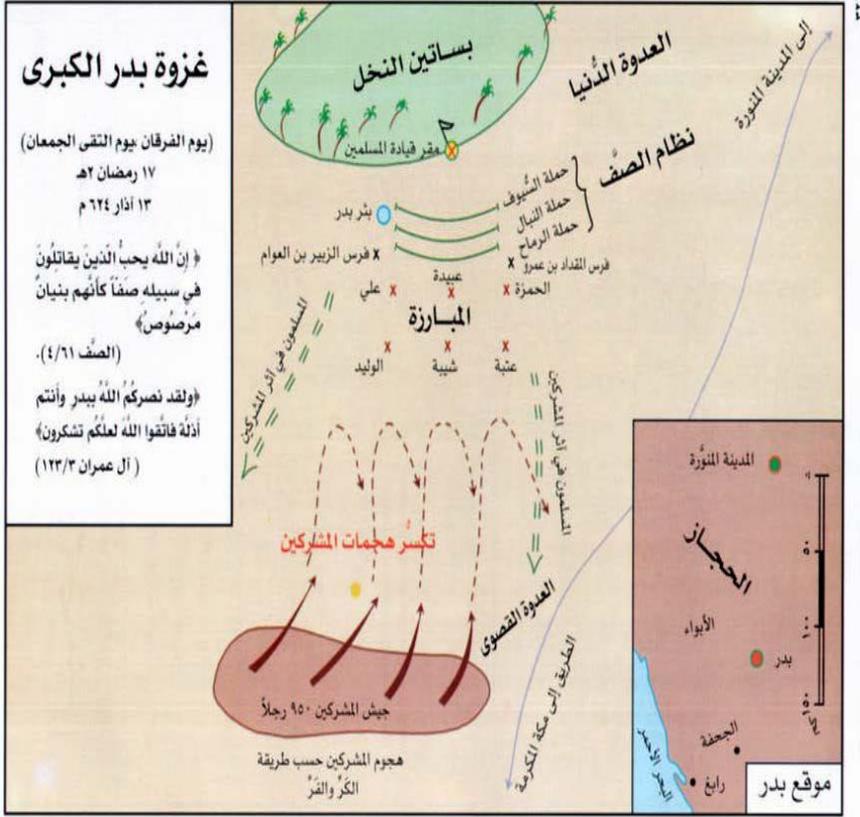
(١) ابن سعد الطبقات الكبرى ، ج ٢ ، ص ١٩ .

(٢) سورة الأنفال آية ١٣ .

- ٢- التعبئة الجيدة التي طبقها الرسول ﷺ، ولا تختلف كثيراً عن التعبئة الحديثة في حروب الصحراء إذ كان لهم مقدمة ومؤخرة واستفاد من دوريات الاستطلاع، واستخدام أسلوب الصفوف في القتال.
- ٣- العقيدة الراسخة لدى المسلمين حيث كان هدفهم إما النصر أو الشهادة.
- ٤- أن الله أمد المسلمين بالملائكة تقاتل معهم.
- ٥- المعنويات العالية لدى المسلمين حيث شجع الرسول ﷺ أصحابه قبل القتال ورفع من معنوياتهم.

نتائج غزوة بدر:

- ١- تهديد طرق تجارة قريش والتي كانت عصب حياتهم.
 - ٢- أضعفت هيبة مكة ونفوذها على العرب.
 - ٣- زادت في قوة الإسلام وعززت الدولة الإسلامية في المدينة.
 - ٤- دخول كثير من أهل المدينة في الإسلام.
 - ٥- إزدياد التضامن بين المهاجرين والأنصار.
 - ٦- تشريع خمس الغنائم مما دعم بيت المال في الإسلام.
 - ٧- مقتل سبعين من المشركين من بينهم أبو جهل وأمية بن خلف.
 - ٨- أسر سبعين من المشركين.
 - ٩- استشهاد أربعة عشر من المسلمين.
- يستفاد من غزوة بدر أن النصر ليس بالكثرة وأن الصبر والثبات يؤدي إلى النصر كما يستفاد أن الشورى واجبة في التخطيط في الحروب.



خريطة توضح غزوة بدر الكبرى (١)

(١) شوقي أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامي ، ص ٣٢ .

٢- غزوة أحد: (شوال ٣هـ/مارس ٦٢٥م).

استعدت قريش طوال عام كامل لتلك الموقعة، وعبأت قواتها واستعانت بحلفائها من ثقيف وحمارة وكنانة وبالأحباش، ولما أتمت استعدادها خرجت في ثلاثة آلاف مقاتل بين فارس وراجل بقيادة أبي سفيان بن حرب بن أمية، وزحفت نحو المدينة وعسكرت في وادي يطل عليه جبل أحد شمالى المدينة، وزحف المسلمون إليهم في نحو ألف مقاتل من الأنصار والمهاجرين، وانتصر المسلمون في بداية المعركة لكن الرماة خالفوا أوامر الرسول ﷺ بالبقاء في أماكنهم بالجبل ليحموا ظهور المسلمين ونزلوا ميدان المعركة لجمع الغنائم والأسلاب، ظنا منهم أن المعركة قد انتهت، فكر المشركون على المسلمين وطوقوهم. وكان خالد بن الوليد قد استطاع أن يتسلل خلف المسلمين بفرسانه، فزلزل المسلمون ووقعوا بين قتيل وجريح ومهزوم، وجرح النبي نفسه وكاد يقتل، وهكذا انتهت هذه المعركة بهزيمة المسلمين، وترجع هذه الهزيمة إلى عوامل عدة:

١- الاختلاف الذى وقع بين صفوف المسلمين منذ اللحظة التى علموا فيها بزحف قريش وحلفائها نحوهم. فالرسول ومعه كبار الصحابة كان ير إزاء كثرة عدد جيش قريش ألا يغامر بلقائها فى أرض مكشوفة، وفضل أن يتحصن فى المدينة ذات الأزقة الضيقة والحصانة الطبيعية.

٢- مخالفة رماة المسلمين لأوامر النبي ﷺ. وكان النبي ﷺ قد جعل الجبل خلف ظهور المسلمين ليحميهم، ووضع فوق هذا الجبل خمسين من الرماة ليمنعوا العدو من تطويق جيش المسلمين، وأمر هؤلاء الرماة

ألا يتركوا مواقعهم سواء انتصر المسلمون أم انهزموا، وعين عليهم عبد الله ابن جبير قائداً لهم وأوصاه بذلك. لكنهم خالفوا تلك الأوامر كما سبقت الإشارة وأتاحوا الفرصة لخالد بن الوليد أن يأتي المسلمين من خلف ظهورهم " ومنكم من يريد الآخرة ثمَّ صرفكم عنهم لبيتلئبكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضلٍ على المؤمنين " آل عمران آية ١٥٢ .

٤- وجود بعض المقاتلين في جيش المسلمين ممن لم يكونوا قد فهموا الإسلام فهما حقيقياً، فقد صرحوا بأنهم إنما يقاتلون دفاعاً عن أحسابهم وشرف قومهم (١) .

لهذه الأسباب فازت قريش في أحد وانسحب الرسول من ميدان المعركة، وعسكر عند مكان يسمى حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة لمنع قريش إذا ما فكرت في العودة كي تأخذ المسلمين على غرة وارسل على بن أبي طالب يتحسس أخبارهم ويرى إن كانوا عائدین إلى مكة أم راجعين إلى المسلمين من جديد.

وكانت مرابطة المسلمين عند حمراء الأسد التي أشرنا إليها في اليوم التالي لانتهاء معركة أحد هي البداية، وكانت بداية ناجحة أدت الغرض منها، إذا انسحب أبو سفيان وجيشه وعادوا إلى مكة دون أن يعاودوا الكرة على المسلمين الذين كانوا مثخنين بالجراح.

نتائج غزوة أحد:

١- انتصار المسلمين في بداية المعركة ثم انتصار المشركين بعد أن ترك الرماة مواقعهم على الجبل.

(١)

- ٢- استشهاد سبعين من المسلمين من بينهم حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش.
- ٣- مقتل اثنين وعشرون رجلاً من المشركين.
- ٤- ظهور المنافقين قبل المعركة وبعدها بزعامة عبد الله بن أبي بن سلول مما أتاح للمسلمين القيام بالتطهير في صفوفهم.
- ٥- طمعت قريش وغيرها من القبائل في جماعة المسلمين وشجعت المشركين على حربهم فيما بعد.

الدروس المستفادة من غزوة أحد:

- ١- تقدير أهمية وقيمة الطاعة والجنودية حيث أن مخالفة أمر القائد تؤدي إلى الفشل.
- ٢- إن المؤمن مهما عظمت صلته بربه فلا يجوز أن يغتر به أو يحسب أن الدنيا دانت له.
- ٣- إن هزيمة المسلمين في أحد كانت درساً قيماً للمسلمين خلال صراعهم مع المشركين حيث شاءت الأقدار أن يكبو المسلمون هذه القبوة بعد الانتصارات على المشركين في بدر لأن الانتصار الدائم يعرض الجماعة المسلمة لنوع من الاتكالية السالبة.
- ٤- أن النصر ليس بالكثرة وإنما بالطاعة والتلاحم.
- ٥- تحريم المثلة أى التمثيل بالقتلى.
- ٦- إدراك قيمة الزوج عند المرأة كما شاهدنا موقف حمنة بنت جحش.
- ٧- وجوب قتل الأسير إذا عاد إلى قتال المسلمين بعد العفو عنه في المرة الأولى .

٣- غزوة الأحزاب أو الخندق: (شوال ٥هـ/مارس ٦٢٧م)

ذلك أن يهود بني النضير عادوا إلى غدرهم وخيانتهم بعد أن كان النبي ﷺ قد أجلاهم عن المدينة لمحاولتهم قتله غيلة، فاتصل وفد لهم بقريش في مكة في محاولة للانتقام والإجهاز على محمد وأصحابه، وأخذوا يحرصون القرشيين على استئناف القتال ضد المسلمين من جديد، ووعدوهم بتقديم المساعدات المادية، وكانت قریش في غنى عن التحريض إذ إنها كانت تعد لجولة أخرى مع النبي ﷺ حتى تقضى عليه وعلى قوته نهائياً فموقعة أحد لم تحقق لها هذا الهدف، ولذلك سرها ما دعا إليه بنو النضير كل السرور، واتفقوا على ذلك وضربوا له موعداً.

وبعد أن تأكد بنو النضير من استحابة قریش لهم اتصلوا بقبيلة غطفان بنجد وأخبروهم بموافقة قریش على حرب المسلمين وأغروهم بإعطائهم تمر خيبر لمدة سنة وتواعد الجميع على اللقاء عند المدينة، فخرجت قریش مع أحابيشها ومع حلفائها من بنى كنانة وثقيف وبنى سليم وأهل تهامة وعلى رأسهم أبو سفيان. وخرجت غطفان مع زعمائها عينية بن حصن في بنى فزارة والحارث بن عوف في بنى مرة، وسميت هذه الجماعات التي بلغ تعدادها حوالي عشرة آلاف بالأحزاب، نظر لتكونها من قبائل يهودية وعربية متعددة، سواء من الحجاز أو من نجد، ونزلوا بشمال المدينة في شوال عام ٥هـ / مارس ٦٢٧.

كانت قریش تهدف من وراء هذه الحملة إلى القضاء تماماً على أمر المسلمين وكانت بقية القبائل العربية تريد غنائم الحرب وأسلابها، أما بنو النضير وبنو قينقاع من اليهود فكانوا يريدون إرجاع نفوذهم إلى المدينة كما كان الحال من قبل. وقد قامت هذه الأحزاب بمحاصرة المدينة مدة شهر وقع فيها بعض

المبارزات الفردية، وانتهى الأمر برحيل الأحزاب بعد فشلها في اقتحام المدينة عنوة. ويرجع ذلك إلى عدة أمور:

١- خط المسلمين في الدفاع عن المدينة كانت تختلف تماما عن خطتهم في معركة أحد. ففي أحد كانوا مهاجمين لمن هاجمهم خارج المدينة بينما في غزوة الأحزاب التزموا بالدفاع ولزموا المدينة وتحصنوا فيها، ووقف مقاتلوهم وراء الخندق يمنعون الأحزاب من اقتحامه عليهم. وكان حفر الخندق في حد ذاته من عوامل فشل الأحزاب. وكان هذا عملا جديدا على العرب أشار به سلمان الفارسي، ونفذه الرسول، وقسم الحفر بين القبائل وشاركهم فيه، وتم حفره في شمال المدينة "لأن الجهات الأخرى كانت محصنة بالجبال والتخيل والبيوت.

٢- حاول الرسول تفريق كلمة الأحزاب، فأرسل من يفاوض غطفان ويطلب منهم الانسحاب على أن يعطيهم ثلث ثمار نخيل المدينة^(١).

٣- تمكن النبي أيضاً من القضاء على التحالف الذي تم بين يهود المدينة من بني قريظة وبين قريش وبقية الأحزاب

لكن دبلوماسية الرسول ومهارته السياسية تغلبت على هذا الموقف العصيب، وكان نعيم بن مسعود الغطفاني قد انسل من بين صفوف الأحزاب وأسلم خفية، ولجأ إلى النبي وعرض عليه تقديم المساعدة، فقال له النبي "خذ عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة" وكان هذا الرجل يمتاز بالدهاء والمكر. فذهب إلى أصدقائه من بني قريظة وأشار عليهم بالألا يجاروا مع قريش إلا بعد أن يأخذوا رهائن منها حتى لا تعود وتتركهم للمسلمين يفتكون بهم، ثم ذهب

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٢، ص ١٢٥.

إلى قريش وإلى غطفان وأخبرهم بأن بنى قريظة قد تخلوا عن نصرتهم وأنهم سيطلبون رهائن منهم لن يحتفظوا بهم وإنما سوف يقدمونهم لمحمد ليقتلهم نظير عودة بنى النضير إلى المدينة، وحذرهم من إعطاء هؤلاء الرهائن. ولما حدث الاتصال بين الطرفين وطالب بنو قريظة بالرهائن حتى لا تتركهم قريش لمحمد ينال منهم، تبين لقريش وغطفان صحة ما قاله نعيم، فوقع الشك في قلوب الفريقين وتفرق جمعهم.

٤- كما كان لمهارة الرسول في حث المسلمين وتشجيعهم على الصمود بيد أنه قد تزعزعت ثقة البعض وخاصة من المنافقين.

لكن الرسول استطاع أن يضرب لهم المثل في الصمود، وشاركهم سواء في حفر الخندق أو في عبء الدفاع عن المدينة، فثبت المسلمون حتى من الله عليهم بالنصر".

٥- وكانت العوامل الطبيعية خير شاهد على عون الله لرسوله، إذ سير ريحا صرصرا عاتية على الأحزاب في ليال شديدة البرد، اقتلعت خيامهم وحطمت قدورهم وأوانيهم، ودهمهم وابل من مطر غزير أضاف إلى معاناتهم، خاصة وأن الحصار قد طال دون نتيجة حاسمة. فقررت قريش الانسحاب والعودة إلى مكة، وتبعها غطفان وبقية الأحزاب.

الدروس والعبر من غزوة الأحزاب:

- ١- التضحية والفدائية في الجهاد واجبة ولا سيما إذا كلف القائد بعض جنوده بالتضحية كما فعل على بن أبي طالب رضی الله عنه.
- ٢- الصبر من شروط النصر.
- ٣- ضرورة كتمان الأخبار السيئة عن العامة في المواقف الحرجة.

- ٤- ملة الكفر واحدة تجمعها العداوة للإسلام والمسلمين وتفرقها المصالح الشخصية.
- ٥- إستعارة ما يحتاجه المسلمون للقتال من حلفائهم غير المسلمين جائز حيث استعار الرسول ﷺ أدوات الحفر من بني قريظة.
- ٦- مشاركة القائد لرعيته في العمل يزيد من معنوياتهم ويهون عليهم التضحية.
- ٧- لا يجوز إكراه ضعفاء الإيمان على الجهاد فوجودهم في القتال ضرر.
- ٨- الحيلة والخداع من فرض قد يعمل عمل جيش بأكملة فعمل نعيم بن مسعود في هذه الغزوة يعادل عمل جيش كبير حينما دب الخلاف بين يهود وقريش وحلفائها.
- ٩- وجوب الاعتقاد بان النصر من عند الله.



خريطة توضح غزوة أحد (١)

(١) شوقي أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامي ، ص ٣٣ .

مواجهة اليهود في المدينة

لم يقدر اليهود ما أعطاهم الرسول (ص) من حرية وما أظهره لهم من تسامح في عهده معهم ، فسأئهم الا ينجحوا في استقطابه ، وأن تزداد شوكته وتتسع دعوته فأعلنوا عليه حرب اللسان والجدل بهدف زعزعة القلوب وبلبله العقول .

وزاد حقدهم علي المسلمين بعد غزوة بدر ، فانطلقت السنة شعرائهم ، وكثر تحرشهم بالمسلمين ، وتعرضوا لأهل المدينة بالشر .

يهود بني قينقاع:

ومما كشف عن سوء نفوس اليهود وجرأتهم ووقاحتهم أن تعرض نفر من بني قينقاع لإمرأة مسلمة جاءت الي سوق بني قينقاع وجلست الي صائغ يهودي هناك في حلي لها . فجاء رجل من يهود بني قينقاع فجلس خلفها وهي لا تشعر ، ثم عقد طرف ثوبها الي ظهرها فلما قامت انكشفت عورتها فضج اليهود بالضحك عليها فأخذت الحمية رجل مسلم فوثب علي اليهودي وقتله وجاء بنو قينقاع علي المسلم فقتلوه ، ونبذوا العهد الذي كان بينهم وبين الرسول (ص) ، وكان هذا استفزازاً صريحاً للمسلمين وإعلاناً لهم بالحرب ، وتحصنوا في حصونهم واستعدوا للقتال، عندئذ كان علي المسلمين قبول التحدي ، وتلقين المعتدين الدرس فخرج اليهم الرسول (ص) بجند الإسلام وحاصرهم في منازلهم خمس عشرة ليلة ٦٢٤ م ، فذُلُّوا ورفعوا راية التسليم ثم نزلوا علي حكمك الرسول (ص) فأمر بإجلائهم عن المدينة فتوجهوا الي أذرعات بالشام ، وغنم المسلمون ما كان لهم من مال وسلاح ، وكان الذي تولى اخراجهم من المدينة عبادة بن *** .

بنو النضير: ٦٢٥ م.

حذا بنو النضير حذو إخوانهم من بني قينقاع في اظهار حقدهم ومكرهم وتربصهم بالمسلمين ، ومما فعلوا وكان سبباً في اخراجهم من المدينة أنه في السنة الرابعة للهجرة ، أرسل الرسول (ص) سبعين رجلاً من المسلمين الي أهل نجد لدعوتهم الي الإسلام ^(١) ، وكان ذلك بناء علي اقتراح من سيد قبيلة بني عامر بن صعصعة والذي تعهد بأن يجير المسلمين ولكن رجل من بني عامر قتل الرسول الذي أرسله إليه هؤلاء المسلمين وكان معه كتاب رسول الله (ص) يدعو فيه الي الإسلام ، وحرص هذا الرجل بنو سليم ووثبوا علي هؤلاء الدعاة وقتلوهم جميعاً الا واحد نجح وكان قتل هؤلاء في مكان بئر معونة ، وقد اكتشف هذه المجزرة اثنان من المسلمين هما عمرو بن أمية ^(٢) ، والمنذر بن محمد ، وأثناء سير عمرو بن أمية الي المدينة ، لقي رجلاً من بني عامر فقتلها ، ووصل الي الرسول (ص) واخبره الخبر ، فقال له الرسول (ص) "قتلت قتيلين لأديتئهما ؛ ^(٣) أي لادفعن ديتئهما .

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ١٧١ ، ابن هشام : السيرة ج ٣ ص ١٨٥ .

(٢) عمرو بن أمية الضمري : هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن اياس، كناه النبي أبا أمية، زوجته سخيلة بنت عبيدة بن الحارث بن المطلب ، كان فتاكاً في الجاهلية ، كان في جيش المشركين في غزوة أحد ثم أسلم بعد انصراف جيش المشركين من أحد ، وشهد يوم بئر معونة فلم يفلت من أصحاب النبي ﷺ غيره، وأرسله النبي في سفارة إلى النجاشي ملك الحبشة ، و توفي عمرو بن أمية في المدينة المنورة قبل سنة ٦٠ هـ. البلاذري : أنساب الأشراف، ج ١١ ، ص ١٢٠-١٢٢؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ١٥٣ ؛ محمد حميد الله الحيدر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ط ٦ ، دار النفائس ، بيروت ١٤٠٧ هـ ، ص ١٠٠ ..

(٣) ابن هشام : السيرة ج ٣ ص ١٨٦ ، عبد الحميد رفاعي : عصر الرسالة ص ١٣٤ .

ولهذا تكفل الرسول (ص) بدفع دية القتيلين حتي قبل ان يتصل به عامر بن الطفيل ، وقد لجأ الرسول (ص) الي يهود بني النضير يطلب منهم العون في دفع هذه الدية وذلك بحكم الاتفاق الذي قام علي أساس التضامن بينهما "وعلي ان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين " (١) ، ورغم ان يهود بنو النضير وعدوا الرسول (ص) بان يشاركوه في دفع الدية ، الا انهم تأمروا علي قتله وظن فريق منهم أن الفرصة سانحة للقضاء عليه (٢) .

وذلك بدعوته للحضور الي ديارهم للحصول علي الدية ، فلما ذهب الرسول (ص) ومعه بعض أصحابه " قالوا له نعم يا أبا القاسم نعينك علي ما أحببت " ثم خلا بعضهم الي بعض فقالوا : انكم لن تجدوا هذا الرجل علي حاله هذه ، وكان الرسول (ص) جالس جنب جدار من بيوتهم ، فقالوا من رجل يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيقتله بها فيريحنا منه ونزل الوحي علي الرسول (ص) واعلمه بما يدبرون ، لذلك انسحب من ديارهم وعاد الي المسجد (٣) .

وأرسل اليهم ان اخرجوا من بلادي فلا أكونن وقد هممت بما همتم به من الغدر (٤) ،

وأنذرهم الرسول (ص) بالجللاء خلال مدة عشرة أيام ومن رئي بعد ذلك حزت عنقه ، ولكن اليهود رفضوا الا القتال ، فسير اليهم الرسول (ص) جنده محاصره خمسة عشر يوماً ، حتي صاعوه بعد ان سدد عليهم المسلمين

(١) الطبري : تاريخه ج ٣ ص ٥٥٢ ، عبدالرحمن سالم : الرسول ص ١٦٧ .

(٢) ابن هشام : السيرة ج ٣ ، ص ١٩١ .

(٣) الطبري : تاريخه ج ٢ ، ص ٥٥٢ .

(٤) محمد عبدالحميد رفاعي : عصر الرسالة ص ١٣٤ .

منافذ النجاة وألغوا السلاح فأذن لهم بالخروج فاتجه بعضهم الي ******* وبعضهم الي الشام .

بنو قريظة :

كان السبب في محاربة بنو قريظة و إخراجهم من المدينة أنهم أنقضوا العهد الذ كان بينهم وبين الرسول (ص) بانضمامهم الي الأحزاب من قريش ويهود بني النضير و غطفان وغيرهم في حربهم للمسلمين أثناء غزوة الخندق . ولكن الله ايد المسلمين في حربهم وانتصروا علي الأحزاب فاتجه الرسول (ص) الي تطهير المدينة من بقية الغدر والخيانة ^(١) .

ولم يكن ينصرف الأحزاب عن المدينة حتي أذن مؤذن رسول الله (ص) في الناس ((من كان سائحاً مطيعاً فلا يصلين العصر الا في بني قريظة)) ^(٢) ، فسار المسلمون من فورهم الي حصون بنو قريظة في المدينة ، وحاصروهم ^(٣) حتي اجهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ^(٤) فلما أيقنوا بالهلاك نزلوا علي حكم المسلمين ، وسمح لهم الرسول أن يختاروا من يشاؤون من المسلمين ليحكم منهم فاختاروا سعد بن معاذ زعيم الأوس وكان بنو قريظة خلفاء الأوس ، ولكن سعداً أثر دينه ونطق بحكم الله ، فحكم بأن تقتل الرجال وتقسم أموالهم وتسبي ذرارهم ونساؤهم ^(٥) فقال له الرسول (ص) ((أحييت حكم الله فيهم)) ^(٦) .

(١) ابن كثير : البداية ج ٤ ، ص ٧٦ ، عبدالرحمن سالم ، الرسول ص ١٦٩ .

(٢) ابن هشام : السيرة ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ .

(٣) الواقدي : المغازي ، ج ٢ ، ص ٤٩٦ .

(٤) ابن هشام : السيرة ج ٣ ، ص ٢٥٤ .

(٥) ابن هشام : السيرة ج ٣ ، ص ٢٥٨ ، عبدالرحمن سالم : الرسول ص ١٧١ .

(٦) ابن كثير : البداية ج ٤ ، ص ١٢٤ .

٤- صلح الحديبية: (ذو القعدة ٦هـ / أبريل سنة ٦٢٨م)

خرج الرسول قرب نهاية العام السادس للهجرة إلى مكة للعمرة في ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار يسوقون الهدى أمامهم ولا يحملون إلا سلاح المسافر دلالة على عدم نيتهم في قتال قريش وعندما أحست قريش بهم صممت على منعهم من دخول مكة عنوة حتى ولو كانوا مسلمين، وأرسلت خالد بن الوليد لمناوشتهم، لكن الرسول سلك طريقاً آخر وتوقف عند مكان يقال له الحديبية على بعد تسعة أميال من مكة وعسكر فيه، وأرسل عثمان بن عفان ليتعرف على أبناء قريش ويعرف سبب منعها للمسلمين من دخول مكة للعمرة، ولما تأخرت عودة عثمان إلى الرسول وأشيع أنه قتل، طلب الرسول من المسلمين البيعة على قتال قريش، فتسارعوا إلى بيعته. ونزل في ذلك قوله تعالى في سورة الفتح: " **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً* ومغانم كثيرةً يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً**". ولذلك تعرف هذه البيعة ببيعة الرضوان.

وكان لهذا الموقف الشجاع من المسلمين تأثيره على قريش، فرغم أن المسلمين لم يكن معهم سلاح يكفي لمواجهة قريش إلا أنهم صمموا على قتالها لو ثبت فعلاً قتلها لعثمان. ولذلك غيرت قريش من نظرتها للمسلمين وأرسلت سهيل بن عمرو لمفاوضة الرسول ﷺ. وقد اعتذر سهيل للرسول عما حدث من حجز عثمان وقتال من قاتله من مشركي مكة، وأظهر حسن النية، فأرسل لقريش بأن تطلق سراح عثمان ومن معه من المسلمين، فعادوا، وأطلق الرسول أسرى قريش من الذين كانوا قد اعتدوا على المسلمين، وتمت المفاوضات بين سهيل وبين الرسول، وانتهت إلى أربع نقاط:

- ١- أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين لمدة عشر سنين.
 - ٢- أن يرد الرسول من يأتيه من قريش مسلما بدون إذن وليه ولا تلزم قريش برد من يأتيها من عند محمد.
 - ٣- من أراد الدخول في عهد قريش فله ذلك، ومن أراد الدخول في عهد محمد من غير قريش جاز له ذلك.
 - ٤- أن يرجع الرسول إلى المدينة هذا العام دون أداء العمرة فإذا كان العام القادم دخل مكة بعد خروج قريش منها، وليس معه إلا سلاح المسافر.
- لم يرض المسلمون جميعهم بشروط هذا الاتفاق، واعتبروا بعضها مهينا لهم • وتساهلا لم يكن له ما يبرره، ولم يستجيبوا لنداء الرسول لهم بالتحلل من إحرامهم ونحر ذبائحهم. وعبر عمر بن الخطاب عن هذا الاتجاه. لكن الرسول هدأ الخواطر وأفهم المسلمين أن ما فعله كان عن أمر من الله، إذ قال لهم: "أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيعني". وأشارت عليه زوجته أم سلمة بأن يتحلل من إحرامه أولا، ولما فعل، اقتدى المسلمون به وعادوا إلى المدينة وفي الطريق نزل على الرسول قوله تعالى في سورة الفتح: **﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا**
- ((فاستبشر المسلمون وهدأت نفوسهم وعرفوا أن ما وَيُنصُرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيْزًا • فعله الرسول كان في مصلحتهم وفي مصلحة الإسلام لعدة أسباب:
- ١- إن توقيع قريش على هذا الصلح يعتبر اعترافا سياسيا بالمسلمين وكانت قريش ترفض من قبل أن تعترف بهم أو بديانة الإسلام .
 - ٢- أصبح للمسلمين حق مشروع في زيارة البيت الحرام بمكة حسب نصوص الاتفاق.

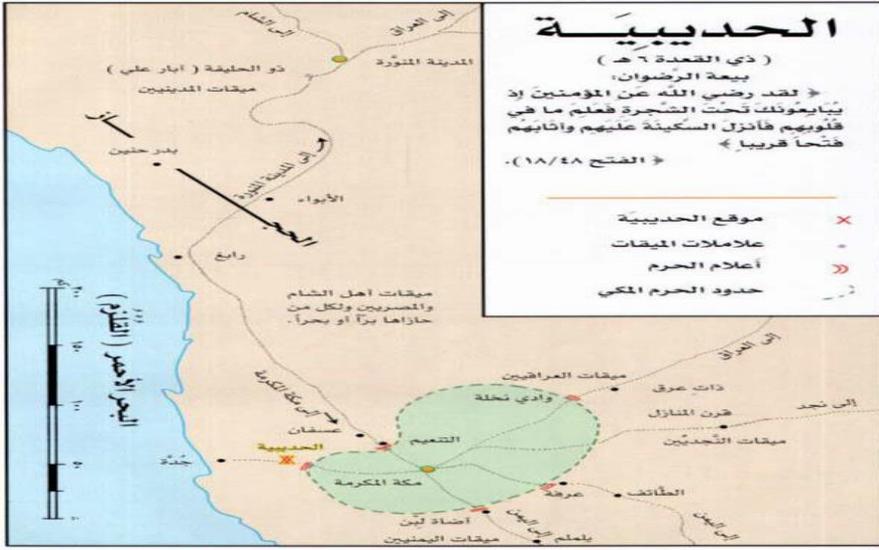
٣- تغيرت نظرة قريش للمسلمين، وأدركت أن دينهم لا بد أن ينتصر في النهاية

٤- أتاحت الهدنة المتفق عليها في نصوص الاتفاق الفرصة أمام الرسول كي ينظم شؤون المسلمين في المدينة، وأن يقضى على ما يهددها من أخطار، خاصة خطر يهود خيبر، فغزاهم في المحرم من عام ٥٧ هـ / مايو سنة ٦٢٨ وقضى على نفوذهم، وبذلك تفرغ النبي لنشر الدعوة خارج الحجاز ، وبادر الرسول ﷺ في مخاطبة الملوك ورؤساء القبائل، برسائل خطية وشفهية، فكانت أول المراسلات الخارجية للرسول ﷺ رسالة مع عمرو بن أمية الضمري الي النجاشي ملك الحبشة^(١) ، ووصلت مراسلات النبي ﷺ إلي هرقل عظيم الروم وأسقف الروم في القسطنطينية، وأسقف إيله، وكاتب ملوك العرب والمقوقس عظيم القبط في مصر وكسري ملك الفرس^(٢).

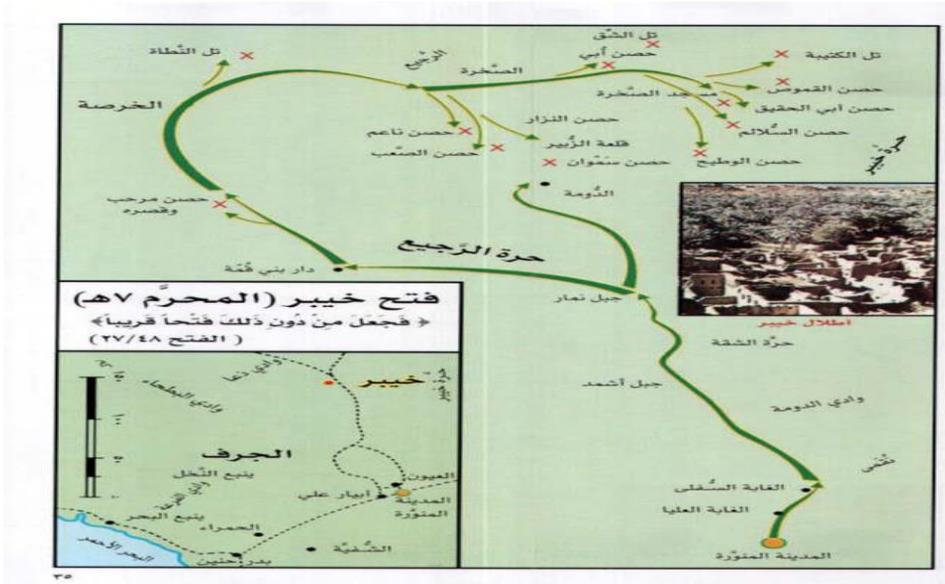
وأرسل رسله إلى القبائل العربية في أنحاء شبه الجزيرة المختلفة وإلى ملوك الدول المجاورة في بلاد الشام ومصر وفارس والحبشة واليمن .

(١) محمد حميد الله الحيدر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ص ١٠٠ .

(٢) ابن اسحاق : المغازي ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ؛ البستي : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ج ١ ، ص ٢٩٧- ٢٩٨ ؛ السيوطي: الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية ، بيروت ب . ت ، ج ٢ ، ص ٥ ؛ شمس الدين بن طولون : إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ، ط ٢ ، تحقيق: محمود الأرنؤوط ، الرسالة ، بيروت ١٩٨٧م ، ص ٦٤ ؛ محمد حميد الله الحيدر : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ص ١٤٠ .



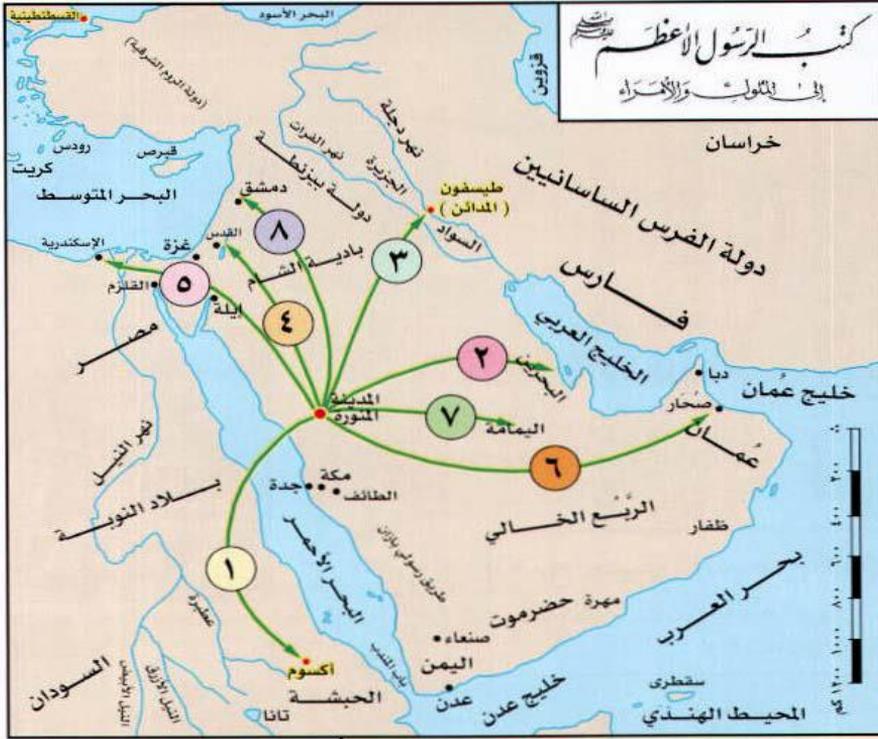
خريطة توضح موقع الحديبية (١)



خريطة توضح فتح خيبر (٢)

(١) شوقي أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامي ، ص ٣٥ .

(٢) شوقي أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامي ، ص ٣٥ .



رسالته صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى

أمر الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله
المرسل يا منذر بن ساوى صلوات الله على محمد
الله وآله وبركاته ورحمته وبرحمته
والله أعلم بالصواب والحمد لله رب
العالمين

الرقم	حامل الكتاب	الجهة	المُرسل إليه
١	عمرو بن أمية الضمري	الحشة	النجاشي
٢	العلاء بن الحضرمي	البحرين	المنذر بن ساوى
٣	عبد الله بن حذافة السهمي	طيسفون (المدائن)	كسرى الفرس
٤	ذحية الكلبى	القدس	هرقل قيصر الروم
٥	حاتب بن أبي بلتعة	الإسكندرية	المقوقس عظيم مصر
٦	عمرو بن العاص	عُمان	جَيْفَر وعبد أبي الجُنْدَبى
٧	سليط بن عمرو العامري	اليامنة	هودة بن علي
٨	شجاع بن وهب الأسدي	غوطة دمشق	الحارث بن أبي ثَبَر الغَسَّاني

خريطة توضح كتب النبي (ص) إلى الملوك والأمراء (١)

(١) شوقى أبو ضيف: أطلس التاريخ الإسلامى، ص ٣٦.

أ- سرية مؤتة ٨هـ:

أراد رسول الله ﷺ أن يثار لقتل رسوله الحارث بن عمير الأزدي علي يدي شرحبيل بن عمرو الغساني أمير مؤتة، ومقتل فروة بن عمرو الجذامي عامل الروم علي معان وما حولها علي أيدي الروم بعد أن بلغهم إسلامه. فلما انصرف من عمرة القضاء في العام السابع للهجرة، علي ما عاهد عليه قريشاً في صلح الحديبية، أقام بالمدينة ذو الحجة والمحرم وصيفاً وربيعاً من سنة ٨ للهجرة، ثم أرسل في جمادي الأولى من تلك السنة بعث الأمراء إلي الشام، لتأديب أمير مؤتة المذكور.

أعد رسول الله ﷺ جيشاً ضخماً عدته ثلاثة آلاف مقاتل علي رأسهم زيد بن حارثة^(١)، وأوصي المسلمين بأنه إذا أصابه قدر فعليهم وجعفر بن أبي طالب^(٢) فإن أصاب جعفراً قدر فعلي الناس وعبد الله بن رواحة^(٣)، ثم أوصي رسول الله ﷺ أمراء جيشه، وشيعة رسول الله ﷺ وودعهم، وسار جيش المسلمين حتي بلغ معان من أرض الشام، وهناك بلغهم أن هرقل ملك الروم قد نزل أرض مأب وهي أرض اللقاء، في ألف ومائة ألف أخري من نصاري الشام^(٤) من لحم وجذام وقبائل قضاة

(١) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى، أختطف في الجاهلية صغيراً، واشترته السيدة خديجة بنت خويلد فوهبته إلي النبي ﷺ حين تزوجها، فتنبأه النبي ﷺ قبل الإسلام ثم أعتقه، وهو أول الموالى إسلاماً، وذكر اسمه في القرآن، شهد بدرًا وما بعدها، واستشهد في غزوة مؤتة، سنة ثمان هجرية . ابن سعد : الطبقات، ج٢، ص١٢٨؛ البلاذري : أنساب الأشراف، ج١، ص٤٦٧.

(٢) جعفر بن أبي طالب ﷺ : من السابقين إلي الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يسميه أبا المساكين، و لقب بالطيار هاجرَ الهجرتين. ، استشهد يوم مؤتة سنة سبع، أبناؤه عبدُ الله، وَعَوْنٌ، وَمُحَمَّدٌ. خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط، ط٢، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة - دمشق، بيروت ١٣٩٧، ص٨٦. ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام، ج١، ص٣٢٩ . .

(٣) عبد الله بن رواحة : هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن الحارث، من الخزرج ؛ أسلم علي يد مصعب بن عمير ؛ وكان واحداً من النقباء الذين أختارهم الرسول ﷺ في بيعه العقبة الأولى واستشهد في غزوة مؤتة، سنة ثمان هجرية. البلاذري : أنساب الأشراف، ج١، ص٢٤٤ .

(٤) هذا الرقم مبالغ فيه، ولكننا نستدل من المبالغة في تضخيم جيش العدو علي أن قوته كانت تفوق قوة المسلمين بمراحل من حيث العدد ومن حيث السلاح أيضاً.

وعليهم مالك بن راقلة. فأقام المسلمون في معان ليلتين يفكرون فيما يصنعونه، فزحفوا إلى مؤته حيث وافاهم المشركون، واشتبك الفريقان في القتال، واقتتلوا قتالاً شديداً حتي قتل زيد بن حارثة، ثم أخذ جعفر بن عبد المطلب الراية وقاتل بها حتي قطعت يمينه، فأخذ الراية بيسراه فقطعت يسراه، فتلقي الراية في صدره واحتضنها، فقتل كذلك. فأخذ عبد الله بن رواحة الراية، وتردد عن النزول بعض التردد، ثم صمم فقاتل حتي استشهد فأخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان، ودعا قومه إلى اختيار قائد منهم، فلما اختاروه رفض، فأخذهم خالد بن الوليد، وانحاز بالمسلمين، وعاد بهم إلى المدينة.



خريطة توضح سرية مؤتة^(١)

(١) شوقي أبو ضيف: أطلس التاريخ الإسلامي، ص ٣٧.

فتح مكة

عزم رسول الله علي فتح مكة ، فأعد جيشاً كثيفاً من أهل المدينة لم تشهد له الحجاز من قبل عدته عشرة آلاف^(١) ودعا الله أن يأخذ عن قريش بالأخبار بقصد مفاجأتها بالفتح. وخرج رسول الله بجيشه من المدينة في العاشر من رمضان بعد أن استخلف علي المدينة كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري.

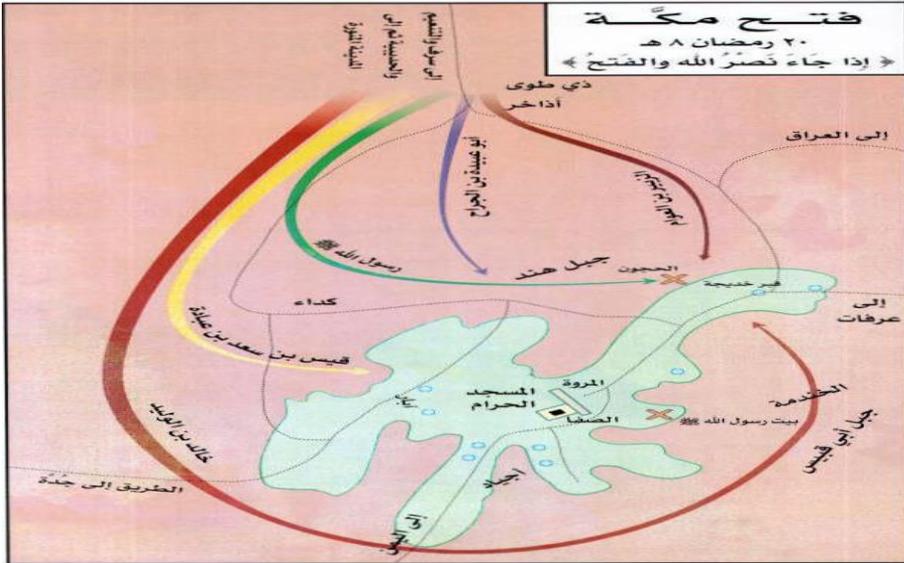
وتجمع المصادر علي أن أبا سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزم خرجوا من مكة يتلقون الأخبار .

وعندما أسلم أبو سفيان في حضر النبي ، قال العباس: "يا رسول الله، إن أبا سفيان يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئاً". فقال له رسول الله ﷺ: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن" وبذلك أصبحت مكة مؤمنة علي دماء أهلها وذرائعهم وأموالهم ونسائهم، إلا من قاتل أو استثنى فقط.

ثم عاد أبو سفيان إلي مكة ليلبغ قومه بتأمين رسول الله، لكل من دخل داره أو المسجد الحرام أو دار أبي سفيان. ولكن جماعة من شباب قريش من بينهم عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهل بن عمرو صمموا على القتال فناوشهم أصحاب خالد القتال، فقتل من المشركين ١٣ رجلاً وقيل ٢٣ بينما قتل من المسلمين رجال.

(١) اشتركت في تشكيل هذا الجيش جموع من مختلف قبائل العرب: فمن بني سليم ألف رجل وقيل سبعمائة، ومن مزيد ألف رجل وثلاثة، ومن غفار أربعمائة، وطوائف أخرى من قيس وأسد وتميم.

وعفا رسول الله عن عامة قريش وقال لهم: " ما تظنون؟ قالوا: نظن خيراً ونقول خيراً: أخ كريم وابن أخ كريم، وقد قدرت. قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف عليه السلام (لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)"^(١) ثم طاف رسول الله صلي الله عليه وسلم بالكعبة، وأمر بكسر الصور التي كانت منصوبة داخل الكعبة وخارجها وتحطيم الأصنام التي حول الكعبة وبمكة، وأذن له بلال علي ظهر الكعبة ولم يكتف النبي بذلك بل بعث خالد ابن الوليد إلي العزي وكان بيتاً بنخلة تعظمه قريش وكنانة ومضر، فهدمه، وبفتح مكة تحققت المرحلة الأولى الهامة من توحيد الأمة العربية بالإسلام، وخرجت الدولة العربية الإسلامية من نطاق الدولة المدنية إلي نظام الدولة الكبيرة، ولم يمض عام واحد حتي امتد سلطانها إلي جميع بلاد العرب.



خريطة توضح فتح مكة^(٢)

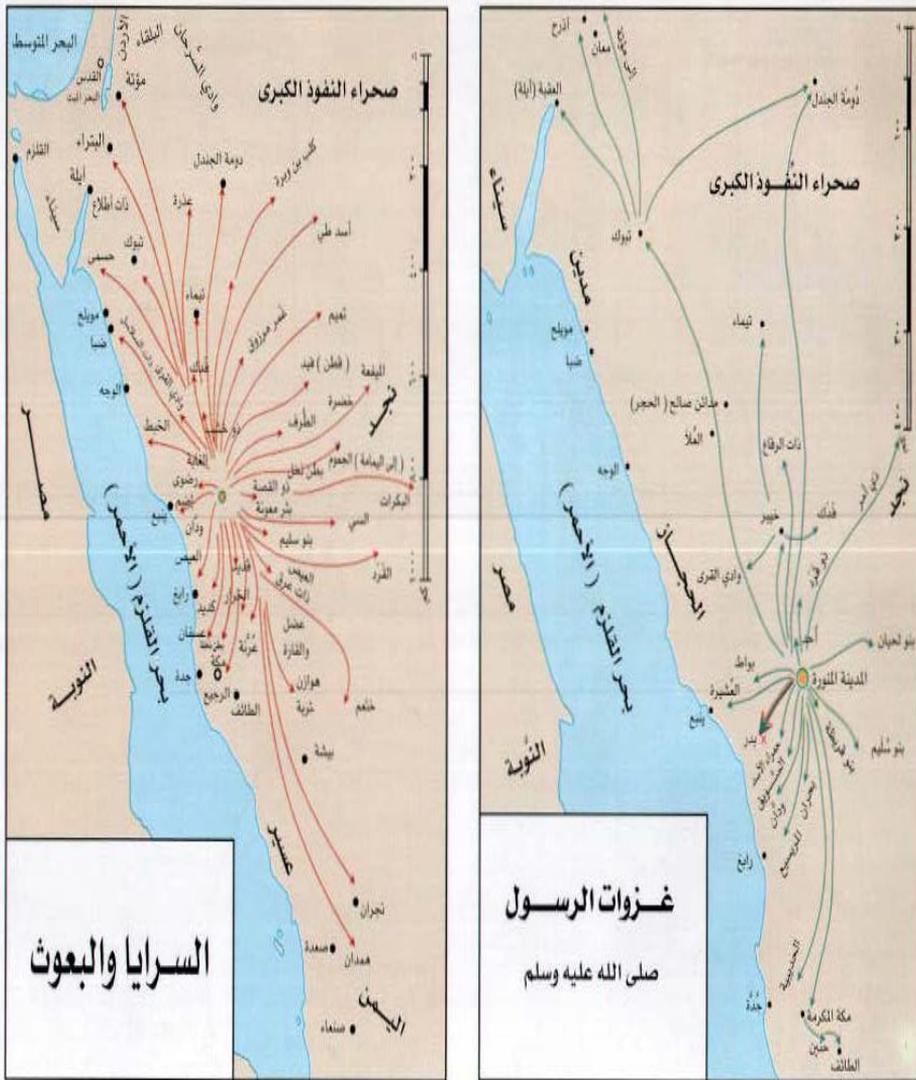
(١) القرآن الكريم، سورة يوسف، آية ٩٣.

(٢) شوقي أبو ضيف: أطلس التاريخ الإسلامي، ص ٣٩.

هـ- حجة الوداع (١٠هـ):

ثم حج النبي ﷺ حجة الوداع في ذي القعدة من العام العاشر ، وشهد انتصار الإسلام علي الوثنية ممثلاً في الحشود الهائلة من الحجاج الذين امتلأت بهم ساحة الحرم ، وشهد النبي كيف ارتفعت كلمة الإسلام في هذا العدد الضخم من الحجاج الذي بلغ ما يقرب من مائة ألف حاج من العرب ليس بينهم مشرك واحد.

ولما أدي النبي ﷺ مناسك الحج علي النظام الإسلامي ، وخطب في المسلمين في عرفات خطبته الأخيرة، وعاد إلي المدينة في ١٤ من ذي الحجة سنة ١١هـ ثم مرض مرضه الذي مات فيه يوم ٢٧ صفر وهو في بيت ميمونة أم المؤمنين ، فأستأذن صلوات الله عليه نساءه أن يمرض في بيت عائشة فأذن له في ذلك و طال مرضه ﷺ اثني عشر يوماً وقبله أربعة عشر يوماً ثم قبض يوم الاثنين لاثني عشرة من ربيع الأول بعد أن أكمل رسالته، وأتم نعمته علي المسلمين أو كما قال الله تعالي "اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً" .



خريطة توضح غزوات وسرايا الرسول (ص) (١)

(١) شوقي أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامي ، ص ٤١ .

الفصل الرابع

عصر الخلفاء الراشدين (١١-٤٠هـ / ٦٣٢-٦٦١م)

مبدأ ونهاية حكم الخلفاء الراشدين:

السنوات الميلادية	الخلفاء الراشدين	السنوات الهجرية
٦٣٢	أبو بكر الصديق	١١ - ١٣هـ
٦٣٤	عمر بن الخطاب	١٣ - ٢٣هـ
٦٤٤	عثمان بن عفان	٢٣ - ٣٥هـ
٦٥٦-٦٦١	علي بن أبي طالب	٣٥ - ٤٠هـ

أزمة الحكم بعد وفاة الرسول ﷺ:

كان لشخصية الرسول أثر كبير في نفوس العرب حتى أنهم لم يصدقوا موته عندما علموا به، فلما تحققوا من ذلك، شك فريق منهم في أمر هذا الدين الذي أتى به، وارتد كثير منهم عن الإسلام، لأنه لم يكن قد تمكن من قلوبهم بعد، فأخذ كبار الصحابة يفكرون في أمر المسلمين ليواجهوا الموقف الجديد، ورأوا أنه لا بد للمسلمين من رئيس يتولى شئوهم ويتدبر أمورهم.

وقد اختلفت آراء المسلمين فيمن يتزعمهم وظهرت بينهم روح التعصب القبلي، وأخيراً استقر الرأي على أن يكون للرسول خليفة، يأمر بالعدل وينهى عن المنكر ويؤم الناس في الصلاة. ولكن الصحابة اختلفوا في كيفية اختياره: لأنه لم يؤثر عن الرسول نص صريح يشير فيه إلى مسألة الحكم من بعده كما أن القرآن لم يشر إلى نظام الحكم بعد وفاته.

وكان من أثر ذلك أن ظهر الانقسام بين صفوف المسلمين، واشتدت وطأة هذه الأزمة السياسية، وتسابقت القبائل والبطون ليكون لها الأمر دون غيرها وتكشف ما في الصدور، وتجلت النفس العربية والطبيعة القبلية فكان الأوس والخزرج يخشى كل منهما صاحبه ويخافون المهاجرين، حتى إذا كثرت المناقشات تصدى لحلها بعض زعماء المسلمين من أمثال أبي بكر وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح.

الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه (١١-١٣هـ/٦٣٣-٦٣٤م)

بيعة السقيفة:

ذهب الأنصار إلى سقيفة بني ساعدة^(١) ليختاروا من بينهم خليفة للمسلمين، وقد خطبهم سعد بن عبادة^(٢) زعيم الخزرج فقال ".... يا معشر الأنصار إن لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب"، وأوضح لهم أنهم أحق بالخلافة من غيرهم، واتفقت كلمتهم على اختياره، غير أن كبار الصحابة أمثال أبي بكر وعمر وأبي عبيدة عندما علموا باجتماع الأنصار أسرعوا إليهم واشتركوا معهم في المناقشة فتكلم سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلم يترك شيئاً أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله - صلى الله عليه وسلم من شأنهم إلا وذكره، وقال: ولقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا سلكت وادي الأنصار**»، ولقد علمت يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد: "**قَرَيْشٌ وُلَاةٌ هَذَا الْأَمْرِ، فَابْرَأِ النَّاسِ تَبَعٌ**

(١) بنو ساعدة: بطن من الخزرج القحطانية، وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرجي من الأنصار وهم رهط سيدنا سعد بن عبادة، تنسب إليهم سقيفة بني ساعدة بالمدينة، وهي ظلة كانوا يجلسون تحتها، مصعب بن الزبير: نسب قريش، ط٣، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ص ١٠؛ القلقشندي: نهاية الأرب، ط٢، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت ١٩٨٠م، ص ٢٨٠، ٢٨١.

(٢) سعد بن عبادة: هو سعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة الخزرجي. أحد كبار الصحابة. وكان قبل إسلامه رئيس قومه. واشتهر بالكرم، وسمي بالكامل. أسلم قبل الهجرة، وحضر بيعة العقبة الثانية، وكان أحد نقبائها الاثني عشر، وشهد الغزوات مع صلى الله عليه وسلم إلا بدرًا لمرضه، وكان صاحب رؤية الأنصار في المشاهد، التف حوله الأنصار لتوليته الخلافة بعد انتقال النبي إلى الرفيق الأعلى، وهاجر إلي الشام في عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. وتوفي هناك سنة (١٥هـ/ ٦٣٦م). ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٦١٣-٦١٧؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٨٠؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٣٠، ص ٢٧٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٦٦-٣٦٧.

لِبَرِّهِمْ، وَفَاجِرُهُمْ تَبِعَ لِفَاجِرِهِمْ " فقال له سعد صدقت نحن الوزراء وأنتم
الأمراء"^(١)، فاستقرت كلمات الصديق في أذهانهم، واقتنع الأنصار بأن
يكونوا وزراء مخلصين ﷺ^(٢).

وأقنعوهم بضرورة اختيار الخليفة من قريش بحجة أن العرب لا يدينون
إلا للقرشيين، وقد حاول الأنصار أن يقتسموا السلطة بأن يكون من المهاجرين
أمير ومن الأنصار أمير، ولكن رفض طلبهم ولم يلق قبولا.

عرض أبو بكر على الحاضرين أن يختاروا واحداً من اثنين هما: عمر بن
الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح^(٣)، ولكن عمر بن الخطاب خشى أن يترك الناس
فيختلفوا ويضيع الأثر الذي أحدثه كلام أبي بكر، فقام إلى أبي بكر وباعيه
بالخلافة وقال له ألم يأمر النبي ﷺ بأن تصلى أنت يا أبا بكر بالمسلمين، فأنت
خليفة، ونحن نبايعك فأنت خير منا جميعاً". وقد قال عمر بن الخطاب إنه
أشفق من أن يختلف المسلمون، فقال لأبي بكر: "أبسط يدك أبايعك"، فبسط
أبو بكر يده، فباعه عمر ومن بعده المهاجرون والأنصار، وقد أضاف عمر إلى
ذلك قوله: "وإنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا أن

(١) أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد،
وآخرون، ٢٠٠١ م، ص ١٩٩؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٣٠، ص ٢٧٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٢٦٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٦٦-٣٦٧.

(٣) سيدنا أبا عبيدة بن الجراح ﷺ: أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن
ضبة بن الحارث بن فهر، أسلم في مرحلة مبكرة من الدعوة الإسلامية، وهاجر الهجرتين،
وشهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأمين الأمة، نجح سيدنا أبو
عبيدة في فتح دمشق وغيرها من مُدُن الشام وقراها. توفي أبو عبيدة سنة ثمان عشرة
بسبب طاعون عمواس وعمره ثمان وخمسون سنة. البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٢٣،
٢٢٤؛ ابن قنفذ القسطنطيني: الوفيات، ص ٣٠؛ ابن حزم: جوامع السيرة النبوية، دار الكتب

العلمية - بيروت، ص ٩٤.

فارقنا القوم ولم تكن بيعة، فإما أن نبايعهم على ما لا نرضى أو نخالفهم فيكون فساد".

وبعد أن بايع عمر أبا بكر تبعه الحاضرون في اجتماع السقيفة، وقد ساعد على إتمام هذه البيعة خوف الأوس من أن تكون الخلافة في الخزرج أعداءهم القدماء، وهذه البيعة تسمى البيعة الخاصة، وفي اليوم التالي أخذ أبو بكر البيعة في المسجد وتسمى البيعة العامة، وبذلك أصبح خليفة للمسلمين.

كان أبو بكر يسمى في الجاهلية عبد الكعبة لأن الكعبة كانت رمز العبادة في الجاهلية، وسماه الرسول عبد الله، وسمى بالصديق لأنه أول من صدق برسالة الرسول من الرجال. وهو من كبار رجال العرب في الجاهلية، وكان يفصل في بعض القضايا، وأنفق معظم ثروته في نشر الإسلام، وقد أسلم على يده كثير من العرب أشهرهم: عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله، وكان أبو بكر رفيق الرسول وساعده الأيمن فتحمل كثيراً من العنت وتعرض لكثير من الأخطار، وكان رفيقه في الغار يوم هاجر من مكة إلى يثرب، وكان الرسول يثق فيه ويستشيريه في خواص الأمور حتى أنه قال في آخر خطبة له "... إني لا أعلم أحداً كان أفضل عندي في الصحبة بدأ منه".

وبعد أن أخذ أبو بكر البيعة في المسجد، خطب الحاضرين خطبته المشهورة فقال: " أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ وَلَيْتُكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَاقْوَمُونِي، أَلَا إِنَّ الصِّدْقَ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبَ خِيَانَةٌ، أَلَا وَإِنَّ الضَّعِيفَ عِنْدِي قَوِيٌّ حَتَّى آخِذَ لَهُ الْحَقُّ ، وَالْقَوِيَّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخِذَ مِنْهُ الْحَقُّ، أَلَا وَإِنَّهُ لَمْ يَشْرِكْ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذُّلِّ، وَلَمْ تَشِعْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا وَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ، فَأَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ، وَإِذَا

عَصَيْتُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ . أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن صدفت فقوموني" (١).

سيدنا أبو بكر الصديق وانهاد جيش سيدنا أسامة

كانت أولي المشكلات التي واجهت سيدنا أبو بكر الصديق هي انهاد جيش سيدنا أسامة (٢) وكان الرسول ﷺ قد أعد جيشاً بقيادة أسامة بن زيد للسير إلى تخوم البلقان من الشام، وذلك لتأديب الروم ونصارى العرب لعداوتهم وقتلهم المؤمنين ومنهم فروة الجذامي والي معان الذي صلبوه ليرهبوا من تحدته نفسه بالإسلام. وكذلك للثأر لشهداء سرية مؤتة، حيث قتل سيدنا زيد بن حارثة (٣) وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة (٤) ، إلا أن وفاة النبي

(١) الواقدي : الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني،، تحقيق يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠ م، ص ٤٨.

(٢) أسامة بن زيد : هو أسامة بن زيد بن حارثة الكلبى، كان أبوه مولى لرسول الله ، ويكنى أبا محمد، وهو مولى رسول الله من أبيه، وأمه هي أم أيمن ، ولد رضي الله عنه بمكة سنة ٧ قبل الهجرة، وكان رسول الله ﷺ يحبه حبا شديدا ، أَمْرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَي جَيْشٍ مُؤْتَةٍ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ ابْنُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً فِي عِلَّتِهِ الَّتِي تُؤَفِّي مِنْهَا، وَكَانَ نَفْسُ خَاتِمَةِ حِبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مات في أواخر خلافة معاوية ، فى المدينة. أنساب الإشراف، ج ١، ص ٤٧٣؛ أبو نعيم : معرفة الصحابة، ج ١، ص ٢٢٤؛ ابن عبد البر : الإستيعاب، ج ١، ص ٧٥- ٧٧ .

(٣) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى، أختطف في الجاهلية صغيرا، واشترته السيدة خديجة بنت خويلد فوهبته إلى النبي ﷺ حين تزوجها، فتنبأه النبي ﷺ قبل الإسلام ثم أعتقه ، وأم زيد بن حارثة: سعدي بنت ثعلبة بن عبد بن عامر ، وهو أول الموالى إسلاماً، خرج مع النبي إلى الطائف، ذكر اسمه في القرآن ، شهد بدرأ وما بعدها، وقاد العديد من سرايا مثل سرية القردة ، واستشهد في غزوة مؤتة، سنة ثمان هجرية . ابن سعد : الطبقات ، ج ٢، ص ١٢٨؛ ابن اسحاق : المغازى ، تحقيق سهيل زكاردار الفكر - بيروت، ١٩٧٨م، ص ١٣٩؛ الواقدي : المغازى ، ج ١، ص ٣ ؛ البلاذرى : أنساب الإشراف، ج ١، ص ٢٣٧ ، ٣٧٤.

(٤) سيدنا عبد الله بن رواحة : عبد الله بن رواحة : هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن الحارث، من الخزرج ؛ وكان يكنى أبو محمد ؛ أسلم علي يد مصعب بن عمير ؛ وكان واحداً من النقباء الذين أختارهم الرسول ﷺ وبايع الرسول ﷺ في بيعه العقبة الأولى والثانية ؛ وكان ملازماً لرسول الله ﷺ الله ويمدحه دائماً ، واستشهد في غزوة مؤتة، سنة ثمان هجرية. ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٣ ، ص ٣٩٨؛ البلاذرى : أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٤٤.

حالت دون تحقيق ذلك فظل الجيش مرابطاً في انتظار الأوامر الجديدة ، وحتى يفريق المسلمين من صدمة وفاة النبي ﷺ واختيار من يخلفه ﷺ ، وعندما تولى الصديق أصر الصديق علي انفاذ جيش أسامة بن زيد ، هذا الأمر زاد من ارتداد بعض القبائل عن الإسلام، لما وقعت هذه الأمور أشار كثير من الناس علي الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة وذلك لاضطراب أحوال بلاد العرب وأيضاً لصغر سن أسامة، فامتنع الصديق عن ذلك وأبي أشد الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة، للثأر لما نفذ بالمسلمين في غزوة مؤتة ولإرهاب الروم ولمنعهم من التفكير في قتال المسلمين ، وكان جيش أسامة قد سار قاصداً البلقاء ووصلها بعد عشرين يوماً حيث تقع مؤتة، وشن غاراته وقضي علي كل من وقف في وجهه من أعداء الإسلام أحرق المدن التي قاومت المسلمين، وأوقع قبائل قضاة وغنم مغنم كثيرة، وقاموا بها أربعين يوماً ويقال سبعين يوماً^(١) .

حروب الردة: (١١هـ - ١٣هـ / ٦٣٢م - ٦٣٤م).

حروب الردة هي الحروب التي حدثت بعد وفاة رسول الإسلام محمد ﷺ بسبب إرتداد غالبية العرب عن الإسلام، فلم يبق موالياً لحكم أبي بكر سوى القبائل المحيطة بالمدينة بالإضافة إلى سكان المدينة، ومكة، والطائف، فمنه الناس من ارتدّ نهائياً عن الإسلام ، ومنهم من ادّعى النبوة، ومنهم من امتنع عن دفع الزكاة^(٢)

(١) ابن حيان : الثقات، ج٢، ص١٦١؛ ابن عساکر : تاريخ دمشق، ج٢، ص٥١؛ ابن خلدون : العبر، ج٢، ص٤٨٣ - ٤٨٥ .
(٢) الواقدي : الردة ، ص٤٨ .

حيث وثب الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة، وطليحة الأسدي^(١) ادَّعَى التُّبُوَّةَ فِي أَرْضِ بَنِي أَسَدٍ^(٢)، لقد قرَّر الخليفة أبو بكر الصِّديق مقاتلة جميع المرتدِّين ولم يترك أحدًا منهم رغم توجُّه بعض الصَّحابة إليه أن يترك من امتنع عن دفع الرِّكاة من القبائل^(٣).

تعددت ألوان الردة وانتفضت الجزيرة العربية على أبي بكر ومن معه من صفوة المسلمين ولم يثبت على الإيمان إلا مثلث المدينة ومكة والطائف.

عقد أبو بكر أحد عشر لواءً على أحد عشر جيشاً وأمر كل أمير جند باستنفاً من مر به من المسلمين من أهل القوة^(٤):

اللواء الأول: و على رأسه خالد بن الوليد ووجهه إلى طليحة، فإذا فرغ منه صار إلى مالك بن نويرة اليربوعي زعيم بني يربوع، وتعاون مالك مع سجاح وحارب معها القبائل.

(١) طليحة الأسدي : طليحة بن خويلد الأسدي من الشجعان الفصحاء، كان يعد بألف فارس، قدم على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سنة تسع للهجرة في وفد قومه، وأسلموا، ولما رجعوا ارتد طليحة وادعى النبوة في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبعد وفاة النبي كثر أتباع طليحة من أسد وغطفان وطبي، وجه إليه أبو بكر خالد بن الوليد فانهزم إلى بزاخة بأرض نجد وكان مقامه في سميراء في طريق مكة، وقاتله خالد ففر إلى الشام، ثم أسلم بعد أن أسلمت أسد وغطفان، ووفد على عمر فبايعه في المدينة، وخرج إلى العراق فحسن بلاؤه في الفتوح، واستشهد بنهاوند سنة ٢١ هـ. الواقدي : الردة ، هامش ص ٤٩ .

(٢) قبيلة أسد : تنسب إلي أسد بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ، وهى من القبائل المضرية ، كان موطن قبيلة أسد في الجاهلية في نجد غربي القصيم وشرقي جبلي طيء، وكانت تجاورها قبائل طيء وغطفان وهوازن وكنانة . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ج ١، ص ١٩٦؛ السمعاني : الأنساب، ص ٢١٤ .

(٣) الواقدي : الردة ، ص ٤٨ - ٢٠١؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣، ص ٣٠٤ - ٣١٨ .
(٤) سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: أطلس حروب الردة في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ط ٢ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ٢٠١٥ م ، ص ٢٢٣ .

اللواء الثاني: على رأسه عكرمة بن أبي جهل ووجهه إلى مسيلمة الكذاب زعيم قبائل بني حنيفة.

اللواء الثالث: وعلى رأسه شرحبيل بن حسنة وقد جعله أبو بكر مدداً لعكرمة بعد أن ينتهي المسلمون من أمر مسيلمه فإذا انتهوا منه صار شرحبيل إلى بلاد قضاة ليكون مدداً لعمر بن العاص.

اللواء الرابع: وعلى رأسه المهاجر بن أمية ووجهه إلى جنود الأسود العنسي في اليمن.

اللواء الخامس: وعلى رأسه سويد بن مقرن ووجهه إلى تھامة.

اللواء السادس: وعلى رأسه العلاء بن الحضرمي ووجهه إلى البحرين.

اللواء السابع: وعلى رأسه حذيفة بن محط ووجهه إلى عمان.

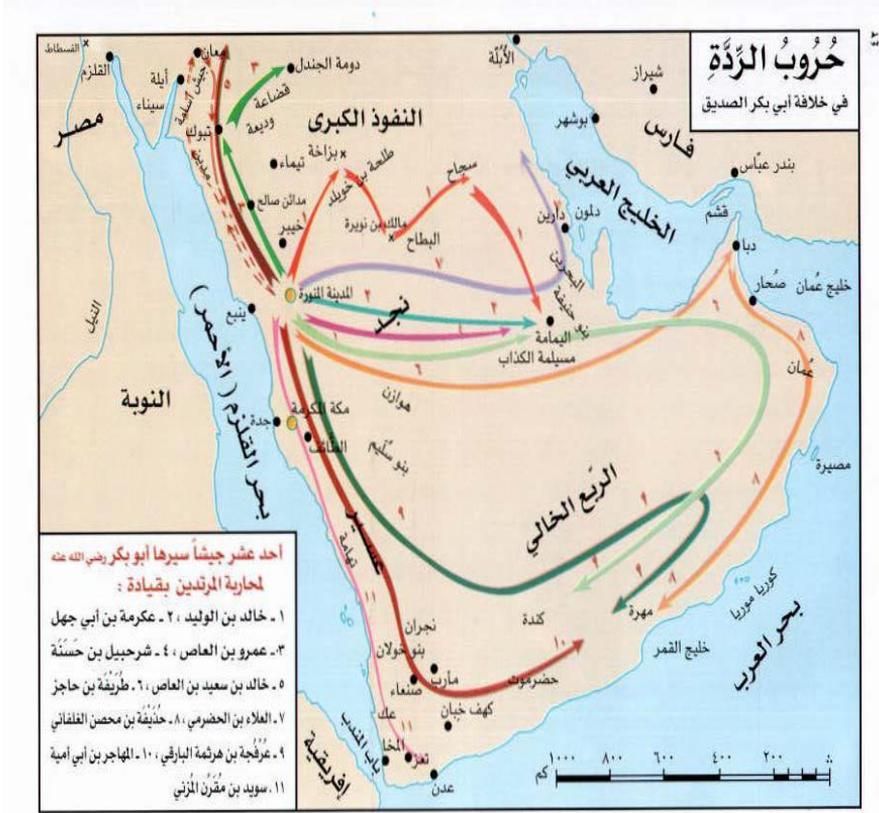
اللواء الثامن: وعلى رأسه عرفجة بن هرثة ووجهه إلى مهرة.

وقد وجه أبو بكر ثلاثة من الألوية إلى شمال الجزيرة العربية على النحو التالي:

اللواء الأول: وعلى رأسه عمرو بن العاص لقتال قضاة.

اللواء الثاني: على رأسه معن بن حاجر لقتال بني سليم ومن انضم إليهم من هوازن.

اللواء الثالث: وعلى رأسه خالد بن سعيد لتتبع المرتدين والخرجين على مشارف الشام. (١).



خريطة توضح حروب الردة (٢)

- (١) لمزيد من التفاصيل عن حروب الردة انظر : أبو يوسف : المعرفة والتاريخ، ط٢، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١ م، ج ١، ص ٢٧ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٠٣ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣، ص ٣٠٤ - ٣١٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٦ ، ص ٣٥٢ ؛ أحمد سعد العش : حروب الردة " دراسة تحليلية " ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠١٥ م ، ص ١٥-٣٥ .
- (٢) شوقي أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامي ، ص ٤٣ .

مسيلمة بن حبيب الحنفي (مسيلمة الكذاب):

مسلمة بن حبيب الملقب بالكذاب رجل من بني حنيفة، يقال إن اسمه مسلمة وأن المؤرخين المسلمين يذكرونه باسم مسيلمة استحقاقاً له كان قد تسمى بالرحمان فكان يقال له رحمان اليمامة، وكان يعمل كثيراً من أعمال الدجل، وادعى النبوة في عهد النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وشهد له أحد أتباعه أنه سمع الرسول يقول: أنه أشرك معه مسيلمة في الأمر، وتابعه كثير من أهل اليمامة، وخاصة من بني حنيفة، وكان يدعي الكرامات، ويقول المسلمون: (فأظهر الله كذبه ولصق به لقب الكذاب، وأراد إظهار كرامات تشبه معجزات النبي، فقد ذكر ابن كثير في البداية أنه بصق في بئر فغاض ماؤها، وفي أخرى فصار ماؤها أجاجاً، وسقى بوضوئه نخلا فييست، وأتى بولدان يبرك عليهم فمسح على رؤوسهم فمنهم من قرع رأسه ومنهم من لثغ لسانه، ودعا لرجل أصابه وجع في عينيه فمسحهما فعمي. و تزوج من سجاح، مدعية النبوه أيضاً.

قتل في حديقة الموت بمعركة اليمامة أيام خلافة ابي بكر، وقيل إن عمره حينئذ كان يناهز مائة وخمسين سنة، وقيل: إن الذي قتله وحشي بن حرب قاتل حمزة بن عبد المطلب يوم معركة أحد، عندما ادّعى "مسيلمة الكذاب" النبوة قال له أتباعه: "إن محمداً يقرأ قرآنًا يأتيه من السماء فاقراً علينا شيئاً مما يأتيك من السماء"، فقال لهم: "يا ضفدع يا ضفدعين .. نُقِّي ما تُنْقِين .. نصفك في الماء ونصفك في الطين"، فتقرز أتباعه مما سمعوا وعلموا أنه ليس وحي سماء بل

هذيان معتوه، وانبرى له من بينهم أحد الأعراب قائلاً: "والله إني لأعلم أنك كذاب، وأعلم أن محمدًا صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلي من صادق مضر" ..

ثم بعث خالد الخيول حول اليمامة يلتقطون ما حول حصونها من مال وسي، ثم عزم خالد على غزو الحصون، ولم يكن بقي فيها إلا النساء والصبيان والشيوخ الكبار، فخدعه مجاعة بن مرارة فقال إنها ملأى رجالاً ومقاتلة فهلم فصالحني عنها، فصالحه خالد لما رأى بالمسلمين من الجهد، وقد كلوا من كثرة الحروب والقتال، فصالحه خالد على الذهب والفضة والسلاح وربيع السبي، فلما فرغا فتحت الحصون فإذا ليس فيها إلا النساء والصبيان، فقال خالد لمجاعة: "ويحك خدعتني"، قال: "قومي ولم أستطع إلا ما صنعت"، ودعاهم خالد إلى الإسلام، فأسلموا عن آخرهم، ورجعوا إلى الحق، ورد عليهم خالد بعض ما كان أخذ من السبي، وساق الباقي إلى الصديق، وقد تسرى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بجارية منهم، وهي أم ابنه محمد الذي يقال له محمد بن الحنفية - رحمه الله - وكانت هذه الموقعة في آخر السنة الحادية عشر من الهجرة وأول السنة الثانية عشر من الهجرة النبوية الشريفة^(١).

خالد وطليحة:

كان طليحة من أولئك الذين أدعوا النبوة والتف حول قومه من بني أسد وأن فلول قبائل عبس وذبيان ومن آزرهم انضمت إليه بعد هزيمة المسلمين

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٦، ص ٣٥٥ وما بعدها.

لهم في زى القصة والربدة، وتابعهم في هذا الأمر قبائل طئ وغطفان وسليم وغيرها.

عمل أبو بكر على التغلب على طليحة فكلف عدى بن حاتم الطائي أن يمضى إلى قومه من بني طئ وهم غير متفقين فريق خارج على الخليفة وينضم إلى طليحة وفريق يحج عن العصيان ويؤثر البقاء والانتظار فنصحهم طئ فلقي كلامه منهم موافقة وسألوه أن يتوسط لدى أبي بكر ليمهلهم حتى يسترجعوا من لحق بطليحة من قبيلتهم لئلا يفتك بهم ووعدوا بانضمامهم جميعاً إلى جيش المسلمين^(١).

سير أبو بكر خالد بن الوليد في أربعة آلاف جندي لقتال طليحة ولم يعلن عن سير خالد إلى بذاخة حيث يقيم طليحة وأتباعه وصل خالد إلى بذاخة لمقاتلة طليحة مما جعل طليحة يرسل من عنده من طئ لنجدة إخوانهم والدفاع عن بلاده.

بعث خالد طليعة من جنده إلى طليحة على رأسها ثابت بن مقرن وعكاشة بن محصن وتمكن عكاشة من قتل حبال أخي طليحة ولكن عكاشة وثابتاً لقي مصرعهما على يد طليحة ورجاله انتصر المسلمون على طليحة في موقعة بذاخة وفر طليحة إلى بلاد الشام^(٢).

(١) الطبرى: تاريخه، ج٣، ص ٢٥٣.

(٢) الطبرى: تاريخه، ج٣، ص ٢٥٤.

حركة سجاح:

سجاح بنت الحارث بن الأسود من بني عقفان من بني يربوع من بني تميم أحوالها من بني تغلب بن وائل بن ربيعة. (المرجع (بنو بكر بن وائل) ص ٢٧٦-٢٧٧) أدعت النبوة بعد وفاة النبي محمد، لم تشر المصادر التاريخية أن الفرس هم الذين حرضوا سجاح للقيام بالدور المذكور كما أنه من الواضح ان مسيلمة كان يخشاها، وأنه تعهد بإعطائها نصف حاصلات اليمامة، وتسلمت منه بالفعل ربع هذه الحاصلات^(١)، ثم قفلت راجعة إلى العراق أي أنها كانت عبثاً عليه وليست عوناً له، وكانت حركة سجاح شأنها في ذلك شأن غيرها من الكهان رغبت أن تجرب حظها في إدعاء النبوة عليها تنجح في ذلك، ولكن سجاح خذلت من جانب قومها الأولين بنو تميم وعبساً حاولت سجاح توحيدهم وحين يأست من بني تميم توجهت إلى بني حنيفة في اليمامة عليها تقنع كاهنها مسيلمة بالانضواء تحت لوائها ولكنها فوجئت بقوة شخصيته، وتزوجت منه^(٢)، ثم أسلمت بعد مقتل مسيلمة، و توفيت عام ٥٥ هـ - ٦٧٥ م. توفيت في البصرة وصلى عليها عدد من الصحابة.

حركة ملك بن نويره:

كان مالك بن نويره عامل الرسول ﷺ على الصدقات في قومه، وبعد وفاة الرسول ﷺ رفض دفع الصدقات مما جعله مرتدّاً عن الإسلام.

(١) الطبرى: تاريخه، ج٢، ص٢٧٥.

(٢) الطبرى: تاريخه، ج٢، ص٢٧٥، ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص٢٥٧.

ولما ذهب خالد بن الوليد إلى مالك بن نويرة الذي قاتل مع سجاح، ارتاب خالد في أمر مالك ومن معه، لما حدثه بعض الجيش بإسلامه وإسلام من معه، فحبسهم خالد في ليلة شديدة البرد، ثم نادى أذفتوا أسراكم وكان معناها في لغة بني ثعلبة اقتلوا فقتلوهم، فلما عرف خالد ما جرى قال: ذلك أمر الله، وعرف عمر فحمل أبو بكر على خالد وقال: اعزله فإن في سيفه رهقاً فأبى ووقف بجانب خالد وعذره في ذلك.

عوامل انتصار المسلمين في حروب الردة:

تسيير جيش أسامة إلى تخوم الروم مما حمل الكثير من القبائل التي كانت على وشك الانتفاض والتراجع وادخل في روعها أن المسلمين لو لم يكونوا على قوة لما سيروا هذا الجيش.

براعة أبي بكر وخطته المحكمة في إعداد الجيوش وتحريكها في كل أنحاء جزيرة العرب، حيث أراد أن يفاجئ المرتدين وحاربهم حتى يشغل كل قبيلة بنفسها فلا تنضم إلى غيرها .

إيقاع خالد بن الوليد الهزيمة بأقوى زعماء المرتدين مما أضعف من

شأنهم.

كان المسلم يحارب لحماية العقيدة الإسلامية ويرغب في الاستشهاد من أجل هذه الغاية الكريمة، أما المرتد فكان يحارب من أجل الزكاة أو العصبية القبلية.

أهم نتائج حروب الردة:

- ١- تثبيت العقيدة التي كانت حيرى بين المتمردين عليها والمدافعين عنها.
- ٢- أصبح أبو بكر الرجل الأول في الجماعة الإسلامية وأقر الجميع بمجدارته في أن يكون خليفة لرسول الله.
- ٣- شعر المسلمون بعد ظفرهم في حروب الردة بالثقة في أنفسهم وأحسوا بمقدار القوة التي جنوها من اتحادهم فأدركوا أنهم إن ظلوا كذلك متحدين فلن تغلبهم قوة في الأرض فانطلقوا يفتحون البلاد وينشرون دين الله في الأرض.
- ٤- أحس أبو بكر من العرب هذه الروح ، فوجههم إلى الفتح.
- ٥- جمع القرآن الكريم فقد تم ترتيب آيات الله في سور على عهد الرسول وبتوجيه منه لكن هذه السور لم تجمع في كتاب واحد قبل وفاته، ولما قامت حروب الردة واستشهد فيها كثير من القراء الذين كانوا يحفظون القرآن أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر رضى الله عنهما بضرورة جمع القرآن^(١) لأنه كان ١٦٦٦٦ منقوشاً على سعف النخيل وقطع الآدم (الجلد) وعظام ألواح الغنم والإبل، فأمر بتشكيل لجنة من أفضل القراء الذين حفظوا القرآن على عصر وأسند رئاسة هذه اللجنة إلى زيد بن ثابت^(٢) أحد كتاب الوحي الرسول

(١) ابن الجوزي : تلقيح فهم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ١٩٩٧ م، ص ٣٣٧؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٦٢، ٦٣.

(٢) سيدنا زيد بن ثابت : زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد ابن لؤذان بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، أمه النوار بنت مالك ، كنيته أبو سعيد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وكان عمره لما قدم النبي ﷺ إحدى عشرة سنة، واستصغره رسول الله ﷺ يوم

وقامت اللجنة بمقارنة المکتوب بما يحفظه أعضاؤها وغيرهم ثم دونت القرآن كله في صحف فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها^(١)، وقد صارت هذه الصحف مصدراً للمصحف الذي أمر الخليفة عثمان بن عفان بكتابة عدة نسخ منه وتوزيعها على جهات الدولة الإسلامية، فتحقق بذلك^(٢) قوله تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ".

ما إن انتهت حرب الردة سارع الصديق في تنفيذ خطة الفتوحات لفتح العراق وبلاد الشام^(٣)،

لما انتهت حروب الردة واستقرت الأمور في الجزيرة العربية، بدأ أبو بكر بتوجيه الجيوش لفتح البلاد، فجيّش لفتح العراق جيشين:

بدر، فرده، وشهد أحداً، وقيل: لم يشهدا، وإنما شهد الخندق، وكان زيد يكتب لرسول الله ﷺ الوحي وغيره، وتعلم العبرية والسريانية بأمر النبي ﷺ، وكتب بعد النبي ﷺ لأبي بكر، وعمر، وكان من أعلم الصحابة، وكان عليّ بيت المال لعثمان، وهو الذي كتب القرآن في عهد أبي بكر، وعثمان، ﷺ، وتوفي بالمدينة سنة إحدى أو اثنتين أو أربع أو خمس أو ست وخمسين وقيل سنة خمس أو ثمان وأربعين وارتجت المدينة لموته. ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٢، ص ٣٤٦؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، الكتب العلمية بيروت-لبنان ١٩٩٨ م، ج ١، ص ٢٧؛ الصفي: الوافي بالوفيات، ج ١٥، ص ١٥، ١٦.

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٧٧.

(٢) سورة الحجر آية ٩

(٣) لمزيد من التفاصيل عن الفتوحات الإسلامية في عهد سيدنا أبو بكر الصديق أنظر: الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٢-٧٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية: ج ٦، ص ٣٤٧؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج ١، ص ٦٢؛ الصلابي: الانسراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، ص ٣٠٥، ٣٧٧.

الجيش الأول بقيادة خالد بن الوليد، وكان يومئذ باليمامة، فكتب إليه يأمره بأن يغزو العراق من جنوبه الغربي، ، وشرع أبو بكر في تجهيز السرايا والبعوث والجيوش إمداداً لخالد. كان تاريخ بعث خالد إلى العراق في شهر رجب وقيل في المحرم سنة ١٢هـ.

الجيش الثاني بقيادة عياض بن غنم، وكان بين النجاج (قرية في منتصف الطريق بين مكة والبصرة) والحجاز، فكتب إليه بأن يغزو العراق من شماله الشرقي بادئاً بالمصيخ، وهي موضع على حدود الشام مما يلي العراق حتى تلقى خالداً".

كان المثنى بن حارثة قد قدم على أبي بكر وحثه على محاربة الفرس وقال له: «ابعثني على قومي»، ففعل أبو بكر ذلك، فشرع المثنى في الجهاد بالعراق، ثم بعث إلى أبي بكر يستمده فكتب إليه أبو بكر: **«أما بعد، فإنني قد بعثت إليك خالد بن الوليد إلى أرض العراق، فاستقبله بمن معك من قومك، ثم ساعده ووازره وكانفه، ولا تعصين له أمراً ولا تخالفن له رأياً، فإنه من الذين وصف الله تبارك وتعالى في كتابه: «محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشداءُ على الكفار رحماءُ بينهم تراهم ركعاً سجداً»، فما أقام معك فهو الأمير، فإن شخص عنك فأنت على ما كنت عليه.»** لم يلبث خالد أن قدم العراق ومعه ألفا رجل ممن قاتل المرتدين، وحشد ثمانية آلاف رجل من قبائل ربيعة، وكتب إلى ثلاثة من الأمراء في العراق قد اجتمعت لهم جيوش لغرض الجهاد فاستجابوا وضموا جيوشهم

التي بلغ تعدادها مع جيش المثنى ثمانية آلاف، فأصبح جيش المسلمين ثمانية عشر ألفاً. وقد اتفقوا على أن يكون مكان تجمع الجيوش الأبله، وقبل أن يسير خالد إلى العراق كتب إلى هرمز صاحب ثغر الأبله كتاب إنذار يقول فيه: «أما بعد، فأسلم تسلم أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتمكم بقوم يجبون الموت كما تجبون الحياة». وحين قارب خالد العدو جعل الجيش ثلاث فرق، وأمر أن تسلك كل فرقة طريقاً، فجعل المثنى على فرقة المقدمة، ثم تلتها فرقة عليها عدي بن حاتم الطائي، وخرج خالد بعدهما وواعدهما الحضير، ليجتمعوا به ويصمدوا لعدوهم.

معركة ذات السلاسل

سمع هرمز بمسير خالد بن الوليد، وعلم أن المسلمين تواعدوا الحضير، فسبقهم إليه وجعل على مقدمته القائدين "قباذ" و"أنو شجان"، فلما بلغ خالد أنهم يمموا الحضير عدل عنها إلى كاظمة، فسبقه هرمز إليها؛ واتفق هرمز مع حاميته على أن يبارز خالداً ثم يغدروا به ويهجموا عليه، فبرز بين الصفيين ودعا خالداً إلى البراز فبرز إليه، والتقيا فاختلفا ضربتين، واحتضنه خالد فحملت حامية هرمز على خالد وأحدقوا به، فما شغله ذلك عن قتل هرمز، وما أن لمح ذلك القعقاع بن عمرو حتى حمل بجماعة من الفرسان على حامية هرمز، وحمل المسلمون من وراء القعقاع حتى هزموا الفرس. وقد كان الفرس قد ربطوا أنفسهم بالسلاسل حتى لا يفروا، فلم تغن عنهم شيئاً أمام المسلمين،

وغنم المسلمون من الفرس حمل ألف بعير، وبعث خالد سرايا تفتح ما حول الحيرة من حصون فغنموا أموالاً كثيرة، ونجح خالد بن الوليد في هزيمة جيوش الفرس في المذار ، وقتل قائدهم قارن بيد معقل بن الأعمش بن النباش وقُتل منهم ثلاثون ألفاً، ولجأ بقيتهم إلى السفن فهربوا عليها، وأقام خالد بالمذار وصل نبأ نكبة الفرس في المذار إلى كسرى، فبعث جيش عظيم، وأردفه بجيش آخر عليه "بهمن جاذويه"، حتى انتهى إلى الوجلة، وبدأت المعركة واشتد القتال بين الفريقين، فحلت به الهزيمة المنكرة بجيوش الفرس ونجح خالد بن الوليد فتح الحيرة ، وفتح الأنبار وعين التمر ودومة الجندل^(١) .

فتوحات الشام في عهد أبي بكر

كان اهتمام المسلمين بالشام منذ عهد النبي محمد، فقد كتب إلى هرقل عظيم الروم وغيره من أمراء الشام كتباً يدعوهم فيها إلى الإسلام، كما أرسل جيشاً إلى مؤتة في الشام فكانت معركة مؤتة، ثم قاد غزوة تبوك بنفسه. ولما تولى أبو بكر الخلافة، أصر بعد وفاة النبي على إنفاذ جيش أسامة بن زيد، ثم دعا

(١) لمزيد من التفاصيل عن الفتوحات الإسلامية في بلاد العراق في عهد الخليفة أبو بكر الصديق أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية: ج٦، ص ٣٤٧؛ الصلابي : الانسراحُ وَرَفْعُ الضَّيِّقِ فِي سِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، ص٣٠٥، ٣٧٧؛ محمد رضا : أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين الناشر: دار الكتاب العربي ٢٠٠٤م، ص٦٣ - ٧٨.

الناس إلى الجهاد، وعقد الأولوية لأربعة جيوش أرسلها لفتح الشام، وأمر كل أمير أن يسلك طريقاً غير طريق الآخر، وهذه الجيوش هي:

جيش يزيد بن أبي سفيان: كانت مهمته الوصول إلى دمشق وفتحها ومساعدة الجيوش الأربعة عند الضرورة، وكان جيش يزيد أول الأمر ثلاثة آلاف، ثم عززه الخليفة بالإمدادات حتى صار معه بحدود سبعة آلاف رجل.

جيش شرحبيل بن حسنة: حدد أبو بكر لمسير شرحبيل بن حسنة ثلاثة أيام بعد مسير يزيد بن أبي سفيان، وكان جيش شرحبيل ما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف، وأمره أن يسير إلى تبوك والبقاء ثم بصرى، وهي آخر مرحلة، فتقدم شرحبيل نحو البلقاء حيث لم يلق مقاومة تُذكر، وكان يسير على الجناح الأيسر لجيش أبي عبيدة بن الجراح، والجناح الأيمن لجيش عمرو بن العاص في فلسطين، فأوغل في البلقاء حتى بلغ بصرى، فأخذ يحاصرها، فلم يوفق في فتحها لأنها كانت من المراكز الحصينة.

جيش أبي عبيدة بن الجراح: وكان يتراوح ما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف مجاهد، وهدف ذلك الجيش حمص. سار أبو عبيدة من المدينة ماراً بوادي القرى إلى الجابية، وكان هذا الجيش الجناح الأيسر لجيش يزيد، والجناح الأيمن لجيش شرحبيل

جيش عمرو بن العاص: وجهه أبو بكر إلى فلسطين، وكان تعداده يتراوح من ستة آلاف إلى سبعة آلاف مجاهد، فسلكت طريقاً لساحل البحر

الأحمر حتى وادي عربة في البحر الميت، ونظم عمرو بن العاص قوة استطلاع مؤلفة من ألف مجاهد يقودها عبد الله بن عمر بن الخطاب، ودفعها باتجاه محور تقدم الروم، فاصطدمت هذه القوة بقوة للروم، ولكنها انتصرت عليهم .

وقد كان للروم في الشام جيشان كبيران: أحدهما في فلسطين والآخر في أنطاكية، وعندما شهد قائد الروم هرقل توغل الجيوش الإسلامية، أصدر أوامره لقواته بالتوجه لتدمير الجيوش الإسلامية الأربعة كل على حدة. فراسل قادة المسلمين أبا بكر يخبرونه بأمر الروم، فشرع بإمدادهم بالرجال والسلاح والخيول وما يحتاجونه، فأرسل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ومعه ألف مقاتل إلى أبي عبيدة، وأرسل سعيد بن عامر بن حذيم ومعه سبعمائة رجل إلى يزيد بن أبي سفيان. وقرر قادة المسلمين الانسحاب من جميع الأراضي التي فتحوها والتجمع في مكان واحد لإحبار الروم على حوض معركة فاصلة تخوضها كل الجيوش الإسلامية، فاتفقوا أن يكون التجمع باليرموك، وأن يتم الانسحاب مع تجنب الاشتباك مع العدو، فانسحب أبو عبيدة من حمص، وانسحب شرحبيل بن حسنة من الأردن، وانسحب يزيد بن أبي سفيان من دمشق، وأخذ عمرو بن العاص في الانسحاب تدريجياً من فلسطين.

وقرر أبو بكر أن ينقل خالد بن الوليد بجيشه إلى الشام وأن يتولى قيادة الجيوش بها، فحشد خالد جنوده وانطلق ليعبر إلى الشام عبر صحاري رهيبة، وبعد خمسة أيام من الترحال وصل جيش خالد إلى الشام.

معركة أجنادين

كان عمرو بن العاص ينسحب بمحاذاة ضفة نهر الأردن لكي يلتقي بجيوش المسلمين الأخرى، فقرر خالد بن الوليد أن يسرع وينضم إلى جيش عمرو بن العاص، فانحدر من اليرموك إلى سهل فلسطين، وتحرك عمرو بن العاص إلى أجنادين، وعندما وصلت قوات خالد أصبح جيش المسلمين بحدود ثلاثين ألف مقاتل، فما أن اصطدمت قوات عمرو بن العاص بالروم حتى انقض خالد بقواته الرئيسية، وجرت معركة عنيفة، وكان لمهارة القائدين خالد وعمرو العسكرية دور كبير في تحقيق النصر الحاسم، حيث وُجِّهت قوة اقتحامية اخترقت صفوف العدو حتى وصلت إلى قائد الروم فقتلوه، وبمقتل القائد انهارت مقاومة الروم وهربوا في اتجاهات مختلفة.

معركة اليرموك

بعد انتصار المسلمين في أجنادين اجتمعوا في اليرموك، وتحركت جيوش الروم بقيادة "تيدور" ونزلت في منزل واسع الطعن واسع المطرد ضيق المهرب، وكان عدد المسلمين أربعين ألف مقاتل أو خمسة وأربعين ألفاً يقودهم خالد بن الوليد، وأما عدد الروم فيقدر بمائتين وأربعين ألفاً بقيادة "تيدور"، وقسم خالد جيشه، فجعل على فرقة القلب أبا عبيدة بن الجراح ومعه عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو، وعلى فرقة الميمنة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة، وعلى فرقة الميسرة يزيد بن أبي سفيان.

وفي أثناء هذه المعركة توفي سيدنا أبو بكر الصديق وتولى الخلافة سيدنا عمر بن الخطاب والذي قام بعزل سيدنا خالد بن الوليد من قيادة الجيش وتولية سيدنا أبو عبيدة عامر بن الجراح (١)

بدأ القتال وحيت الحرب، وتقدمت صفوف الروم فحملت ميسرتهم على ميمنة المسلمين فانكشف قلب الجيش الإسلامي من ناحية الميمنة، واستطاع الروم إحداث ثغرة في صفوف المسلمين والتسلل إلى مؤخرتهم، فثبت المسلمون حتى صدوا الروم، ثم ركبهم الروم فزال المسلمون من الميمنة إلى القلب، وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر، وثبت سور من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم، ثم تنادوا فتراجعوا حتى نهنهوا من أمامهم من الروم وأشغلوهم عن اتباع من انكشف من الناس. ثم حملت ميمنة الروم على ميسرة المسلمين حملة شديدة، فانكشف قلب المسلمين من ناحية الميسرة وركب الروم أكتاف من انهزم من المسلمين، وتبعوهم حتى دخلوا معسكر المسلمين، فاستقبلتهم نساء المسلمين بالحجارة وأعمدة الخيام يضرينهم على وجوههم فرجعوا إلى القتال، وقتلوا من الروم خلقاً كثيراً. وحاولت ميسرة الروم مرة أخرى شن الهجوم على ميمنة المسلمين، فشدوا على عمرو بن العاص وجنده في محاولة اختراق الصفوف لكي يطوّقوهم، وقاتل عمرو وجنده عن مواضعهم، إلا أن الروم تمكنوا

(١) ابن حبان : السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤٦٣.

من دخول معسكرهم، ونزلت المسلمات من التل وأخذن يضربن وجوه الرجال المراجعين، وبذلك ارتدت إلى المسلمين عزائمهم، ودخلوا للقتال مرة أخرى، وحمل المسلمون على الروم من جديد حتى أزاحوهم عن المواضع التي كسبوها. وحمل خالد بمن معه من الخيالة على الميسرة التي حملت على يمينه المسلمين فأزالوهم إلى القلب، فقتل من الروم في حملته هذه ستة آلاف، ثم اعترضهم فحمل بمائة فارس معه على نحو من مائة ألف، فما وصل إليهم حتى انقض جميعهم، وحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد فانكشفوا، وحاز المسلمون ما كان هنالك من الغنائم، وكان عدد قتلى المسلمين ثلاثة آلاف منهم: عكرمة بن أبي جهل، وابنه عمرو، وسلمة بن هشام، وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد. وكان عدد قتلى الروم مائة وعشرين ألفاً، منهم ثمانون ألفاً مقيدون بالسلاسل وأربعون ألفاً مطلقون سقطوا جميعهم في الوادي^(١).

وتوفي سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعمره ثلاث وستون سنة في جمادي الآخرة من سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وكانت مدة ولايته

(١) لمزيد من التفاصيل عن الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام في عهد الخليفة أبو بكر الصديق أنظر : الواقدي : فتوح الشام، ج١، ص١٢-٧٠؛ ابن كثير : البداية والنهاية: ج٦، ص ٣٤٧؛ ابن حجر العسقلاني : الإصابة، ج١، ص٦٢؛ الصلابي : الانشراحُ وَرَفْعُ الصَّيْقِ فِي سِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ الصَّديق، ص٣٠٥، ٣٧٧..

سنتين ونصف، بعد أن اختار سيدنا عمر بن الخطاب خليفة بعده بعد
مشاورة كبار الصحابة (١).



خريطة توضح فتوح العراق وبلاد الشام (١)

- (١) خليفة ابن خياط: تاريخه، ص ١٢١، ١٢٢؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤١٩-٤٢٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٦٦، ٢٦٧.
- (٢) شوقي أبو ضيف: أطلس التاريخ الإسلامي، ص ٤٣.

خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ؓ (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م)

نسبه:

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن قرط بن زراح بن عدى بن كعب بن لؤى، أمير المؤمنين، أبو حفص القرشى العدوى الفاروق. ولد عمر بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من أشرف قريش، وأسند إليه السفارة في الجاهلية. فكان مبعوث قريش إلى القبائل الأخرى في السلم والحرب، أسلم عمر في السنة السادسة من البعثة النبوية. بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة، وقيل: بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة. ولما أسلم عمر ظهر الإسلام في مكة، وكان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمامته رحمة، وهو الذي جعل المسلمين يصلوا حول الكعبة، هاجر عمر بن الخطاب علناً، ولما حان وقت هجرته تقلد سيفه، ومر على أشرف قريش محذرهم من اللحاق به قائلًا: من أراد أن تتكلمه أمه، ويستم ولده، وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادى" (١).

استخلاف عمر ؓ:

قد يبدو للوهلة الأولى أن استخلاف عمر ؓ يختلف في أسسه عن اختيار أبي بكر ؓ، وأنه تم عن طريق التعيين لا البيعة، ولكننا إذا نظرنا لم نجد فرق كبير بين الموقفين ولوجدنا في استخلاف عمر ؓ التزاماً كاملاً بالمبادئ التي تحققت في الاختيار الأول من تفويض الأمر للأمة والبيعة الخاصة من جانب أهل الحل والعقد ثم البيعة العامة من جانب الأمة.

(١) ابن سعد: الطبقات، ج ٣، ص ٢٧٥؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٤٤، ص ٢٦٣؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ٣٠٦.

حرص أبو بكر رضي الله عنه على الالتزام بالمبدأ الأول وهو تفويض الأمر للأمة، فلما شعر بدنو أجله حين اشتد عليه المرض رأى أن يرشح للخلافة شخصاً من بعده فوق اختياره على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستدعى كبار الصحابة واستشار عدد من المهاجرين والأنصار فقالوا كلهم خيراً، ودعا أبو بكر عثمان رضي الله عنه منفرداً فقال له: أكتب: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبي بكر ابن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وعند أول عهده بالآخرة داخلها... فيها... إني استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاسمعوا له وأطيعوا... فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ثم أمر أبو بكر رضي الله عنه عثمان رضي الله عنه أن يخرج للناس بهذه الوثيقة ومعه عمر رضي الله عنه فقال عثمان للناس أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ قالوا نعم وقال بعضهم قد علمنا به إنه عمر فأقر الناس بذلك جميعاً^(١).

وضع التقويم الهجري:

كان عمر بن الخطاب أول من وضع التقويم الهجري للتاريخ به منذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وشرع في ذلك سنة ست عشرة في شهر ربيع الأول.

(١) خليفة ابن خياط: تاريخه، ص ١٢١، ١٢٢؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤١٩؛ ابن حبان: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تحقيق الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، ط ٣، الكتب الثقافية - بيروت ١٤١٧ هـ، ج ٢، ص ٤٥٣-٤٥٦؛ ابن خلدون: العبر، ج ٢، ص ٥١٧-٥١٨.

الفتوحات الإسلامية في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

كانت الجيوش الإسلامية مشتبكة في حروب على جبهة الفرس والروم عندما تولى سيدنا عمر بن الخطاب مقاليد الخلافة، فحرص على إرسال النجيدات من المدينة لتعزيز تلك الجبهات، فتح سيدنا عمر «الفتوح العظام في كل بلد»، ومن فتوحه مصر والشام والعراق والجزيرة وفارس وبلاد الشام وفلسطين، مما لم يفتح مثله علي أحد قبله ولا بعده، ونجح في الإستيلاء على الإمبراطورية الفارسية وتمزيق الإمبراطورية الفارسية (١).

الفتوحات والمعارك الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب

- موقعة الجسر سنة ١٣ هـ.
- فتوح بلاد الشام وبيت المقدس سنة ١٤ هـ.
- معركة القادسية سنة ١٦ هـ:
- فتح المدائن سنة ١٦ هـ.
- فتح مصر سنة ١٨ هـ.
- فتح برقة وطرابلس (٢٢ - ٢٣ هـ/٦٤٣-٦٤٤ م)

د- معركة الجسر:

انزعج الفرس من الهزائم التي لحقت بهم على يد المسلمين. وعزموا على حشد قوة كبيرة لملاقاة المسلمين عند موضع يدعى المروحة حيث وقعت معركة

(١) أبي زرعة الدمشقي : تاريخ أبي زرعة ،دراسة وتحقيق: شكر الله نعمة الله القوجاني ، مجمع اللغة العربية - دمشق(د.ت) ، ص١٧٥- ١٨٢؛ قتيبة الدينوري : المعارف، ص١٨٢ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ، ج٤، ص١٣٦-١٥١.

الجسر. وكانت قوات الفرس تقف على الجانب الشرقي من نهر الفرات بينما تقف قوات المسلمين على الجانب الغربي بقيادة أبو عبيد بن مسعود الثقفي. وأقام المسلمون جسرا. وعبروا عليه. وكانت قوات الفرس تتألف من أربعة آلاف ومعهم الفيلة. ودار قتال عنيف، وكاد المسلمون يظفرون بالنصر لولا أن وقع أبو عبيد فبرك عليه الفيل فمات، وكر الفرس على المسلمين، فأسرع رجل من ثقيف يدعى عبد الله بن مرثد الثقفي إلى الجسر فقطع على المسلمين خط الرجعة، ليحثهم على الصمود وتكبد المسلمون خسائر كبيرة في هذه المعركة^(١).

المسير إلى القادسية:

أستدعى عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص وكان على صدقات هوازن فولاه الجيش وأمره بالسير ومعه أربعة آلاف ثم أمده بألفي يمني وألفي نجدي وكان مع المثني ثمانية آلاف ومات المثني قبل وصول سعد وتتابعت الإمدادات حتى صار مع سعد ستة و ثلاثون ألفاً. أما الفرس فقد أجبر يزيدجرد رستم على قيادة الجيش الفارسي بنفسه وأرسل سعد وفداً إلى رستم فيهم: النعمان بن مقرن المزني وبسر بن أبي رهم والمغيرة بن شعبة (٢) والمغيرة بن زرارة.

(١) ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ج ٢، ص ٤٦٠- ٤٦٣ .
 (٢) المغيرة بن شعبة : هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، من كبار الصحابة اتصف بالشجاعة والمكيدة والدهاء، كَانَ الْمُغِيرَةَ مِنْ ذُهَابِ الْعَرَبِ، وَدَوِيَ آرَائِهَا، أَسْلَمَ عَامَ الْخَنْدَقِ وَشَهِدَ الْخُدَيْبِيَّةَ، وَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ إِسْلَامِ أَهْلِ الطَّائِفِ هُوَ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فَهَدَمَا اللَّاتَ، وَبَعَثَهُ الصَّدِيقُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، وَشَهِدَ الْيَمَامَةَ وَالْبُرْمُوكَ، وَشَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ، وَوَلَاهُ سَيِّدَنَا عَمْرُ فَتَوَحَّا كَثِيرَةً، مِنْهَا هَمْدَانَ وَمَيْسَانَ، اسْتَنَابَهُ سَيِّدُنَا عُمَرُ عَلِيَّ الْبَصْرَةَ، وَوَلَّاهُ الْكُوفَةَ، وَاسْتَمَرَّ بِهِ عُثْمَانُ حِينَئِذٍ عَزَلَهُ، فَبَقِيَ مَعْتَزلاً حَتَّى كَانَ أَمْرُ الْحَكَمِيِّينَ فَلَجِقَ بِمُعَاوِيَةَ، فَلَمَّا قَتَلَ عَلِيَّ وَصَالِحَ مُعَاوِيَةَ الْحَسَنَ وَدَخَلَ الْكُوفَةَ وَوَلَاهُ عَلَيْهَا فَلَمْ يَزَلْ أَمِيرَهَا حَتَّى ،

وسار رستم وفي مقدمته (الجالينوس) وجعل في ميمنته (الهرمزان) وعلى الميسرة (مهران بن بهرام) ثم سار رستم حتى وصل الحيرة ثم النجف حتى وصل القادسية ومعه سبعون فيلاً. نعم

القتال

قتل رستم فانهزمت معنويات الفرس فانهزموا وعبروا النهر فتبعهم المسلمون يخرؤهم برماحهم فسقط من الفرس في النهر ألوفاً. وقتل من المسلمين ليلة الهرير ويوم القادسية ألفان وخمسمائة، ومن الفرس في الليلة نفسها عشرة آلاف ولحق زهرة بن الحوية التميمي الجالينوس فقتله.

استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب:

طعن أبو لؤلؤة الجوسي^(١) غلام المغيرة بن شعبة الخليفة عمر بن الخطاب ثلاث طعنات في جسده أثناء تأديته لصلاة الصبح، وتوفي بعدها بثلاثة أيام.

تُوفِّي المغيرة بن شعبة بالكوفة سنة خمسین للهجرة، وهو ابن سبعین سنة. ابن كثير: البداية والنهاية، طبعة دار الفكر، ج ٨، ص ٤٨.

(١) أبو لؤلؤة المَجُوسِي: فارسي من نهاوند، أسره المسلمون من الروم وسبي إلي المدينة المنورة سنة (٢١ هـ / ٦٤٣ م)، ويقال له فيروز الديلمي، فقَالَ لسيدنا عمر إنَّ المَغِيرَةَ قَدْ جَعَلَ عَلَيَّ مِنَ الخَرَاجِ مَا لَا أُطِيقُ حَمْلَهُ قَالَ وَكَمْ جَعَلَ عَلَيْكَ قَالَ كَذَا وَكَذَا قَالَ وَمَا عَمَلُكَ قَالَ أَجُوفَ الرَّحَا قَالَ مَا ذَلِكَ عَلَيْكَ بِكَثِيرٍ لَيْسَ بِأَرْضِنَا مِنْ يَعْملهَا غَيْرِكَ أَلَا تَصْنَعُ لِي رَحَاً قَالَ بَلِي وَاللَّهِ لِأَصْنَعَنَّ لَكَ رَحَاً يَسْمَعُهَا أَهْلُ الأَفَاقِ، وَخَرَجَ عُمَرُ يُوَقِّظُ النَّاسَ بِدِرَّتِهِ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ فَلَقِيَهُ أَبُو لؤلؤة فَطَعَنَهُ ثَلَاثَ طَعَنَاتٍ وَحَاوَلَ القَاتِلَ الفِرَارَ، فَتَصَدَّى لَهُ المَصْلُونُ، فَرَاخَ يَطْعَنُهُمْ بِمِئْنَا وَشِمَالًا فَأَصَابَ ثَلَاثَةَ عَشْرٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ إنَّ عبد الله بن عوف أتاه من ورائه، وألقى عليه رداءه وطرحه أرضًا، وعندما أيقن فيروز أنه مقتول لا محالة، انتحر بخنجره. محمد بن أحمد بن تميم: المحن، ص ٦٨، ٦٩؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤٤، ص ٤٤١.

الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٦م)

شخصية عثمان :

كان عثمان عندما اعتلى عرش الخلافة قد تقدم في السن تقدماً كبيراً، فقد قيل إنه كان في ذلك الحين في السبعين من عمره، وشفع له في الوصول إلى الخلافة ماضيه المجيد في سبيل الدعوة الإسلامية، إذ كان أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض.

كان عثمان غنياً انفق معظم أمواله في سبيل نشر الدعوة الدينية، شديد الإيمان بصدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تزوج بنتين من بناته، كما كان طيب القلب خالص العقيدة سخيّاً، وذاع عنه الجود والكرم والبذل للقريب والبعيد حتى قلده عماله وكثير من أهل عصره في طريقته واقتدوا بفعله.

● انتخابه:

اختيار عثمان رضي الله عنه :

عندما طعن عمر رضي الله عنه على يد أبي لؤلؤة المجوسي قال الناس له: أوصى يا أمير المؤمنين أي استخلف كما فعل أبو بكر الصديق حتى لا يختلف المسلمون من بعده تدبر عمر رغم جراحة النازفة هل يتحمل المسؤولية حياً وميتاً؟ أم يترك الأمة عرضاً للاختلاف وقال من استخلف لو كان أبو عبيده حياً استخلفته، فإن سئلتني ربي سمعت نبيك يقول: إنه أمين هذه الأمة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته فإن سئلتني ربي قلت: سمعت نبيك يقول إن سالمًا شديد الحب لله، وإن كان معاذ بن جبل حياً لاستخلفته، فإن سألتني ربي قلت: سمعت نبيك يقول إن معاذاً أعلم أمتي بالحلال والحرام، ثم قال إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني وإن اترك فقد ترك من هو خير مني ولن يضيع الله

دينه فخرجوا، وأخيراً استقر رأيه على أن يجعل مسؤولية الأمة في يدها ويد ممثليها، وفي نفس الوقت يقيها الشقاق والاختلاف وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتوني في حفرتي: فاجمع هؤلاء الرهط في بيت، حتى يختاروا رجلاً منهم، فأمر بتشكيل مجلس شورى يضم ستة من المرشحين هم عثمان وعلى والزيبر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، ويحضر معهم ابنه عبد الله على أن يكون رأيه شورياً فقط يلجأ إليه القوم للترجيح وليس له حق الترشيح وبنى عمر اختياره لهم على أنهم الستة الباقون من العشرة الذين بشرهم الرسول ﷺ بالجنة، واعتبر ذلك تزكية لهم ومدعات للثقة فيهم.

وحدد عمر مهمة المجلس ومدة انعقاده ونظام العمل داخله، فجعل لكل واحد من هؤلاء الستة حقين حق الترشيح، وحق الاختيار فعليهم أن يختاروا واحداً من بينهم وأمهاتهم ثلاثة أيام بعد وفاته لا يزيدون عنها ووضع الضمانات لحسم الخلاف منها:

- أمر صهيباً أن ينوب عن الخليفة في هذه المدة ويصلى بالناس ويتابع مجلس الشورى.
- إذا خرج أحدهم على رأى الأغلبية فعليهم أن يضربه بالسيف.
- إن رضي ثلاثة رجلاً وثلاثة رجلاً فليحكموا عبد الله بن عمر فإن لم يرضوا رأيه فليكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، ويقتلون الباقين إن أصروا على الخلاف.
- أمر عمر بانعقاد المجلس عقب وفاته دون انتظار طلحة الذي كان غائباً عن المدينة فإن حضر نضم إليهم وإن تأخر سقط حقه في الترشيح.

- ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم ولا أظن أن يلي إلا أحد هذين الرجلين على وعثمان.
- إن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبي واحد فاضرب رأسه بالسيف.
- إن اتفقا أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبي اثنان فاضرب رأسهما.
- ونهى كل واحد منهم إن صار خليفة عن تفضيل الأقارب وحملهم على رقاب الناس وأوصى من يصير خليفة من بعده بالأنصار خيراً وبالعرب.

اتساع الدولة العربية زمن الخليفة عثمان رضي الله عنه:

كانت الدولة العربية حتى وفاة عمر دولة برية وليست بحرية: فكانت جيوشها تحارب براً، ولم نسمع إلى ذلك الوقت بواقعة بحرية أو بإنشاء أسطول، ولكن في عهد عثمان ابتدأت الدولة الإسلامية في تكوين قوة بحرية كبيرة. ويقال إن معاوية^(١) استأذن عمر في إنشاء أسطول يغزو به الروم في البحر، وذلك لأن معاوية وجد أن أساطيل الروم لا تبرح تهدد شواطئ الشام، إلا أن عمر امتنع عن ذلك لخوفه على المسلمين من ركوب البحر، ولكن الضرورة كانت ماسة لإنشاء أسطول، إذ أصبح العرب أمام البيزنطيين وجهاً لوجه، فلما جاءت خلافة عثمان عرض عليه معاوية الفكرة من جديد، فأذن له عثمان على شرط

(١) معاوية بن أبي سفيان : هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمه هند بنت عتبة، ويكنى أبا عبد الرحمن، وُلد قبل الهجرة بنحو خمسة عشر عاماً، أسلم عام الفتح، سنة (٨هـ)، وأصبح منذ أن أسلم كاتباً من كتّاب الوحي لرسول الله ﷺ، وشارك في حروب الردة، وفي فتوح الشام، عينه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه واليا على الشام كله، بعد وفاة أخيه «يزيد» سنة (١٨هـ)، و أقره سيدنا عثمان بن عفان (٢٣ - ٣٦هـ) علي ولايته، وبويع بالخلافة لما تنازل سيدنا الحسن رضي الله عنه عن الخلافة له، ومات معاوية رضي الله عنه بدمشق يوم الخميس لثمان بغير من رجب وهو ابن اثنتين وثمانين سنة ويقال ثمانين ويقال ست وثمانين وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوماً . خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط، ط٢، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة - دمشق، بيروت ١٣٩٧ هـ، ص٢٢٦؛ أبو الفداء عماد الدين: المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية (د.ت) ج١، ص١٨٤.

ألا يجبر مسلماً على ركوب البحر، فجد معاوية في إنشاء أسطول جعل رجاله من العرب اليمنيين، وأمر على الأسطول الإسلامي عبد الله بن قيس الحارثي فكان أول أمراء البحر، وقد حارب معاوية بهذا الأسطول البيزنطيين حتى وصل إلى عمورية في آسيا الصغرى كما استولى على جزيرتي قبرص ورودس وفتح كثيراً من الحصون، وصار إلى أرمنية الصغرى حتى وصل إلى فاليقلا فصالحه أهلها ثم استمر في فتوحه حتى بلغ تفليس (١).

معركة ذات الصواري ٣٤ هـ:

عظم على الروم انتصارات المسلمين عليهم في كل المعارك وأخذ الشام ومصر وإفريقية منهم، واتضح لهم أن المسلمين متفوقين عليهم في الحرب البرية ففكروا أن يضربوهم الضربة القاضية في البحر، وحسب معلوماتهم فإن العرب لا قوة لهم بالبحر وهم أبناء الصحراء البادية.

فأعد الإمبراطور قسطنز أخو هرقل أسطولاً ضخماً بلغت عدته ٥٠٠ سفينة وقيل ٦٠٠ سفينة^(٢)، وفي رواية المسعودي بلغ عدد الاسطول البيزنطي ١٠٠٠ سفينة حربية منها الخزائن والعدد^(٣)، وقاد قسطنز الاسطول بنفسه وكان يريد الاسكندرية وذلك انتقاماً من المسلمين لما أصابهم على أيديهم في الشام وإفريقية^(٤).

وكان الخليفة عثمان (رضي) قد اهتم بالبحرية وانشاء الاسطول الإسلامي وقد وكل بناء هذا الاسطول إلى العناصر الخيرة في الصناعة - أي

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٢١٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢٩، ص ٣٨.

(٢) سالم العبادي: تاريخ البحرية، ص ٢٨.

(٣) المسعودي: *، ص ٣٥-٤٠.

(٤) الطبري: تاريخه، ج ٥، ص ٦٩.

صناعة المراكب - في البلاد المفتوحة في كل من مصر والشام، وبخاصة ال* الذين ساهموا بنصيب كبير في بناء الاسطول الإسلامي في دور صناعتهم التي عرفت بجزيرة خصر أو الروضة^(١).

ولم تأت سنة ٣٣ هـ حتى كان لدي العرب أسطولاً يتكون من أكثر من ألف وسبعمائة قطعة، استطاع العرب أن يقضوا على السيادة البيزنطية في البحر المتوسط واستولوا على بعض جزره.

وهذا النشاط المتزايد من قبل المسلمين أخاف الروم حيث خرج الإمبراطور قسطنز علي رأس أسطول ضخم بقصد ملاقاتة المسلمين واحتلال الإسكندرية أكبر موانئ البحر المتوسط، فخرجت إليه أساطيل العرب في أعداد كبيرة بلغت مائتي سفينة بقيادة والي مصر عبد الله بن أبي سرح، فتقابل الاسطولان في شواطئ آسيا الصغرى سنة ٣٤ هـ، في معركة عرفت باسم "ذات الصواري".

وبدأ القتال وأقبل الروم علي المسلمين، فقال لهم المسلمون ان شئتم خرجنا نحن وأنتم إلي البر، فنحروا نحره واحدة وقالوا: الماء الماء وبدأ المسلمون الرمي بالسهام فنذت ولما نذت استخدموا الحجارة وعندما نذت الحجارة ربطوا المسلمون سفنهم بمراكب الروم وحولوا المعركة البحرية إلي معركة برية، واستخدموا السيوف، وثبت الطرفان ثباتاً شديداً، واختلط الجيشان بعضهم ببعض وكان المسلمون يتضاربون بالسيوف ويتوحأون بالخنجر وقتل من الجانبين أعداداً هائلة حتي تغير لون الماء، وطرحت الأمواج جثث القتلي ركاماً^(٢).

حتي انتهت المعركة إلي نصر حاسم للمسلمين، وقد خرج قسطنز إمبراطور الروم وفر هارباً ولجأ إلي جزيرة صقلية وقيل أن جنوده قتلوه لأنهم

(١) المقرئزي: الخطط، ج٢، ص٢٨٩، ماجد: تاريخ الدول العربية، ص٢٤٣.
(٢) الطبري: تاريخه، ج٤، ص٢٩.

اعتبروه مسئولاً عن هزيمتهم، وسميت هذه الغزوة بالصواري لكثرة المراكب وصواريخها واجتماعها^(١)، ولهذا النصر الحاسم ثبت المسلمون سيطرتهم على حوض البحر المتوسط والتفوق على الروم^(٢).

نتائج موقعة ذات الصواري:

كانت قضت علي سيطرة الروم علي البحر المتوسط حيث كان يطلق عليه بحر الروم.

مكنت المسلمين من الاستحواذ علي معظم جزر البحر المتوسط. تخلي قسطنز ومن جاء بعده من أباطره الروم عن فكرة طرد المسلمين من بلاد الشام ومصر.

عدم إقدام الروم على مهاجمة المسلمين في الفترة التي أعقبت المعركة، واتضح ذلك أثناء قتل الخليفة عثمان (رضي) وأثناء النزاع بين علي ومعاوية لم يتجرأ الروم على مهاجمة البلاد. فتح بلاد النوبة:

بدأ فتح بلاد النوبة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أثناء ولاية مرو بن العاص علي مصر ، حتي هاجم عمرو أهل النوبة الذين كانوا بارعين في حرب السهام والنبال والرمح ، وقيل أنهم فقأوا مائة وخمسين عيناً من المسلمين ففضل المسلمين الصلح معهم .

ولما تولي عبدالله بن سعد بن ابي السرح ولاية مصر سار لمحاربتهم سنة ٣١ هـ وقتلهم حتي وصل دنقلة وعقد معهم صلح عرف بمعاهدة البقط ، واستمرت معاهدة البقط بين مصر وأهل النوبة لمدة ستة قرون .

(١) الكندي: ولاء مصر، ص ٣٧.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٢١٧؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٥، ص ١٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢٩، ص ٣٨؛ سالم العبادي: تاريخ البحرية، ص ٤٣١.

معاهدة البقط (٣١هـ):

ليس بيننا وبين الأسود عهد ولا ميثاق انما هي حدثت بيننا وبينهم علي أن نعطيهم شيئاً من قمح وعدس ويعطوننا رقيقاً فلا بأس بشراء رقيقهم منهم أو من غيرهم .

وذكر عن الليث بن سعد ، قال : انما الصلح بيننا وبين النوبة علي

الا نقاتلهم ولا يقاتلونا .

أن يعطونا رقيقاً ونعطيهم بقدر ذلك طعاماً ، فان باعوا نساءهم ، ابناءهم لم أر بذلك بأساً أن يشتري .

وذكر أن عبدالله بن سعد بن أبي سرح صالح أهل النوبة علي أن يهدوا

في السنة أربعمئة رأس يخرجوا بها يأخذون بها طعاماً .

وكان المهدي أمير المؤمنين أمر بالزام النوبة في كل سنة ثلاثمئة رأس

وستين رأساً وزرافة ، علي أن يعطوا قمحاً وخل خمر و ثياباً .

بنود المعاهدة:

- ان يكون هناك هدنة بين الطرفين .
- أن يسمح بنقل التجارة فيما بينهما .
- أن يسلم النوبيون من عبيد المسلمين .
- أن يحافظوا علي المسجد الذي ابتناه المسلمون بدنفلة .
- أن تحمل النوبة كل سنة الي مصر ثلاثمئة وستين رأساً من الرقيق غير المعيب المتوسط العمر .
- وكانت النوبة تأخذ من مصر قمحاً وشعيراً وعدساً و ثياباً وخيلاً عند دفع البقط .

- ان تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين منها وندخل بلادكم مجازين غير مقيمين منه.
- وعليكم حفظ من نزل بلادكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتي يخرج منكم .
- ليس علي المسلمين دفع عدو عرض لحكم .

فتح أرمينية:

- كتب الخليفة عثمان بن عفان الي معاوية بن أبي سفيان والي الشام والجزيرة وثغورها ، يأمره بأن يرسل حبيب بن مسلمة الفهري الي أرمينية ، فنهض إليها حبيب وستة الاف وقيل ثمانية الاف ، فوصل قاليقلا وقاتل أهلها *** شديداً مما اخرهم الي التحصين داخل مدينتهم محاصرهم حبيب حصاراً شديداً حتي طلبوا الأمان مقابل الجلاء ودفع الجزية وخرج الكثير من أهلها الي بلاد الروم وأقام بها حبيب بجيشه شهراً (١).
- قام بطريك أرمينيا قس يحشد جموع غفيرة من البلاد و ال *** لمواجهة حبيب ، فكتب حبيب الي الخليفة عثمان يسأله المدد فكتب الخليفة الي معاوية أن يمدده ، فأرسل اليه الفي رجل اسكنهم حبيب قاليقلا وأقطعهم بها القطائع وجعلهم قوة مرابطة بها ، كما أرسل الخليفة عثمان الي سعيد بن العاص والي الكوفة أن يرسل المدد الي حبيب وعليه سلمان الباهلي، فسار سليمان في ستة الاف من اهل الكوفة ونزل الروم علي الفرات فتمكن حبيب من مباغتتهم وقتل قائدهم فانهزموا.

(١) البلاذري: فتوح ج ١ ، ص ٢٣٤ .

- واصل حبيب فتوحاته من أرمينية ديبيل وصالح بطريكها علي جزية يؤدها له ، وعلي معاونة المسلمين علي اعدائهم ، ثم استولي علي النشوي وصالح أهلها ، ثم فتح جزران وتفليس وصالحهم جميعاً.
- شارك سلمان الباهلي حبيب في فتح أرمينية
- ومعه أربعة الاف من المسلمين ، وكتب حبيب الي الخليفة عثمان بفتح أرمينية واستشهاد سلمان الباهلي (١) .

اهم اعمال سيدنا عثمان رضي الله عنه :

عمل عثمان علي عمارة المسجد الحرام عام ٢٦ هـ ، كما قام بعمارة المسجد النبوي عام ٢٩ هـ ، وسقفه بالساج ، وجعل طوله مائة وستين ذراعاً في مائة وخمسين ذراعاً ، وكان المسجد مائة في مائة ذراع ، كما جعل للارقاء نصيباً في بيت المال .

من اهم اعماله رضي الله عنه جمعه للمسلمين علي مصحف واحد وكانت المصاحف في الامصار مختلفة لاختلاف القراءات ، فجمعه علي مصحف واحد ونسخ منه نسخاً جعلها في الامصار وامر بحرق ما سواها ، ويعرف المصحف حتي اليوم بالرسم العثماني ، وقد تم هذا العمل في عام ٣٠ هـ ، وقام بكتابة هذا المصحف زيد ابن ثابت .

جمع القرآن في عهد الخليفة عثمان (رضي):

كان الخليفة أبو بكر الصديق (رضي) قد جمع القرآن الكريم وعهد بذلك إلي زيد بن ثابت (رضي) وكتبت نسخة من القرآن وحفظت في بيت أبي بكر ثم عمر ثم حفصة.

(١) البلاذري: فتوح ج ١، ص ٢٤٠ .

ولما انتشر الإسلام وعمت الفتوح ودخل الإسلام أقوام من غير العرب، فخشى بعض الصحابة من اختلاف الناس من القراءة أو تحريف شئ من القرآن

.*

ويروي البخاري عن أنس بن مالك^(١) أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان مشاركاً في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفرغ حذيفة اختلافهم في قراءة القرآن، فقال حذيفة لعثمان يأمر المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلي حفصة أن ارسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلتها حفصة إلي عثمان، فأمر الخليفة عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصي، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها، وقال عثمان لهم إذا اختلفتم في شئ اتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش وإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى نسخوا الصحف في المصاحف، ورد عثمان المصحف إلي حفصة، وأرسل إلي كل أفق بمصحف مما نسخوه، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق، وقيل أنه نسخ خمسة نسخ ووزعها على الأنصار، ويعرف المصحف حتى اليوم بالرسم العثماني وقد تم هذا العمل سنة ٣٠ هـ.

(١) أنس بن مالك : هو أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي صحابي مشهور ، وُلد ابن مالك قبل الهجرة إلى المدينة المنورة بعشر سنوات، وأمه هي أم سليم بنت ملحان، أسلمت ، ورفض زوجها مالك بن النضر دعوتها إلى الإسلام ، وكانت نشأة أنس بن مالك بين يدي الرسول عليه الصلاة والسلام، بعد أن ذهبت به أمه إلى الرسول ﷺ وهو في سن العاشرة ليعخدمه . مات سيدنا أنس بن مالك سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين من الهجرة وقد جاوز المائة. لمزيد من التفاصيل أنظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ص ٢٨٠؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، ج ١، ص ١٠٩-١١١.

خلافة سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام (٣٥-٤٠ هـ / ٦٥٦-٦٦١ م).

نسبه:

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. كنيته أبو الحسن، وأبو تراب كناه بها النبي صلى الله عليه وسلم. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم.

مولده:

ولد علي بن أبي طالب عليه السلام قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، وقيل إحدى وعشرين سنة. ونشأ في بيت النبوة وترى تحت رعاية النبي صلى الله عليه وسلم. كان علي أول من أسلم من الصبيان. ولم يعبد الأوثان قط منذ صغره.

جهاده في الإسلام:

علي أحد العلماء الربانيين، والمشهورين، والزهاد المذكورين، وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم. بات في فراش الرسول صلى الله عليه وسلم في الليلة التي هاجر فيها حتى يؤدي عنه أمانة الودائع والوصايا التي كانت لأهل مكة وشهد علي مع النبي صلى الله عليه وسلم جميع الغزوات فيما عدا غزوة تبوك التي استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة. وروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم خمسمائة وستة وثمانين حديثاً. وعلى أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى.

بيعة سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة:

بويع علي بن أبي طالب بالخلافة في اليوم التالي لاستشهاد عثمان بن عفان. حيث وفد إليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار وفيهم

طلحة والزبير فأتوا عليا فقالوا له: إنه لا بد للناس من إمام فرد قائلا: لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به فقالوا: ما نختار غيرك وترددوا إليه مرارا. وكان إصرارهم على اختيار علي يستند إلى سابقته في الإسلام وحسن بلائه وقرابته للرسول ﷺ.

ولما وجد علي إجماع الصحابة على بيعته طلب أن تكون في المسجد فبايعه الناس وأولهم طلحة بن عبيد الله والزبير وقيل إنهما بايعا كارهين ثم بايعت الأنصار.

موقعة الجمل (جمادى الآخرة ٣٦هـ/٦٥٦م):

لما بلغ عليا مسير السيدة عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة سار على رأس جيش مكون من أربعة آلاف من أهل المدينة. واستخلف تمام بن العباس على المدينة، وقثم بن العباس على مكة، وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين ولما قدم الخليفة علي إلى الريدة سأله ابن لرفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين أى شئ تريد. وأين تذهب بنا؟ فقال: ما الذي نريد وينوى فالإصلاح إن قبلوا منا وأجابونا إليه. فقال: فإن لم يجيبونا إليه قال: ندعهم بعدرهم ونعطيهم الحق ونصر. قال: فإن لم يرضوا. قال: ندعهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا قال: منعنا منهم.

ولما وصل علي بن أبي طالب ﷺ إلى البصرة بعث القعقاع بن عمرو وسيطا بين الطرفين واتفقا على الصلح وخطب علي في الناس. وقال إلا وأنى راحل غدا فارتحلوا فحين رأى ابن سبأ وأعوانه اتفاق الناس قال لأصحابه أن تصالح علي وعائشة على دماننا وأن عزكم في خلطة الناس فخالطوهم وإذا التقى الناس غدا فابدأوا القتال، ولا تتركوا الناس مجالا للتفاهم.

وبدأ اتباع ابن سبأ القتال كل من في جهته فظن كل من الفريقين أن صاحبه قد نقض عهده ونشب القتال.

وهزم اتباع السيدة عائشة وطلحة والزبير، وكانت السيدة عائشة راكبة على جملها وقطعت على خطام الجمل أيد كثيرة. ولما كثر القتل على خطام الجمل. أمر علي بن أبي طالب عليه السلام بعقر الجمل فضربه رجل وسقط على الأرض، وبقت السيدة عائشة في هودجها إلى الليل.

وقتل من الفريقين خلق كثير، ورمى مروان بن الحكم طلحة بسهم قتله وكلاهما كانا مع السيدة عائشة أخذًا بثأر عثمان منه حيث اتهم بمعاونة من قتل عثمان، وانسحب الزبير من ميدان القتال وتبعه عمرو بن جرموز فقتله بوادي السباع.

وأمر علي مناديا يحث أتباعه ألا يتبعوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح، كما أمر بحمل هودج السيدة عائشة وأن يضرب أحاها محمد بن أبي بكر عليه قبة ولما جن الليل انزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي.

ولقد أسفا علي ما حدث كل من علي بن أبي طالب عليه السلام والسيدة عائشة، فقد قال علي عندما اشتد القتال إلى ابنه الحسن: "يا حسن لوددت أني مت قبل هذا بعشرين حجة - أو سنة".

وعبرت السيدة عائشة عن حسرتها: "وددت إن كنت غضبا رطبا ولم أسر مسيري هذا"

وتقدم محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر إلى هودج السيدة عائشة فحملاه وأمر علي بتجهيزها لتعود إلى المدينة معززة مكرمة وخرج يودعها بنفسه فقالت: والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون ما بين المرأة

وأحمائها، وأنه علي معتبتي من الأخيار، وقال علي: أيها الناس صدقت والله وبرت ما كان بيني وبينها إلا ذاك وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة^(١).

وفي حقيقة الأمر لم يكن هناك مبرر لخروج طلحة والزبير والسيدة عائشة، مادام للأمة إمام ينفذ الأحكام ويقيم الحدود. ولا سيما بعد أن وعدهم علي بالنظر في أمر قتلة عثمان، والبحث عنهم والقصاص منهم عندما تستقر الأمور وتهدأ الفتنة.

واستعمل علي علي البصرة عبد الله بن عباس، وسار إلى الكوفة فنزلها، وانتظم له الأمر بالعراق ومصر واليمن والحجاز وفارس وخراسان، ولم يبق خارجا عنه سوى الشام التي تحت إمرة معاوية بن أبي سفيان.

معركة صفين :

رفض سيدنا معاوية بن أبي سفيان مبايعة سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام ولا يعترف بشرعيته حتي يأخذ القصاص من قتلة عثمان عليه السلام، لأنه ولي الدم و" لم ينكر معاوية قطُ فضل علي واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أدّاه إلي أن رأي تقديم أخذ القود من قتلة عثمان عليه السلام علي البيعة، ورأي نفسه أحقّ بطلب دم عثمان"^(٢)

(١) خليفة بن خياط : تاريخه، ص ١٨٠-١٨٢؛ ابن قتيبة الدينوري : المعارف، ص ٢٠٨-٢٠٩؛ يعقوب بن سفيان : المعرفة والتاريخ، ج ٣، ص ٣١١-٣١٣.

(٢) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي - القاهرة (د.ت)، ج ٤، ص ١٢٤.

وخصوصاً بعد أن وصله قميص سيدنا عثمان الملوخ بالدماء، وأصاب زوجته المقطوعة ، ورفض بيعة سيدنا علي ولم ينفذ رغبة سيدنا علي بإقالته ، فعزم سيدنا علي علي غزو الشام وجَهَّز جيشاً له، وما إن وصلت الأنباء إلي الشام حتي جهز معاوية جيشاً من أهل الشام، ثم وقعت موقعة صفين، وفيها اقتتل الجيشان قتالاً مريئاً ، وكاد أن ينهزم جيش معاوية إلا أن رفع جنوده المصاحف علي أسنة الرماح وطلبوا الاحتكام إلي القرآن (١)

فرفض سيدنا علي في يادئ الأمر ، ولكنه وافق بعد قبول فرق جيشه ، والتي انسحبت بعد ذلك لإعتراضهم علي بعض الأمور ، وتركوا الكوفة وانحازوا إلي منطقة "حروراء" فقاموا بقتل العديد من المسلمين فقاتلهم سيدنا علي ﷺ في معركة النهروان فهزمهم (٢)

استشهاد سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ:

اجتمع ثلاثة من الخوارج هم عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وعمرو ابن بكر التميمي، والبرك بن عبد الله التميمي، وتذكروا أخوانهم المقتولين في موقعة النهروان، ودبروا فيما بعد بينهم خطة للتخلص من سيدنا علي ومعاوية وعمرو فتوجه عبد الرحمن بن ملجم إلى علي، والبرك بن عبد الله إلى معاوية، وعمرو بن

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٢، ص٥٦٥-٥٦٨ ؛ محمد سهيل طقوش : تاريخ الخلفاء الراشدين ، ص٤٥١-٤٧٤ .

(٢) اليافعي : مرآة الجنان ، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٧ م، ص ٩٥؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٦، ص٢١٦، ٢١٧؛ الصلابي : أسمي المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مكتبة الصحابة، الشارقة - الإمارات ٢٠٠٤ م، ص ٧٣٠.

بكر إلى عمرو بن العاص. وتعاهدوا أن لا يفر أحد منهم من صاحبه الذي توجه إليه، وحملوا معهم سيوفاً مسمومة واتفقوا على تنفيذ جريمتهم في السابع عشر من رمضان سنة ٤٠هـ/٦٦٠م، ولم تنجح خطة الخوارج إلا في مقتل سيدنا علي الذي ترصده عبد الرحمن ابن ملجم أثناء خروجه لصلاة الصبح فطعنه عدة طعنات نافذة. وعقب وفاة علي بن أبي طالب عليه السلام بايع الناس ابنه الحسن بن علي عليه السلام (١)، وجاءته البيعة من الأمصار، بايعه أكثر من أربعين ألفاً، وبقي سيدنا الحسن في الخلافة بعد أبيه سبعة أشهر وأحد عشر يوماً (٢) ثم صدق في الحسن عليه السلام قول جده رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين" إذ تنازل عن الخلافة لمعاوية عام (٤١هـ)؛ الذي عُرف في التاريخ الإسلامي بعام الجماعة (٣).

(١) الحسن بن علي عليه السلام : ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وُلد الحسن بن علي في النصف من رمضان، سنة ثلاث من الهجرة ، سَمَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : حَسَنًا، شَبَّيْهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : وَحَبِيبُهُ، سَلِيلُ الْهُدَى وَحَلِيفُ أَهْلِ التَّقَى، وَخَامِسُ أَهْلِ الْكِسَاءِ، وَوُلِدَ بَعْدَ أَحَدِ بَسَنَةٍ، وَقِيلَ: بِسَنَتَيْنِ، وَتُوفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ بِالْمَدِينَةِ. ابن عبد البر : الإستيعاب، ج ١، ص ٣٨٤؛ ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٢، ص ١٣.

(٢) ابن عساكر : تاريخ دمشق، ج ١٣، ص ٢٥٩ .

(٣) خليفة بن خياط : تاريخه ، ص ٢٠٣ ؛ الطبري: تاريخه، ج ٥، ص ١٥٨.

الفصل الخامس

الخلفاء الأمويون

السنوات	
٤١-٦٠ هـ	١- معاوية بن أبي سفيان
٦٠-٦٤ هـ	٢- يزيد بن معاوية
٦٤ هـ	٣- معاوية بن يزيد
٦٤ هـ	٤- مروان بن عبد الحكم
٦٥-٨٦ هـ	٥- عبد الملك بن مروان
٦٨-٦٩ هـ	٦- الوليد بن عبد الملك
٩٦-٩٩ هـ	٧- سليمان بن عبد الملك
٩٩-١٠١ هـ	٨- عمر بن عبد العزيز
١٠١-١٠٥ هـ	٩- يزيد بن عبد الملك
١٠٥-١٢٥ هـ	١٠- هشام بن عبد الملك
١٢٥-١٢٦ هـ	١١- الوليد بن يزيد
١٢٦ هـ	١٢- يزيد بن الوليد
١٢٦-١٢٧ هـ	١٣- إبراهيم بن الوليد
١٢٧-١٣٢ هـ	١٤- مروان بن محمد

الخلافة الأموية

تنسب الدولة الأموية إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان أمية هذا سيداً من سادات قريش في الجاهلية، كان بنو عبد مناف بن قصي وحدة واحدة في محاولتهم اقتسام السلطة في مكة مع بني عمهم عبد الدار بن قصي، الذي فضله والده علي سائر أبنائه، رغم شرفهم عليه، وجعل له الحجابة واللواء والسقاية والرفادة، وكان زعيمهم في هذه المحاولة هو عبد شمس، أبو أمية، إذ كان أسن بني عبد مناف، وتفرقت قريش علي ذلك بين فريقين، عبد مناف وعبد الدار، ثم تداعوا إلي الصلح علي أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار، فولي الرفادة والسقاية هاشم بن عبد مناف، وذلك أن عبد شمس كان رجلاً سفاراً، قلما يقيم بمكة، وكان مقلداً ذا ولد، وكان هاشم موسراً، فاشترك بنو عبد مناف معاً في جهودهم لتنظيم التجارة بين مكة وما حولها، وهكذا كانوا يداً واحدة تتحرك في تفاهم وتآلف، فالروايات التي تزعم وجود عدااء مستحكم بين بني هاشم وبني عبد شمس وأميه قبل الإسلام، فهي واهية الأسانيد (١).

ولم يكن أبو سفيان بن حرب ألد أعداء الإسلام من قريش وكان في أمره معتدلاً مع النبي ﷺ وأمة الإسلام بعد الهجرة وخاصة بعد هزيمة الأحزاب أيام الخندق فإن الرجل أقتنع بأن لا قبل لقريش بمحمد ﷺ والإسلام.

(١) ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص ٧٢؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٢، ص ٢١٦؛ أحمد أحمد غلوش: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٣م، ص ٣٥.

قام بناء على نصيحة من علي بن أبي طالب عليه السلام بالإجارة لنفسه بين الناس ورسول الله لم يرفض هذه الإجارة وإن لم يقرأها فأصبحت سارية تشمله وتشمل قريش ومكة وكافاً الرسول صلى الله عليه وسلم أبا سفيان على صنيعة .

كانت الخلافة في عهد أبي بكر الصديق وعمر والسنوات الأولى من حكم عثمان إمامة ورياسة شورية، ولكنه منذ منتصف خلافة عثمان وعلى الأخص في بلاد الشام عندما سخطت الأمة على عثمان وأرادت عزله استمسك بها وتشعر في أثناء النزاع بين عثمان ومخالفيه بأن قومه بني أمية كانوا من خلفه-ظاهرياً-وعندما قتل وقام بالأمر على بن أبي طالب لم يكونوا مستعدين للتخلي عما بلغوه من القوة والجاه والمال منذ أيام عمر. وعندما أصر على بن أبي طالب عليه السلام على عزلهم بدأت المعركة والخصومة الحقيقية التي تحولت نتيجة لذلك إلى خصومة سياسية ونزاعاً على سلطان ومال وجاه.

وانحصرت الخلافة في فرعين لبني أمية هما فرع حرب بن أمية، وفرع أبي العاص بن أمية، وأكثر الخلفاء من الفرع الثاني، أما الفرع الأول فليس منه إلا معاوية وابنه يزيد وحفيده معاوية الثاني.

١- معاوية بن أبي سفيان: (٤١-٦٦١هـ/٦٦٠-٦٨٠م):

معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، مؤسس الدولة الأموية، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار؛ يكنى أبا عبد الرحمن وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس أسلم معاوية يوم فتح مكة سنة ٦٢٩هـ/٦٢٩م، وتعلم الكتابة والحساب فجعله الرسول صلى الله عليه وسلم من كتاب الوحي.

وفي خلافة أبو بكر الصديق (١١-١٣هـ/٦٣٢-٦٣٤م) ولى معاوية قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فكان على مقدمته في فتح صيدا وجبيل وبيروت.

ولما تولى عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م) جعله والياً على الأردن، ورأى فيه حزمًا وعلماً فولاه دمشق بعد وفاة أميرها يزيد. وفي خلافة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٦) أسند إلى معاوية معظم الديار الشامية، وجعل ولاية أمصارها تابعين له.

وكانت ولاية معاوية على الشام عشرين سنة ولقد وصل معاوية إلى الخلافة عقب الأحداث التي تمحضت عن مقتل الخليفة عثمان، فمنذ أن حدثت الثورة التي أنهت بقتل عثمان، برزت أهواء جديدة لم يكن المسلمون من قبل يفكرون فيها ولا يسعون إليها وتمزقت وحدة الجماعة الإسلامية إلى فرق سياسية مختلفة فيما بينهم في شؤون الحكم والسياسة^(١).

ولما بويع على بالمدينة امتنع معاوية متذرعاً بتهاون علي في أمر قتله عثمان وإيوائه قتلته في جيشه وعدم القصاص منهم وبايعه أهل الشام على المطالبة بدم عثمان ومحاربة علي مما أحدث الخلاف والشقاق بين أهل العراق وأهل الشام وتقاتلوا في صيفين سنة ٣٧هـ.

ونجحت خطة الخوارج في اغتيال الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام في السابع عشر من رمضان سنة ٤٠هـ/٦٦٠م ونجا معاوية وعمرو بن العاص، وبذلك صفا الجو إلى معاوية. وبعد مقتل علي بايع أهل العراق ابنه الحسن

(١) الديار بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج ٢، ص ٢٩١؛ المقرئزي: إمتاع الأسماع، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٩م، ج ١٢، هامش صفحة ١١١.

بالخلافة، ومكث بعد أبيه شهرين وقيل أربعة أشهر، وأدرك الحسن أن استمساكه بالخلافة والاستمرار في الصراع مع معاوية لا جدوى منه لأنه لا يزيد إلى إراقة الدماء.

وأقبل معاوية ونزل الأنبار وبها قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري من قبل الحسن فحاصره معاوية، ولما رأى الحسن تخاذل أصحابه أرسل إلى عبد الله بن عامر بشروطه في الصلح ليسلم الأمر إلى معاوية وهي:

١- أن يجعل للحسن خراج الأهواز.

٢- أن يؤمن الأسود والأحمر ويحتمل ما يكون من هفواتهم.

٣- ألا يأخذ أحداً من أهل العراق؟.

٤- يحمل إلى الحسن بن علي في كل عام ألفي درهم.

٥- أن يفضل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبد شمس.

ولما وافق معاوية على هذه الشروط كتب الحسن إلى قيس بن سعد بالصلح وأمره بتسليم الأمر لمعاوية والعودة إلى المدائن فلما وصل كتاب الحسن إلى قيس قال للجند "أيها الناس اختاروا أحد الأمرين القتال بلا إمام أو الدخول في طاعة معاوية فاختراروا الدخول في طاعة معاوية...".

سار الحسن من المدائن إلى الكوفة والتقى مع معاوية وبايعه وخطب في الكوفة بقوله "أيها الناس أن الله هداكم بأولنا وحقن دمائكم بأخرنا وقد سالمت معاوية وإن إدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين".

ولما سلم الحسن الأمر إلى معاوية سنة ٤١هـ/٦٦١م عرف هذا العام بعام الجماعة لإجماع الأمة بعد الفرقة على إمام واحد ودخل معاوية الكوفة وبايعه أهلها بالخلافة وعاد الحسن والحسين إلى المدينة.

وترتب على هذا الصراع الذي دام نحو ست سنوات انتقال الخلافة من الكوفة إلى دمشق، وكان لهذا الانتقال وقع أليم في نفوس أهل العراق، فقد نزل شأن بلادهم بعد أن كانت لهم الدولة فصارت مصراً من الأمصار، ولذلك كانت أعنف الثورات على الأمويين تأتي من جانب أهل العراق وانتخب معاوية ولاته لحكم العراق من أمكر رجاله كالمغيرة بن شعبة وزباد بن أبيه.

كان زياد بن أبيه يلي فارس من قبل الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان من أشهر المخلصين له، ولما قتل علي حدثت فجوة بين زياد ومعاوية وانتهى الأمر بالصلح بينهم والحق زياد بنسب أبي سفيان، وتحول إخلاص زياد إلى معاوية دفعة واحدة وأضاف إليه معاوية خراسان وسجستان والهند والبحرين وعمان وخطب زياد في أهل البصرة الخطبة المعروفة بالبراء وعامل أهلها بعنف شديد، يقول ابن الأثير "وكان زياد أول من شدد أمر السلطان، وأكد الملك لمعاوية وجرّد سيفه وأخذ بالظنة وعاقب على الشبهة...".

وكانالمغيرة بن شعبة على ولاية الكوفة، ولما توفيالمغيرة، ضم معاوية الكوفة إلى زياد وهو أول من جمع له الكوفة والبصرة معاً، وكان زياد يقيم في الكوفة ستة أشهر وبالبصرة ستة أشهر.

أما ولاية مصر فكانت من نصيب عمرو بن العاص جعلها معاوية طعمة أو مكافأة له للمساعدات الجليلة التي قدمها لمعاوية يوم صفين وفي قضية التحكيم، ومن المعروف أن عمرو بن العاص حكم مصر عشر سنين منها أربع سنين في خلافة عمر بن الخطاب وفي عهد عثمان بن عفان سنتين وفي عهد معاوية سنتين وثلاثة أشهر، وكان عمرو أحد دهاة العرب البارزين وتوفي ليلة عيد الفطر سنة ٤٣هـ/٦٦٣م.

كما أسند معاوية ولاية المدينة إلى مروان بن الحكم ثم عزله وعين سعيد بن العاص، وعلى مكة خالد بن سعيد.

وأعاد معاوية تنظيم أمور الدولة في الداخل فاتخذ الحرس وعمل ديواني الخاتم والبريد واحسن إلى كبار الشخصيات من شيوخ الصحابة وأبنائهم وعلى الأخص بنو هاشم الذين كان بعضهم يعتقد أنه أحق منه بالخلافة.

أما عن سياسة معاوية على الصعيد الخارجي فقد استأنف موجة الفتوح الإسلامية التي توقفت منذ عهد عثمان بن عفان في فارس والمغرب، وأرسل حملتين لفتح القسطنطينية ، ثم هادن البيزنطيين وحرص على نشر الإسلام في البلاد المفتوحة حيث نقل عدد كبير من الأسر العربية إلى خراسان وغيرها^(١).

ومن أهم الأمور التي استحدثها معاوية هو محاولته جعل الحكم في الدولة العربية وراثياً وهذا شئ جديد بالنسبة إلى العرب والإسلام فقد كانت الرياسة عند العرب تورث داخل نطاق القبيلة أو العشيرة وكان من الأمور المقررة أن يعين الأمير من يخلفه بعد وفاته ولكن الشئ الذي لم يكن موجوداً هو البيعة مقدماً قبل وفاة الخليفة^(٢).

ويبدو أن معاوية قصد من وراء توريث يزيد الخلافة القضاء على افتراق كلمة الأمة الإسلامية ووقوع الفتنة وأن يضع حلاً للمسألة التي تركها النبي ﷺ دون حل، وهي إيجاد سلطة دائمة للإسلام.

(١) خليفة بن خياط: تاريخه، ص ٢١٨؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٨٧؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٥، ص ٢٤٩، ابن خلدون: العبر، ج ٣، ص ٢٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٩-٢٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ١، ص ٣٦٥؛ الصلابي: معاوية بن أبي سفيان، ص ٢٦٩-٢٧٦.

كان المغيرة بن شعبة أول من أشار على معاوية بن أبي سفيان ببيعة يزيد بولاية العهد، لما عزله معاوية عن ولاية الكوفة فأعاد معاوية إلى الكوفة ليأخذ البيعة ليزيد.

وفي سنة ٦٧٨/هـ ٥٩م وفدت على معاوية وفود الأمصار من العراق والشام لمبايعة يزيد وأرسل معاوية إلى مروان بن الحكم وإلى المدينة ليأخذ البيعة من أهلها ومن المعروف أن أهل الحجاز عارضوا هذه البيعة بشدة ومن أبرز الثائرين أبناء الصحابة وهم الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر فسار معاوية إلى الحجاز ولما دنا من المدينة لم يحظ بترحابهم ورحلوا إلى مكة ثم وفد عليهم معاوية واتبع معهم سياسة الود واللين فلم تحز رضاهم، فلجأ معاوية إلى أخذ البيعة بحد السيف والإجبار فبايعوا تحت التهديد. وعاد معاوية إلى الشام واشتد به المرض وتوفي في شهر رجب سنة ٦٧٩/هـ ٦٠م.

ولما مرض معاوية دعا ابنه يزيد فقال "يا بني، إني قد كفيتك الرحلة والترحال ووطأت لك الأشياء، وذللت لك الأعداء وأخضعت لك أعناق العرب، وجمعت لك من جمع واحد وإني لأتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة وإذا لم يبق أحد غيره بايعك، وأما الحسين بن علي فأن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فإن له رحماً ماسة وحقاً وعظيماً، وأما أن ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم ليس له همة إلا في النساء واللهو وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد

ويراوغك مراوغة الثعلب فإذا أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعة إربا إربا".

٢- يزيد بن معاوية (٦٠-٦٣هـ/٦٨٠-٦٨٣م):

تولى يزيد بن معاوية. وكانت أم يزيد تدعى ميسون بنت مالك بن يجدل بن أنيف بن ولج الكلبية، وبايعه أهل الشام على الخلافة سنة (٥٠هـ/٦٧٠م)، وقدمت الوفود لتعزيتته بوفاة أبيه وتهنئته بالخلافة^(١) وحدثت في عهد يزيد بن معاوية بعض الوقائع التي تركت آثارها السيئة فيما بعد على الأمويين. أولها انتهاك حرمة المدينة في موقعة الحرة وإباحتها لمدة ثلاثة أيام، ثم محاصرة عبد الله بن الزبير في مكة وضرب الكعبة بالمنجنيق ومقتل الحسين بن علي في كربلاء وسنلقى مزيداً من الضوء على هذه الأحداث في تناول للحركات المعادية لبني أمية.

موقعة كربلاء سنة ٦١هـ:

أرسل أهل الكوفة إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما يحثونه عليّ القدوم اليهم لمبايعته ونصرتهم ، فأرسل اليهم الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل بن ابي طالب لاستطلاع الأمر والتأكد ، فوصل مسلم الي الكوفة ونزل بها وأيده اثنا عشر الف من أهل الكوفة وقام يزيد بن ابي سفيان بعزل والي الكوفة يزيد النعمان ، وعين عليها عبيد الله بن زياد الذي اتي الكوفة مع وجوه أهل البصره . ودخلها ملثماً فكان كلما مر علي مجلس سلموا عليه قائلين وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله (ﷺ) فتأكد عبيد الله بن زياد من ولائهم للحسين وأرسل من يأتيه بخبر مسلم بن عقيل عندما علم بقدوم عبيد الله للكوفة ، الا أن هاني كان قد كتب إلي الحسين يعلمه بمبايعة ١٢ ألف من الكوفيين وأمره بالقدوم .

(١) قتيبة الدينوري : المعارف، ص ٣٥١، ٣٥٢؛ الذّيار بَكْري : تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٣٠٧ .

واستطاع اتباع عبيد الله بن زياد معرفة مكان مسلم بن عقيل فطالب عبيد الله من هاني بن النعمان أن يأتيه بمسلم إلا أنه رفض ولما علم مسلم بذلك جمع أهل الكوفة وحاصر عبيد الله في قصره ، إلا أن عبيد الله تمكن من فض أتباع مسلم من حوله وتمكن من القبض علي مسلم وقتله وقتل هانيين النعمان أيضاً^(١) . خرج الحسين من مكة متجهاً الي الكوفة ولما قرب منها جاءه الخبر بمقتل مسلم بن عقيل فهم بالعودة ، الا أن أخوه مسلم رفض وطالبه بالتأثر لمسلم فسار حتي لاقى جيش عبيد الله وكان عليه عمرو بن سعد بن ابي وقاص - الذي رفض طلبات الحسين الثالث وافق عمرو وأرسل الي عبيد الله الذي رفض - ولما التحم الفريقان وانتهي الامر بمقتل الحسين والكثير من أهل بيته ولم ينج إلا بعض النساء وإبنة الصغير وهو علي زين العابدين^(٢)

واقعة الحرة سنة ٦٣هـ:

كانت موقعة الحرة^(٣) سنة (٦٣ هـ / ٦٨٢ م) حيث أرسل يزيد بن معاوية إلي المدينة جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة، وذلك بعد مبايعة أهل الحجاز

(١) أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال، ص ٢٣٠-٢٤٢؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٥٦-٤٤٧ .

(٢) علي بن الحسين : هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ،يكني بزین العابدين، ولد في سنة ثمان وثلاثين ،أمه سلافة بنت يزيد جد آخر ملوك فارس وكان مع أبيه الحسين يوم كربلاء ، وكان يومئذ مريضاً فلم يقاتل ، ضرب به المثل في الحلم والورع كان ينفق علي أكثر من مائة بيت من بيوت المدينة سرا توفي سنة ٩٤ هـ ، توفي سنة خمس وتسعين بالمدينة، ودفن بالبقيع وعمره اثنان وخمسون سنة. أبو الحسن العجلي الكوفي :تاريخ الثقات، دار الباز، ١٩٨٤م، ص ٣٤٤، ٣٤٥؛ عياض بن موسي السبتي :الشفاء بتعريف حقوق المصطفي، ط٢، دار الفيحاء - عمان ١٤٠٧ هـ.، ج١، هامش ص ٤٢٣؛ أبو الفدا عماد الدين: المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية(د.ت.)، ج١، ص ١٩٩ .

(٣) الحرة : هى حرة واقم وهي في شرق المدينة البكري : معجم ما استعجم، ج٢، ص٤٣٧؛ الحموي : معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٩ .

عبد الله بن الزبير بعد مقتل سيدنا الحسين ، ومحاصرتهم لبني أمية في المدينة ، وهُزم أهل المدينة في هذه الموقعة ، وقتل أربع آلاف رجل من أفناء الناس وسبعين رجلاً من الأنصار ، وتم اجبار الناس على مبايعة يزيد بن معاوية بالقوة^(١) .

ومن الرجال الذين اعتمد عليهم يزيد في المصار الإسلامية سلم بن زياد على خراسان، والوليد بن عتبة بن أبي سفيان على المدينة، وعبد الله بن زياد على العراق، وعقبة بن نافع على إفريقية.

كما استعان بحسان بن مجدل الكلبي وروح بن زنباح الجذامي والنعمان بن بشير وعلى الشرطة عبد الله بن عامر الهمداني. توفي يزيد بن معاوية في سنة ٦٤٤هـ/٦٨٣م بعد أن بايع لأبنة معاوية الثاني بالخلافة جميع الناس إلا ابن الزبير وأهل مكة.

٣- معاوية بن يزيد (٦٣٣هـ/٦٨٠م):

اعتلى معاوية بن يزيد خلفاً لأبيه، وكان شاباً صالحاً، ولما استخلف كان مريضاً إلى أن مات ولم يخرج إلى الباب وكان زاهداً، واختلف المؤرخون في تحديد الفترة الزمنية التي قضاها معاوية الثاني في الخلافة فقيل أربعين يوماً أو أربعة شهور، وقيل شهرين وقيل ثلاثة أشهر، كما اختلفوا في تقدير سنه ما بين ثمانية عشر عاماً وواحد وعشرين عاماً، وأثنى وعشرين عاماً.

وعبر معاوية بن يزيد عن زهده في الخلافة حيث خطب في الناس "أيها الناس فإننا بلينا بكم وبليتم بنا فما نجعل كراحتكم لنا وطعنك علينا، ألا وإن

(١) الدينوري : المعارف، ص٣٥١؛ المقدسي : البدء والتاريخ، ج٦، ص١٤ .

جدى معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من مكة كان أولى به منه في القرابة برسول الله وأحق في الإسلام".

٤- مروان بن الحكم (٦٤-٦٦٥هـ/٦٨٣-٦٨٥م):

مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، يكنى أبا عبد الملك، وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية وأبوه الحكم طريد رسول الله ﷺ، وسببه أن الحكم كان يمر خلف رسول الله ويغمز بعينه.

أما عن السيرة الذاتية لمروان فلقد ولد في سنة ٦٢٣هـ/٦٢٣م، ونشأ بالطائف وسكن بالمدينة، واتخذه الخليفة عثمان كاتباً له، وبعد مقتل عثمان خرج مروان إلى البصرة مع طلحة والزبير وعائشة للمطالبة بدمه، وقاتل مروان في موقعة الجمل وانهمز أصحابه، وشهد صفين مع معاوية، ثم آمنه الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ، وعاد إلى المدينة في سنة ٦٤٢هـ/٦٦٢م، وأخرج منها أهل المدينة. وفي أواخر أيام معاوية بن يزيد اضطرت الأمور في الشام، وأوشك البيت الأموي على الأنهار، فقد كانت الشام تضم عصبتين العصبة اليمنية والعصبة القيسية.

وتمكن معاوية بن أبي سفيان من حفظ التوازن بين القبيلتين بفصل سياسته الحكيمة وفطنته واكتساب ودعهما معاً، وفقد هذا التوازن بعد وفاة معاوية.

على أية حال فقد كره القيسيون أن يخضعوا لنفوذ حسان بن مالك بن يجدل وإلى فلسطين وإقليم الأردن في خلافة معاوية.

وحدثت انتفاضة عارمة في الولايات الإسلامية ضد الحكم الأموي وانضم أكثرها إلى دعوة عبد الله بن الزبير، ولم يميل إلى الأمويين غير إقليم واحد هو الأردن.

وعندما قدم مروان بن الحكم من المدينة ومن معه من بني أمية إلى الشام وجد أن الأمور مضطربة فأراد أن يلحق بعبد الله بن الزبير لبياعه ولكن عبيد الله بن زياد والى البصرة كان بالشام آنذاك لمراقبة سير الأحداث حذر مروان من مغبة هذا التصرف قائلاً له "إنك شيخ بني أمية فلا تعجل".

كما أخبر الحصين بن نمير قائد الجيش الأموي القادم من الحجاز مروان بن الحكم بما جرى بينه وبين ابن الزبير، وقال "أقيموا أمركم قبل أن يدخل عليكم شأنكم فتكون فتنة عمياً".

مؤتمر الجابية:

عزم الأمويون على تصفية الخلافات فيما بينهم ف عقدوا مؤتمراً بالجابية من أرض الجولان بين دمشق والأردن بايعوا فيها مروان بن الحكم بالخلافة على أن يتولى بعده خالد بن يزيد ثم عمرو بن سعيد بن الأشدق وأن تكون إمارة حمص من نصيب خالد بن يزيد وإمارة دمشق من نصيب عمرو بن سعيد. وبذلك انتقل الملك من الفرع السفيناني إلى الفرع المرواني.

ومن الجدير بالذكر أن مروان بن الحكم لم يلتزم بتنفيذ اتفاق الجابية ففي سنة ٦٥ هـ أمر بالبيعة لأبنيه عبد الملك وعبد العزيز، ولم يعترض حسان بن ثابت بن يجدل خال خالد بن يزيد نكاية في عمرو بن سعيد الذي ادعى أن البيعة ستكون من نصيبه بعد مروان.

محاصرة عبد الله بن الزبير سنة ٦٤ هـ:

بعد ان انتهى مسلم بن عقبة من موقعة الحرة وإخضاع أهل المدينة اتجه الي مكة للقضاء علي ثورة ابن الزبير الذي رفض البيعة ليزيد وخرج عليه ولكن المنيه عاجلت مسلم بن عقبة الذي وصل مكة ونزل بظاهرها وحاصرها حتي رميت الكعبة بالمجانيق واشتعلت فيها النار ، وأثناء هذه الأحداث توفي يزيد بن معاوية ، ولذا أجمع الحصين بن نمير بعبدالله بن الزبير وحته علي الانطلاق معه الي الشام لمبايعته ولكنه رفض فتركه الحصين وعاد إلي الشام

موقعة مرج راهط سنة ٦٥ هـ:

إشتعل فتيل الحرب بين الضحاك بن قيس الفهري وبين الأمويين في مرج راهط على مقربة من دمشق. وكان في صف الضحاك بن قيس بعض القادة مثل النعمان بن بشير وإلى حمص، وزفر بن الحارث والى قنسرين. أما الأمويون فيتزعمهم مروان بن الحكم وجعل على ميمنة جيشه عمرو بن سعيد، وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد ووقف إلى جانبهم قبيلة كلب وغسان والسكاسك. ودار القتال لمدة عشرين ليلة وقتل الضحاك مع عدد كبير من اشراف الشام ولحقت الهزيمة باتباعه في المحرم سنة ٦٥ هـ ٦٨٤ م.

نتائج موقعة مرج راهط:

١- أشعلت هذه الموقعة نار العصبية من جديد بين العرب في الشام وخراسان والمغرب والأندلس.

٢- انتقل الملك من الفرع السفيناني إلى الفرع المرواني.

٣- عادت الشام إلى حوزة بني أمية.

سياسة مروان إزاء الأمصار:

بعد أن استتب الأمر إلى مروان بن الحكم في بلاد الشام، أخذ يبسط نفوذه في الأمصار الإسلامية التي تغلغل فيها نفوذ عبد الله بن الزبير فبدأ بمصر

التي يليها عبد الرحمن ابن عتبة بن جحدم من قبل ابن الزبير حيث دخلها في شعبان سنة ٦٤هـ/٦٨٣م.

ولم يلبث أن ترك مروان ابنه عبد العزيز على ولاية مصر. ثم أرسل مروان حملتين إحداهما إلى الحجاز حيث دعا عبد الله بن الزبير لنفسه بالخلافة ولكنها هُزمت، والأخرى إلى العراق حيث كان الشيعة قد نهضوا في الكوفة سنة ٦٥هـ/٦٨٤م وأظهر ندمهم على ما فرطوا في حق الحسين، وعرفوا باسم "التوابين" وقد عزموا على الأخذ بثأر الحسين وانتزاع الخلافة من بني أمية وإسنادها إلى أحد رجال البيت.

ولم يمض مروان بن الحكم في الخلافة سوى تسعة أشهر حيث لقي حتفه على يد زوجته أم خالد، لما أقدم عليه من تصغير شأن ابنها خالد بن يزيد عند أهل الشام لتخلو الساحة لبيعة ابنه عبد الملك وعبد العزيز، واشتكى خالد إلى والدته فعزمت على التخلص منه بوضع وسادة على وجهه ولم ترفعها حتى فارق الحياة، وقيل أنه مات مسموماً.

٥- عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م):

عبد الملك بن مروان^(١)، هو المؤسس الثاني للدولة الأموية ولد سنة ٢٦هـ/٦٤٦-٦٤٧م، وهو أول من سمى بعبد الملك في الإسلام، وأول من نهي الرعية عن كثرة الحديث في حضرة الخلفاء.

(١) عبد الملك بن مروان : هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أبو الوليد، ولد سنة ست وعشرين من الهجرة النبوية المباركة، وبدأت خلافته من سنة خمس وستين إلي سنة ست وثمانين، أمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، استعمله سيدنا معاوية بن أبي سفيان علي أهل المدينة ، وكان عمر عبد الملك بن مروان ست عشرة سنة ، تولي الخلافة بعد ابيه مروان بن الحكم دخل في حروب كثيرة ، أجمع الناس علي خلافة عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين الذي سمي بعام الجماعة الثاني ،

كان عبد الملك أحد فقهاء المدينة الأربع وهم سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الملك بن مروان يقول الذهبي " كان قبل الخلافة متعبداً ناسكاً عالماً فقيهاً أوسع العلم" وتولى ديوان المدينة لمعاوية بن أبي سفيان.

وتمكن عبد الملك بن مروان من أخماد الفتن والثورات التي كادت أن تسحب البساط من تحت أقدام الأمويين حيث عم الأضطراب في سائر البلاد ومن أخطرها.

١- ثورة عمرو بن سعيد بن ابي العاص الأشدق ٧٠هـ:

تعريب الدواوين ٧٨هـ:

تعريب العملة:

ومن أعظم إنجازات عبد الملك إصلاح نظام العملة ومن المعروف أن العملة الرومية والفراسية كانت شائعة التداول قبل الإسلام، واكتفى الخلفاء الأوائل المسلمون بهذه العملة الأجنبية وفي بعض الحالات كانوا يكتبون فوق نقوشها بعض آيات قرآنية.

وكانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض مصر فأحدث عبد الملك اجراء يقضى بأن تكتب في رؤس الطوامير عبارات من ذكر الله، فكره ملك الروم ذلك وأرسل إلي عبد الملك كتاباً بهذا الشأن، مما أغضب عبد الملك وشاور خالد بن يزيد بن معاوية فأشار عليه بعدم التعامل بالدنانير البيزنطية وضرب عملة إسلامية.

ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم سنة خمس وسبعين. وهو أول من أحدث ضربها ونقش عليها، وعرب الدواوين. البخاري: التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، ج، ص ٤٢٩؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ١٧٣-١٨١.

وكان أول سك للعملة العربية الخالصة سنة ٦٧٤هـ/٦٩٢-٦٩٣م وقيل سنة ٦٧٥هـ/٦٩٤م أو سنة ٦٧٦هـ/٦٩٥م.

وتوفي عبد الملك بن مروان في نصف شوال عن عمر يناهز السابعة والخمسين وقيل إحدى وستين وقيل أربع وستين سنة.

٢- ثورات ابن الأشعث (٨٠ - ٨٢هـ):

كان عبد الرحمن بن محمد الأشعث عامل سجستان من قبل الحجاج بن يوسف الذي أرسله بجيش إلى رتبيل ملك كابل الذي تأخر في دفع الأتاوة السنوية.

ولم ينفذ ابن الأشعث الخطة الحربية المرسومة وأجلها للعام القادم، مما أثار سخط الحجاج عليه، ولكن ابن الأشعث لم يستجب لتهديد الحجاج بل أعلن خلعه وأيده الجند وعاد إلى العراق ولما اقترب من الأهواز سير الحجاج إليه جيشاً فهزمه ابن الأشعث ثم أنهزم ابن الأشعث في الجولة الثانية، وسببت ثورة ابن الأشعث اضطراباً عاماً للحجاج في العراق وأرسل الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يطلب النجدة.

٦- الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م):

بويح الوليد بالخلافة في نصف شوال سنة ٨٦هـ/٧٠٥م، بعد وفاة أبيه ويكنى أبو العباس، أمه ولادة بنت العباس بن حر بن الحارث العبسية.

وكان مروان بن الحكم قد بايع لأبنيه عبد الملك ثم عبد العزيز ولكن عبد العزيز مات قبل وفاة عبد الملك فعين عبد الملك ولديه الوليد ثم سليمان سنة ٨٥هـ/٧٠٤م، وكتب بذلك إلى الأمصار فبايع الناس ولما مات عبد الملك جدد الناس البيعة للوليد.

وتميز عهد الوليد بالهدوء والأستقرار بفضل تغلب والده عبد الملك على ثورة عبد الله بن الزبير وابن الأشعث، لذلك اتسعت أطراف الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً.

فتم فتح المغرب والأندلس وبلاد ما وراء النهر وبلاد السند، وسنلقى مزيداً من التفاصيل عن تلك الفتوحات في القسم الخاص بها.

وقام الوليد بعدة إصلاحات داخلية فهو أول من عمل اليمارستانات للمرضى، وتعهد بكفالة الأيتام ورتب لهم المؤدبين والعميان من يقودهم، وأعطى كل مقعد خادماً، وكل ضرير قائداً.

ومن أهم أعماله أنه صنف باب الكعبة والميزاب والاساطين، وأخذ دار الضيافة وجدد مسجد الرسول ﷺ وزاد فيه المنازل التي حوله وحجرات أزواج النبي ﷺ وأول من أقام الأميال ومهد الطرقات.

وكان الوليد مهتماً بالعمارات والأبنية وإتخاذ المصانع والضياع وكان الناس يعتقدون في زمانه فيسأل بعضهم بعضاً عن الأبنية والعمارات.

ومن أروع إنجازات الوليد في العمران المسجد الجامع الذي بدأ في بنائه سنة ٨٧ هـ بدمشق حيث أوكل المهمة إلي صالح بن كيسان وبعث إليه الوليد بالاموال والرخام والفسيفياء، وثمانين صناعاً من الروم ومن القبط من أهل الشام ومصر، وبالغ في تزيينه وقد استغرق بناء مسجد دمشق كل عهد الوليد بل وبقيت فيه أعمال أتمها أخوه سليمان بعده، كما أضاف بعض الزيادات في مسجد الرسول ﷺ، من المنازل التي حوله وحجرات أزواج النبي ﷺ، وقام بتلك المهمة والى المدينة عمر بن عبد العزيز.

ومن أعماله أنه زاد في كنيسة النصارى.

وتوفي الوليد في جمادى الأولى سنة ٧١٥/هـ ٧١٥م بدمشق ودفن بباب القصر، وكانت مدة خلافته تسع سنين وأشهر وخلفه أخو سليمان بن عبد الملك وقد خلف الوليد تسعة عشر ولداً ذكراً.

٧- سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩ هـ / ٧١٥-٧١٧م):

تولى سليمان بن عبد الملك عرش الخلافة بعد وفاة أخيه الوليد في جمادى الآخرة سنة ٧١٤/هـ ٧١٤م، وكان مولده بدمشق سنة ٥٤ هـ / ٦٧٣ - ٦٧٤م).

وعاش سليمان في البادية عند أخواله بنى عبس، وكان لتلك التربية أثر في ثقافته فتميز بالفصاحة والبلاغة. وكان سليمان من خيار بنى أمية، وأستبشر الناس بخلافته خيراً يقول ابن عبد ربه "وكانت ولايته يمن وبركة أفتتحها بخير وإختتمها بخير فأما افتتاحه فيها بخير فرد المظالم وأخرج المسجونين وبغزاة مسلمة بن عبد الملك الصائفة حتى بلغ القسطنطينية، أما إختتامها فاستخلافه عمر بن عبد العزيز".

ومن محاسن سليمان أيضاً إحياء الصلاة لمواقيتها بعد أن كان بنو أمية يؤخروها ، وكان محباً للحق وأهله وإتباع القرآن والسنة وإظهار الشرائع ، قام بغزو القسطنطينية .

وفي عهد سليمان ازدهرت صناعة الوشى في اليمن والكوفة والأسكندرية، ولبس الناس الوشى والأردية والسراويل والعمائم وأمر أهل بيته وعماله وخدمه بارتداء الوشى. وأهتم سليمان بعمارة مدينة الرملة فبنى مسجدها ودار الأمانة.

وكان تغير ولاية العهد في البيت الأموي من أصعب التحديات التي أدت إلى إهيار ملكهم فها هو الوليد يلجأ إلى خلع سليمان ويبيع لولده عبد العزيز وأرسل بهذا الشأن إلى عمال الأقاليم فلم يجبه إلا الحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم، ولكن القدر لم يهمل الوليد لتنفيذ خطته.

وقد كانت حادثة تغير ولي عهد الوليد حادثة مؤسفة، صبغت بداية عهد سليمان بالانتقام من القادة البارعين الذين رفعوا لواء الإسلام، وقد كان الحجاج يحس بالفجوة والكراهية بينه وبين سليمان، وكان يتمنى أن يموت قبل الوليد، وقد حقق أمنيته أما آل الحجاج ومحمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم فقد ذاقوا العذاب من سليمان.

ومن مآثر سليمان التي أختتم حياته بها والتي سبق أن ذكرناها إختياره عمر بن عبد العزيز^(١) لولاية العهد ثم أخيه يزيد بن عبد الملك بعده. توفي سليمان بن عبد الملك في مرج دابق أثناء خروجه غلي رأس الجيش لفتح القسطنطينية في شهر صفر سنة ٩٩ هـ ، وبويع في نفس اليوم لابن عمه عمر بن عبد العزيز^(٢) ، وقد خلف سليمان أربعة عشر ولداً ذكراً^(٣) .

(١) عمر بن عبد العزيز : هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، ويكنى أبا حفص وأمه أم عاصم ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب اختلف المؤرخون في سنة ولادته والغالب أنه ولد عام ٦١ هـ ، وأنه ولد بالمدينة زمن يزيد بن عبد الملك ، تولى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك، وتوفي عمر بدير سمعان من أعمال حمص مما يلي قنسرين مسموما فيما قيل من قبل أهله يوم الجمعة لعشر بقين من رجب سنة (١٠١ هـ / ٧١٩م) وله تسع وثلاثون سنة وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام. الطبري: تاريخ الطبري ، ط٢، دار التراث - بيروت، ١٣٨٧ هـ، ج٢، ص ٥٦٥ ؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، تحقيق عبد الله الصاوي، دار الصاوي - القاهرة (دب)، ص ٢٧٦ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ، ج٧، ص ٣١-٣٢.

(٢) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٣١٦، المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ١٩٢ ، ابن كثير : البداية ج ٩ ص ١١٥ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٦١ .

٨- عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م) :

عمر بن عبد العزيز بن مروان أبو حفص خامس الخلفاء الراشدين ولد بجلوان سنة ٦١١هـ/٦٨٠م، وفي رواية أخرى في المدينة. وأمّه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ولي الخلافة في صفر سنة ٩٩هـ/٧١٧م. وأطلق عليه لقب أشج بني أمية.

وتولى عمر إمارة المدينة في خلافة الوليد سنة ٨٧هـ/٧٠٦م، فأحسن السيرة في الرعية. ولم يلبث أن عزله الوليد للخلاف الذي حدث بين عمر والحجاج بن يوسف بسبب وفود أهل الكوفة والبصرة إلى المدينة خوفاً من بطش الحجاج وظلمه.

ولما تولى عمر مقاليد الخلافة بموجب وصية سليمان تلقى البيعة من الناس، وخطب فيهم بقوله "أيها الناس إنما نحن من أصول قد مضت وبقيت فروعها فما بقاء فرع بعد أصله وإنما الناس في هذه الدنيا أغراض تتصل فيهم".

وكان عمر بن عبد العزيز أول من جلس للمظالم بنفسه من الخلفاء وبدأ بني أمية فرد الغصوب التي أخذوها إلى أصحابها وحذره بعض خاصته من هذا الأمر خشية أن تتألب عليه قلوبهم، فكان رده في غاية الجرأة في الحق "أيوم يسوى يوم القيامة تخوفوني فكل خوف أتقيه قبل يوم القيامة لا وقيته.

كما نهى عماله عن سب علي بن أبي طالب عليه السلام وتوعد المخالف بالعقاب الصارم. وأنشأ عمر بن عبد العزيز ديواناً للسجون وفصل بين حبس الرجال والنساء وبين أهل الجرائم، ومن حبس في دين، وقد أمر ألا يقيد أحد في محبسه.

وكانت سياسة عمر بن عبد العزيز المالية ناجحة إلى حد كبير فعزل الولاة الذين أساءوا السيرة في أقاليم الدولة المختلفة. ولما شكوا إليه بعض الولاة كثرة الدخول في الإسلام ونقص إيرادات بيت المال، وأستأذنوه في فرض الجزية على من اعتنق الإسلام، وَجَّهَهُمْ بشدة بقوله المشهور إن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً. وكان عمر زاهداً في أمور الدنيا كلها، فلم يتقاضى أجراً على عمله من بيت المال، وأمر زوجته فاطمة ابنة عبد الملك برد ما تملك من مال وحلى وجوهر إلى بيت مال المسلمين وحذرها من سوء العاقبة. ولم يسلك عمر مع الخوارج سياسة العنف والشدة كما فعل عمه عبد الملك من قبل أن أخلاقه الكريمة وحبه للسلم جعلته يقارعهم بالحجة، وقد نجح في إقناع الرسل الذين أرسلهم إليه زعيم الخوارج. وصفوة القول أن عمر بن عبد العزيز في خلال سنتين وبضعة شهور قام بعدة إصلاحات هائلة في الداخل، وصحح مسار الدولة الإسلامية وكان موضع الرضا والإحترام حتى من أشد الفرق عداً للأُمويين كالخوارج والشيعة. توفي عمر بن عبد العزيز في شهر رجب سنة ١٠١هـ وكانت وفاته بدير سمعان من أعمال حمص ، وخلفه ابن عمه يزيد بن عبد الملك وقد ترك عمر أربعة عشر ولداً ذكراً.

٩- يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ / ٧٢٠-٧٢٤م):

ولى يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم عقب وفاة عمر بن عبد العزيز في شهر رجب سنة ١٠١هـ/٧٢٠م، بناء على وصية أخيه سليمان بن عبد الملك، وكان مولده بدمشق سنة ٧٢هـ.

وكان يزيد شغوفاً باللهو والطرب، مغرم بجاريتين هما حبابه وسلامة، ولما توفت حبابه حزن يزيد وظهر عليه اليأس وأنشدها:

ومن أهم أعمال يزيد أنه أمر عمر بن هبيرة والى العراق بمسح إقليم السواد سنة ١٠٥هـ/٧٢٤م، ومن المعروف أنه لم يمسخ منذ خلافة عمر بن الخطاب وفرض ابن هبيرة رسوماً جديدة على النخل والشجر، وأعاد السحر والهدايا وما كان يحصل في النيروز والمهرجان.

وفي عهد يزيد أعلن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الذي فر من سجن عمر بن عبد العزيز الثورة في البصرة وأسر واليها ثم زحف إلى الكوفة وأشدت شوكته بتأييد ازد له وأهله وبعض خاصته، وسير إليه يزيد بن عبد الملك جيشاً بقيادة أخيه مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد تمكن من قتله وتفريق شمل أتباعه (١).

وعاد الخلاف بين اليمينية والمضرية من جديد، وأصبحت اليمينية من اشد أعداء الدولة وبعد أن كانت من أنصارها وصار العنصر المضري حزب الأمويين؛ كما و عاد الخوارج إلى مهاجمة العراق فنجد شوذب الخارجي الذي ظهر في عهد عمر بن عبد العزيز وهادنه يهاجم الكوفة ويهزم جيوشها عدة مرات، ولكن مسلمة حينما دخل الكوفة لحرب بن المهلب أرسل نحوه جيشاً ضخماً تمكن من قتله بعد معركة حامية الوطيس ، وتمكن يزيد بن عبد الملك من القضاء علي ثورة الخوارج في العراق بقيادة شوذب - بسطام الإشكري - الذي هزم عدة جيوش عراقية ، وأرسل إلي مسلمة جيشاً هزمه وقضي عليه .

(١) الطبري: تاريخه ج٦، ص٥٩٠.

وفي عهد يزيد وصل دعاة بني هاشم إلى خراسان مرتدين زى النجار، وشك في أمرهم سعيد بن عبد العزيز واليهما فأخبروه بأنهم خرجوا من أجل التجارة فعفى عنهم.

ومن الرجال الذين اعتمد عليهم يزيد ولي يزيد بن مسلم على المغرب، وعبد الرحمن بن الضحاك على المدينة، وعمر بن هبيرة على العراق، وكعب بن حامد العبسى على الشرطة.

وجعل يزيد ولاية العهد من بعده لأخيه هشام ثم ابنه الوليد، وتوفي يزيد بن عبد الملك بالبلقاء من أرض دمشق في شعبان سنة ١٠٥هـ/٧٢٤م ، وقد خلفه ثمانية أولاد ذكوراً ، وتولي الخلافة من بعده أخوه هشام بن عبد الملك بعهد منه .

١٠- هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م):

تولى هشام بن عبد الملك بن مروان الخلافة في آخر شعبان سنة ١٠٥هـ/٧٢٤م عقب وفاة يزيد حيث وفد عليه البريد بالرصافة ليخبره ثم رحل هشام إلى دمشق ليتلقى البيعة من الناس.

ومن المعروف أن هشاماً ولد سنة ٧٢هـ، ويعد من ساسة بني أمية البارزين، يقول المسعودى "أن السواس من بني أمية ثلاث معاوية وعبد الملك وهشام، وفتحت به أبواب السياسة وحسن السيرة".

واهتم هشام بتحسين الثغور وحفر القنوات بطريق مكة وعمل الخز، كما عزل الولاة الذين أسرفوا في ظلم الرعية، ووضع عليهم العيون والجواسيس للوقوف على أعمالهم.

وقد نظم هشام الدواوين وضبط الحسابات بعناية فائقة، قال عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس-والفضل ما شهدت به الأعداء-جمعت دواوين بني مروان فلم أر ديواناً أصبح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام.

ويحدثنا السيوطي عنه "كان لا يدخل بيت ماله مالا حتى يشهد أربعون قسامة لقد أخذ من حقه، ولقد أعطى لكل ذي حق حقه".

وفي عهد هشام ارتفع شأن اليمينية على حساب المضرية نتيجة لما حدث في عصر يزيد بن عبد الملك، فأحب هشام أن يوجد التوازن بين الفريقين فولى على العراق خالد بن عبد الله القسري، وفي سنة ١٢٠هـ/٧٣٧-٧٣٨م تغيرت سياسة هشام بالنسبة للقبائل فتحول عن اليمينية إلى المضرية.

ومن الأحداث الهامة في عهد هشام إستيلاء الجنيد بن عبد الرحمن على بلاد السند وغزوة عنبسة بن سحيم الكلبي بلاد الفرنج، وتعين عبد الله بن الحجاب على بلاد المغرب وغزوة نصر بن سيار إلى بلاد ما وراء النهر سنة ١٢١هـ/٧٣٨م تغيرت سياسة هشام بالنسبة للقبائل فتحول عن اليمينية إلى المضرية.

ومن الأحداث الهامة في عهد هشام إستيلاء الجنيد بن عبد الرحمن على بلاد السند وغزوة عنبسة بن سحيم الكلبي بلاد الفرنج، وتعين عبد الله بن الحجاب على بلاد المغرب وغزوة نصر بن سيار إلى بلاد ما وراء النهر سنة ١٢١هـ/٧٣٨-٧٣٩م.

مما يؤخذ على هشام تغافله عن دعاة بني العباس الذين نشطوا في عهده في الدعوة لآل البيت حتى وصلوا إلى خراسان، وجدوا في تشويه سمعة الدولة

الأموية وإستفحل أمرهم، وقد ظهرت آثار ذلك قبيل وفاته. فكانت خلافته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحد وعشرين يوماً وأنجب عشرة من الأولاد ذكوراً ، وتوفي هشام في شهر ربيع الأول سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م ، كان نقش خاتم هشام بن عبد الملك " الحُكْمُ للحكم الحكيم".

١١- الوليد بن يزيد بن عبد الملك (الوليد الثاني)

(١٢٥-٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٤م):

كانت بيعة الوليد في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م، حيث عقد أبيه ولاية العهد له بعد أخيه هشام بن عبد الملك، ولما ولي هشام أكرم الوليد حتى ظهر من الوليد حب الشراب والأنغماس في اللهو يقول المسعودي " وكان الوليد صاحب شراب وهو وطرب وسماع للغناء، وهو أول من حمل المغنين من البلدان...." ، استهل الوليد عهده بزيادة عطيات الجند ويسر له ذلك الأموال التي كان قد تركها عمه هشام.

وظهر الوليد منه للناس تهاون بأمور الدين الأمر الذي جعل هشام يطمع في البيعة لأبنة مسلمة وخلع الوليد وأستخف به.

ثم رحل إلى الأردن حتى وفاة هشام فجاءه البريد وسلم عليه بالخلافة وقام الوليد بعزل عمال هشام إلا يوسف بن عمر الثقفي لأنه وجد في ديوان هشام كتباً من العمال بعزل الوليد إلا يوسف الذي ثار على هشام وأمر الوليد بحبس خالد بن عبيدا الله ليدفع ما عليه من بقايا خراج العراق وكان الوليد من عشاق رياضة سباق الخيل فأقام حلبة للسباق.

وتخلص الوليد من يحيى بن زيد بن علي الذي فر إلى خراسان فأمر نصر بن سيار بملاحقته وقتله.

وعادت الفتنة من جديد بين اليمانية والمضرية في عهد الوليد ومكث الوليد بن يزيد أياماً كثيرة مخلوعاً.

وأغضبت سياسة الوليد بن يزيد أكبار أهل الشام وأجمعوا على قتله مع غيره من رجالات دولته وهجموا عليه، فلما أحس بهم دخل داره وفتح المصحف وقال يوم كيوم عثمان ثم تقدم إليه يزيد بن الوليد وقتله. وكان مقتل الوليد في أواخر شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ / ٧٤٣م.

١٢- يزيد بن الوليد بن عبد الملك

(جمادى الآخرة- ذى القعدة سنة ١٢٦هـ / ٧٤٢م):

تولى يزيد بن الوليد بن عبد الملك في أول رجب سنة ١٢٦هـ / ٧٤٣م، وأمه أبنة يزيد بن كسرى، سبها قتيبة بن مسلم بخراسان وبعث بها إلى الحجاج بن يوسف الذى أرسلها إلى الوليد بن عبد الملك فتزوجها، ولم تنجب منه سوى يزيد.

وأطلق على يزيد لقب الناقص لأنه أنقص الزيادة التى زادها الوليد فى أعطيات الجند، وكان يزيد تقياً ورعاً وأكتسب ود القبائل اليمانية فعزل ولاية القيسية وولى مكانهم اليمانية وشهدت الدولة اضطراباً فى مختلف البلدان فخرج عليه العباس بن الوليد بحمص وبشر بن الوليد بقنسرين وعمر بن الوليد بالأردن ويزيد بن سليمان بفلسطين.

وتوفى يزيد بن الوليد بدمشق يوم الأحد مستهل ذى الحجة سنة ١٢٦هـ / ٧٤٣م فكانت ولايته حوالى خمسة أشهر ويومين.

١٣- إبراهيم بن الوليد (١٢٦هـ / ٧٤٣م):

كان إبراهيم بن الوليد مقيماً في دمشق ولما مات أخوه يزيد بن الوليد تولى مقاليد الأمور سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م، وكان ضعيفاً مغلوباً على أمره، فكان يسلم عليه تارة بالخلافة، وتارة بالأمانة وتارة لا يسلم عليه بوحدة منهما، فمكث سبعين يوماً فثار عليه مروان بن محمد وخلعه وبويع له بالخلافة يوم الأثنين للنصف من صفر سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م، ولم يزل مع مروان حتى غرق بالزاب.

١٤- مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م):

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء الدولة الأموية، بويع بالخلافة في صفر سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م، وكان يلقب بالحمار أو حمار الجزيرة لجرأته في الحروب ولقب أيضاً بالجعدي نسبة إلى مؤدبة الجعدي بن درهم. وفي عهد مروان بن محمد اشتدت الثورات التي قام بها اليمينية ضد الحكم الأموي في أنحاء الشام وفي العراق، وتمكن مروان بفضل مهارته الحربية ومساندة القيسية أن يخمد تلك الثورات الواحدة بعد الأخرى.

وظهر الخوارج في العراق فسار مروان لحرب زعيمهم الضحاك بن قيس الحروري حتى قتله بعد معارك عديدة. كما وفد خوارج اليمن إلى مكة والمدينة وعليهم أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي وبلخ بن عقبة الأزدي فأرسل لهم مروان جيشاً فرق جمعهم.

وإشتد نفوذ أبو مسلم الخراساني في الشرق وعلى الأخص في خراسان وأشتبك مع نصر بن سيار واليها من قبل مروان في حروب طاحنة ولما تأزم الموقف إستنجد نصر بمروان بأرسال المدد ولما يأس نصر أرسل إلى والي العراق يزيد بن عمر بن هبيرة يطلب النجدة ولم يجبه لأن العراق كانت كالبركان يغلى

بالفتن والثورات، ولذلك سقطت خراسان في يد والي أبي مسلم وفر نصر بن سيار إلي همدان حتى توفي هناك.

ودخل أبو العباس السفاح الكوفة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م وبايعه الناس وأظهر دعوته وأرسل جيشاً لمحاصرة يزيد بن عمرو بن هبيرة بواسطة ثم نزل الأنبار وسماها الهاشمية.

أما مروان بن محمد فرحف إلى الموصل ونزل الزاب فجهز السفاح إليه جيشاً لحربه وعليه عميه عبد الله بن علي وعبد الصمد بن علي، وكان جيش مروان نحو مائة وعشرين ألف فغرق منه نفر عظيم، وعاد مروان إلى دمشق وعبد الله يلاحقه ثم هرب إلى مصر، وأعلن أهل الموصل وحران بيعتهم إلى أبي العباس السفاح وسارع أهل منبج وقنسرين وحمص وبعلبك بإعلان البيعة للعباسيين.

وأقام عبد الله بن علي بدمشق وبعث أخاه صالح بن علي خلف مروان إلى مصر فجرى بينهم قتال حتى قتل مروان في أبو صير من أعمال الفيوم سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م فكانت ولاية مروان خمس سنين وشهراً.

المدن الإسلامية

مدينة البصرة

البصرة أقدم المدن الإسلامية ، وهي تقع عند ملتقى دجلة والفرات في الموضع المعروف بشط العرب ، وموقعها قريب من الماء والمراعى في طرف البر إلى الريف فيه قصباء - ما يشبه البوص - ودونه منافع ماء . وهي إحدى أمهات مدن العراق الشهيرة ، وهي مدخل العراق الجنوبي وتقع في ملتقى البحر والسهل والخصب والصحراء إذ هي مدينة بين فارس وديار العرب وحد العراق على بحر الصين .

وعن تاريخ بناؤها هناك اختلاف بين المؤرخين في تحديد ذلك حيث ذكر أنها بنيت قبل الكوفة في سنة ١٤ هـ ، ويذكر البعض أنها بنيت بعد الكوفة سنة ١٧ هـ ، ويمكن الجمع بين الآراء في أن العرب نزلوها سنة ١٤ هـ إلا أنها لم تخطط إلا في سنة ١٧ هـ تلك السنة التي خططت فيها الكوفة ، ويؤكد ذلك قول الطبرى : " أن أهل الكوفة والبصرة استأذنوا الخليفة عمر رضي الله عنه في بنیان القصب فلم يجب أن يخالفهم فأذن لهم فابتنى أهلها بالقصب ، فلما وقع حريق بالكوفة والبصرة استأذنوا الخليفة عمر رضي الله عنه في البناء باللبن فقال " افعلوا ولا يزيد أحدكم على ثلاث حجرات ولا تطاولوا في البنيان ، وكتب إلى عقبة بن غزوان وأهل البصرة يمثل ذلك ، وجعل على تنزيل أهل البصرة والإشراف على بناءها عاصم بن الدلف أبو الجرداء .

وكان السبب في نزول المسلمين بها سويد بن قطبه الدهلي كان يغير على العجم في ناحية الخريبة من البصرة قبل أن ينزلها ، ولما بلغ عمر رضي الله عنه خبره

وما يصنع بالبصرة ، رأى أن يوليها رجلا من قبله ، وأن ينزلها المسلمين ، ليحولوا بين أهل فارس ومن إليهم ، وإمداد اخوانهم من أهل المدائن ونواحيها ، فولأها عتبه بن غزوان ، وقال له : أن الحيرة قد فتحت فأت أنت ناحية البصرة ، واشغل من هناك من أهل فارس والأهواز وميسان عن امداد إخوانهم فسار إليهم عتبه في أكثر من ثلاثمائة رجل انضم إليه سويد بن قطبة وغيره من الأعراب وأهل البوادي ، ونزلها في ربيع الأول أو الآخر سنة أربعة عشر .

كتب بن غزوان إلى الخليفة عمر يستأذنه في تمصير البصرة وقال له : "إنه لا بد للمسلمين من منزل يشتون به إذا اشتوا ويكسون - يستترون - فيه إذا انصرفوا من غزوهم ، فكتب إليه الخليفة عمر : إن ارتد لهم منزلا قريبا من المراعى والماء، وكتب إليا بصفته ، فكتب إليه "إني قد وجدت أرضا كثيرة الفضة - الحجارة - في طرف البرالى الريف ، ودونها منافع فيها ماء وفيها قصباء .

ولما وصلت الرسالة إلى عمر قال : "هذه أرض بصرة ، قريبة من المشارب والمراعى المحتطب"^(٤٩) وكتب إليه أن أنزلها ، فنزلها وبني مسجدها من قصب باعتباره نواة المدينة ، وبجواره عن قرب دار الإمارة ، ثم أقطعت القبائل خططها حول المسجد ، وخططت الشوارع فجعلوا عرض شارعها الأعظم ستين ذراعا ، وجعلوا عرض ما سواه من الشوارع عشرين ذراعا ، وجعلوا عرض كل زقاق سبعة أذرع، وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لمربط خيلهم وقبور موتاهم وتلاصقوا ، ولم يفعلوا ذلك إلا عن رأى اتفقوا عليه ، أو نص لا يجوز خلافة ، وتركت حرية تقسيم الخطط للقبائل التي اختطت وبنيت منازلها^(٥٠) ،

وبنى الناس منازلهم من القصب فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب ، ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو ، فيعيدون بناءها كما كان وهكذا .

ولما مات عتبة بن غزوان ولى عمر عليها أبا موسى الأشعري سنة ١٧هـ/٦٣٨م وظل حتى سنة ١٩هـ/٦٤٠م وفي عهده بدأت تزداد أهمية البصرة وزاد عدد المهاجرين إليها ، وأدى ذلك إلى تطورها فاخطت الناس ، وبنوا المنازل باللبن ، بعد أن أذن لهم عمر في ذلك لأن القصب كان يحترق "كما ذكرنا" ، وبنى أبو موسى الأشعري المسجد الجامع بها باللبن وكذلك دار الإمارة، وسقفها بالعشب ، وأمر الناس بالبناء في الخطط التي فتحت لهم ، واتجه إلى تزويد المدينة بالماء الصالح للشرب ولا سيما أن المياه التي كانت تصل إليها كانت مالحة ، فبدأ مشروع حفر نهر الأبله .

الذي تم في عهد عبد الله بن عامر (٢٥-٣٦هـ/٦٤٦-٦٥٧م) ، وهو وغيره من مجموعة الأنهار التي زودت المدينة بالماء اللازم ، ووصلتها تجاريا بالأقاليم المجاورة فدفع ذلك نموها وازدهارها .

وساهم عبد الله بن عامر أثناء ولايته للبصرة على تطويرها حيث شجع العمران بالمدينة ، ومنح الإقطاعات للأشخاص لزيادة الإنتاج ، واتخذ الأسواق بالمدينة ، فقام بشراء عدد من الدور وبنى في موضعها سوقا ولا سيما المرید لم تعد قادرة على سد الحاجات الجديدة بالمدينة .

ولما استعمل معاوية بن أبي سفيان زياد بن أبيه واليا على البصرة سنة ٥٥هـ/٦٧٤م مرت البصرة بمرحلة تالية من التطور ، حيث بدأت المنازل وغيرها تبنى بالأجر والحصى فأعاد بناء الجامع ودار الإمارة بهذه المواد وسقفه بالساج ، وبنى منارة المسجد بالحجارة فصار من أحسن الأبنية كما أعاد زياد بن أبيه

تنظيم المدينة وتحديد تقسيماتها السكنية ، متبعا نفس نظام الكوفة ، فقسّمها إلى خمسة أحماس ، كل خمس مجموعة من العشائر التي تنتمي إلى قبيلة واحدة ويرأسه رئيس من تلك القبيلة ، وسهل ذلك في إدارة المدينة ، وسهل استنفار الجند وهذا هو الهدف الأسمى من هذا التقسيم .

كما شجع زياد بن أبيه على تأسيس الأسواق حيث بنى "مدينة الرزق" وهي عبارة عن سوق واسعة لها أربعة أبواب وتحتوي على أنشطة اقتصادية ، كما أنه اهتم بإنشاء الوحدات العمرانية المتصلة بإتساع المدينة وزيادتها ، كالمخلات والمربعات والحمامات .

وصاحب اتساع مدينة البصرة زيادة في عدد سكانها ويدل على ذلك أن عدد مقاتليها خلال عهد زياد بن أبيه بلغ ثمانين ألفا ، وعيالهم مائة ألف وعشرين ألف عيل .

ونظرا لموقعها المتوسط بين الشام وفارس ، أسرع إليها العمران واتخذها الأمويون مقرا لإمارة العراق فاتسعت عمارتها حتى بلغت مساحتها في إمارة خالد بن عبد الملك القسري (١٠٦-١٢٠هـ) فرسخين والفرسخ يساوي ٥٥٦٥ متر .

وكانت البصرة خلال العصر العباسي ملتقى التجارة ، وتجارها تمتد شرقا إلى الهند والصين ، وغربا إلى أقصى بلاد المغرب ، وجنوبا إلى الحبشة ، واشتهر أهلها بالأسفار التجارية إلى كل الجهات ، ويؤكد ابن الفقيه الهمداني ، على شهرة تجار البصرة وكسبهم في الاتجار مع البلاد المختلفة ، بقوله : "أبعد الناس نجعه - سعى وراء الكأ - في الكسب بصرى وحميرى" .

ومما زاد أهمية البصرة التجارية خلال العصر العباسي أنها ورثت نشاط الأبله التجاري ، حيث انتقل إليها عدد كبير من التجار ، فزاد عمرانها وتوسعت حدودها حتى أصبحت الأبله وعبادان أشبه بضواحي البصرة ، ويؤكد المقدس ذلك بقوله : "أما البصرة ضمن مدنها الأبله" .

ومن الجدير بالذكر أن الأهمية التجارية والاقتصادية للبصرة قد لفتت أنظار الخلفاء العباسيين ، لكونها تدر موارد غير قليلة على خزينة الدولة ، سواء عن طريق مزاولتها النشطة للتجارة أو من تردد عدد كبير من التجار الغرباء أصحاب الثروات عليها أو الإقامة فيها مما حفز بعض الخلفاء على إدخال بعض الإصلاحات فيها واستحداث الخدمات العامة ، منها انتقاء خبرة الولاة لإدارتها ، ومداومة الإشراف عليها ، وإيصال المياة العذبة من نهر دجلة إليها ، قال البلازدي : وكان الولاة والإشراف بالبصرة يستعذبون الماء من دجلة ويحضرون الصهاريج .

وكانت مياه البصرة مرسى مئات السفن التجارية التي كانت تحمل أصناف التجارات منها وإليها ، وقد أشاد المقدسي بتجارها قائلاً : لم تسمع بخز البصرة وبزها وطرائفها وبأزرها ، وهي معدن الآلى والجواهر وفرضة البحر ومطرح البر ولذا تكاثرت ثرواتها وبنى أهلها القصور والحدائق ، وأنشأوا البرك والميادين .

وهكذا تحولت البصرة من مجرد معسكر حربي إلى مدينة ذات معايير مدنية واضحة ، تمثلت في مناحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

١ - الكوفة ١٧هـ / ٦٣٨م .

السبب في بنائها ، يذكر أنه بعد فتح المسلمين للعراق كانت رسلهم ترد على عمر رضي الله عنه ، فيرى في وجوههم ، وألوانهم تغيرا ، فسألهم عن سر ذلك فقالوا له : وخومة البلاد ، فكتب إلى سعد بن أبي وقاص ابنتي ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم فكتب إليه "إن العرب خددهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة" ، فكتب إليه عمر "إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق ابلها من البلدان فابعث سلمان وحذيفة وكان رائدى الجيش دائنين فليرتادا منزلا بريا وبحريا ليس بيني وبينكم منه بحر ولا جسر فبعث سعد بن أبي وقاص سلمان وحذيفة يسيران غربي الفرات حتى أتيا موضع الكوفة" وهو حصباء ورمل فأتيا عليها وفيها مميزات ثلاث هي : ارتفعت أرضه عن البقعة ، وتطأطأت عن السخنة ، وتوسطت الريف ، وطمعت في أنف البرية ، فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليلا ، ودعوا الله أن يبارك لهم في هذه الكوفة وكتب إلى سعد بالخبر ، فأبلغه سعد إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمره أن يسير بالجنود إليها فأرسل سعد بالناس من المدائن حتى عسكر بالكوفة في المحرم سنة ١٧ هـ / يناير ٦٣٨ م .

وكان عمر يريد أن يقيم المسلمون في خيامهم ، لأن ذلك أجد في حروبهم ، وأذكى لهم ، وأهيب في عين عدوهم ، ولما استأذنه أهل الكوفة والبصرة في بنيان القصب لم يجب أن يخالفهم ، وأذن لهم فابنتي أهلها بالقصب ، ثم أن الحريق وقع في الكوفة وبالبصرة فاستأذنوا عمر في البناء باللبن ، فقال : " أفعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات (حجرات) ، ولا تطاولوا في البنيان " وجعل على تنزيل أهل الكوفة والإشراف على بناءها أبو الهياج ابن مالك الأسدي .

أرسل سعد إلى أبي الهياج فأخبره بكتاب عمر في الطرق : من " أنه أمر بالمناهج - الشارع الرئيسي - أربعين ذراعاً ، وما يليها الشوارع الثانوية ثلاثين ذراعاً ، وما بين ذلك عشرين ، وبالأزقة سبعة أذرع ، ليس دون ذلك شيء ، وفي القطائع ستين ذراعاً .

وكان أول شيء خط بالكوفة مسجدها فاخبطوه ، ثم قام في وسطه رام شديد النزع فرمى عن يمينه وشماله ، ومن بين يديه ومن خلفه ، ثم أمر ببناء الخطط وراء مواقع السهام ، وبني في مقدمة المسجد ظلله ذرعها مائتان ، على أساطين رخام كانت للأكاسرة ، وبنوا بجوار المسجد دار الإمارة بينها وبين المسجد طريق منقب مائتي ذراع ، وجعل فيها بيوت الأموال ، وبني ذلك له رورية الفارسي من أجر بنیان الأكاسرة بالحيرة .

وبالنسبة لتقسيم الخطة بين أفراد القبيلة ، فإن اليعقوبي يذكر ذلك بقوله : " إن كل قبيلة كانت تقسم الخطة المخصصة لها " وكان الأمر متروكاً لحرية تصرف اختيار القبيلة ، وكان لكل قبيلة في خطتها مسجد ومقبرة خاصة بها . ومن هذه المنطقة " وسط المدينة " امتدت الشوارع " المنهاج " خمسة في اتجاه الشمال ، وأربعة في اتجاه الجنوب ، وثلاثة في اتجاه الشرق ، وثلاثة في اتجاه الغرب ، وأطلق عليها " مناهج أهل العزم " وكانت الشوارع الثانوية تسير موازية للشوارع الرئيسية ، وأحياناً متقابلة معها ، وأطلق عليها " مناهج الدهناء " ، ثم يلي ذلك الشوارع الفرعية التي كانت أقل اتساعاً ، وتربط التكوينات المعمارية بالشوارع الثانوية والرئيسية .

وبالنسبة لتقسيم الخطة . . .

كان سوق المدينة في منطقة الوسط ، وكان عبارة عن ساحة مضاء كما هو الحال وسوق المدينة المنورة ، حيث كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حريصا على أن تظل السوق بالهيئة التي أقرها الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة^(٣٨) ، وأشار اليعقوبي أن السوق في الكوفة كان فضاء لا توجد به مبان أو سقف سوى تلك الظلل التي عملت لتظل البائعين في أماكنهم التي اختاروها ، واستمرت السوق على هذه الهيئة في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) عندما قام عامله على الكوفة خالد القسري بإنشاء الأسواق على هيئة معمارية جديدة ، تشتمل على جوانب سفلية ومساكن علوية لمبيت التجار .

وقد اتخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه الكوفة مقراً لخلافته ، وذلك لأن بها شيعة وأنصاره ، ولخصوبة أرضها ، وكثرة خيراتها ، ووقوعها في مكان متوسط بين أقاليم الدولة الإسلامية ، ولأنها من وجهة نظره أصلح من غيرها في حرب معاوية بالشام^(٤٠) ، وما زال لها شأن عند الشيعة إلى وقتنا الحالى ، وفي ولاية عبد الله بن زياد، بنى المسجد وأنفق عليه نفقات طائلة ، حتى أصبح فريدا بين مساجد زمانه

ثم اتسعت الكوفة وامتد عمرائها حتى بلغت في أوائل القرن الرابع الهجرى ستة عشر ميلا وثلاثي ميل ، وبنى فيها خمسون ألف دار للعرب من ربيعة ومضر ، وأربع وعشرون ألف دار لسائر العرب ، وستة آلاف دار لليمن .

والتخطيط الذى وضع لبناء الكوفة ، يدل دلالة واضحة عن نظام هندسى راقى ، فضلا عن كونه يتلاءم مع طبيعة العرب ، فلم يحجب هواء

البادية عن أهلها الذين نشأوا في بادية الجزيرة العربية ، لكثرة الشوارع واتساعها ، فعاد إليهم نشاطهم واستردوا حيويتهم وقوتهم .

مدينة دمشق عاصمة الخلافة الأموية :

دمشق من المدن القديمة في بلاد الشام وهي مدينة الشام في الجاهلية والإسلام ، وليس لها نظير في جميع مدن الشام في كثرة أنهارها وعمارتها ، ونهرها الأعظم يقال له " بردا " وهي قلعة من قلاع العلم والحضارة يشهد بذلك تاريخها القديم وقد توالى على دمشق كثير من الحكام فاهتموا بها ، وجعلوا منها قبلة للعلماء ، حكمها الآراميون واليونانيون والرومان والبيزنطيون ، ودخلها المسلمون فاتحين في عصر الفاروق عمر سنة أربع عشرة هجرية حيث افتتحها أبو عبيدة الجراح من باب لها يقال له باب الجابية صلحا .

وكانت دمشق خلال العصر الأموي حاضرة الدولة الإسلامية ، حيث اتخذها الخلفاء الأمويون مقرا لهم بنى بها معاوية بن أبي سفيان دار الإمارة وكان بناء المسجد الأموي نقطة تحول في تاريخ المدينة ، إذ أصبحت واحدة من أهم المدن الإسلامية ويعد المسجد الأموي أهم الأثار الإسلامية بها . ويقول ابن جبير أن المسجد الأموي من أشهر جوامع الإسلام حسنا ، واتقان بناء ، وغرابة صنعة ، واحتفاظا بتنميق وتزيين ، وشهرته المعرفة في ذلك تعنى عن استغراق الوصف فيه " .

ويروى أن المسجد أصلا هو ما اختطه أبو عبيدة بن الجراح أحد قادة الفتح ، وكان قد دخل المدينة بعد فتحها صلحا سنة ١٤ هـ / ٦٣٤ م واستولى على

النصف الشرقي للكنيسة المسيحية بها وصيره مسجداً ، وهو جامع دمشق المعروف^(٧٣) وظل النصف الغربي بأيدي المسيحيين وفقاً لشروط الصلح .
 وفي رواية أخرى أن المسجد أقيم مكان معبد وثني قديم للإله جوبتر حوله الإمبراطور ثيودور سنة ٣٧٩م إلى كنيسة عرفت باسم كنيسة القديس يوحنا ، فبنى أبو عبيده بن الجراح المسجد الأول في دمشق ، فلما جاء الوليد بن عبد الملك أرسى مسجده مكان المعبد والجامع والكنيسة معا .
 ويرى علماء الآثار أن المسجد الأموي في دمشق بني كله دفعة واحدة ولم يدخل في بنائه الكنيسة أو المعبد ، كما لم يكن بناؤه استكمالاً لبناء سابق ، ذلك لأن الوليد بناه دفعة واحدة - وظل بنائه لمدة ثمانية أعوام ، وانفق عليه خراج الدولة الإسلامية سبع سنين .

والمسجد الأموي من المساجد الجامعة العظيمة في الإسلام ، وقد كان موضع عناية واهتمام الخلفاء والملوك والسلاطين والحكام فزادوا فيه ، وتحيل مكانه بارزة في تاريخ الحضارة الإسلامية ، فهو الذي جعل المدينة تتوق إليها الأنظار ، ويؤمها العلماء ورجال الدين ، وينفذ إليها طلاب العلم من كل مكان ، وظلت مدينة دمشق حاضرة الشام عاصمة للخلافة الإسلامية حتى انتهاء الدولة الأموية

مدينة واسط (٨٣-٨٦ هـ / ٧٠٢-٧٠٥ م)

كان الحجاج بن يوسف الثقفي قد رغب في بناء مدينة جديدة لتسهل عليه إدارة العراق ، بعد أن رأى صعوبة إدارة العراق من البصرة والكوفة ، حيث كان يقيم بالكوفة ستة أشهر وفي بغداد ستة أشهر فأرسل إلى الخليفة عبد الملك ابن مروان يستأذنه في عمارة مدينة تتوسط البصرة والكوفة والأهوار فأذن له

بذلك ، وذكر الطبري خمسة احداث سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م أن الحجاج شرع في بناء واسط في هذه السنة (١) .

أما عن اسم واسط فقد ذكر أبو المحاسن أنه في سنة ٧٨هـ/ ٦٩٧م فرغ الحجاج من بناء واسط ، وانما سميت بذلك لأنها تقع بين الكوفة والبصرة والأهوار ، بينها وبين الكوفة خمسون فرسخاً ، وبينها وبين البصرة خمسون فرسخاً ، وبين الأهوار خمسون فرسخاً .

ويمتاز موقع واسط بأنه في بقعة مرتفعة عن مستوي سطح النهر وأنه كثير الخيرات صحيح الهواء عذب الماء ، وكان أطباء الحجاج هم الذين أرشدوه الي هذا المكان المختار فاشتراه من صاحبه ، وكان مكان المدينة مغطاة بالقصب ولذا سميت "واسط القصب" .

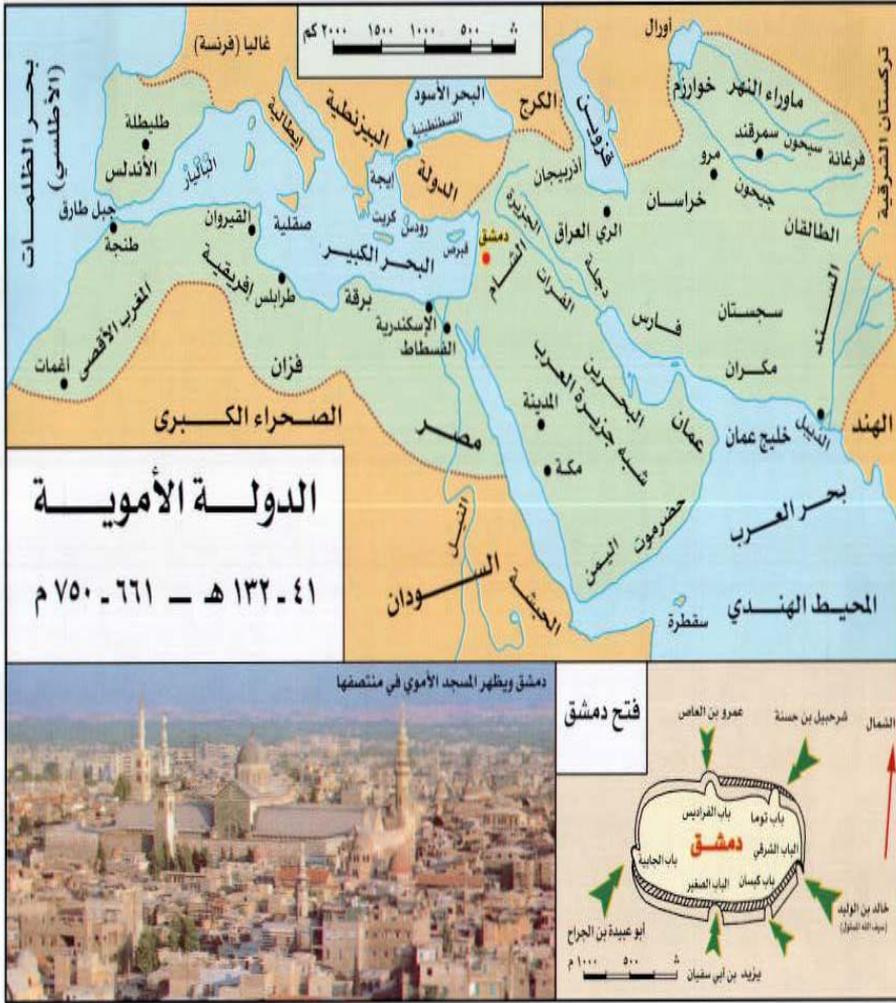
وكان نهر دجلة يقسم المكان الذي اختاره الحجاج لبناء واسط الي قسمين فجعل بينهما جسراً من السفن ، وبني الحجاج في الجانب القريب القصر والقبة الخضراء والمسجد الجامع وجعل عليهم سوراً .

وكان القصر يتوسط المدينة بحيث تؤدي إليه الشوارع الرئيسية الأربعة التي تفصل بين خطط الأهالي في المدينة ، و أفرد الحجاج الخطط لأصحاب المهن ، وخطط لأهل الشام والكوفة والبصرة ، وحصن الحجاج المدينة بسورين وخذق ، وأقام لها أبواب حديدية وأمر أن تغلق ليلاً ولا يسمح لغير أهلها بالمبيت فيها ، وتكلفت هذه المباني بالمدينة مقدار خراج العراق خمس سنوات ، وقدرت بثلاثة وأربعين مليون درهم أضافها الحجاج إلي نفقات الحروب حتي لا يتهمه عبد الملك بالإسراف .

(١) الطبري : تاريخه

أقبل أهل العراق علي استيطان واسط وبناء المنازل وشجعهم علي ذلك
خصب أرضها وانتشار البساتين بها ، كما أنها أصح هواءً من البصرة ، ولذا
كثر بها الفنادق ، وكان الحجاج يدقق في سكانها ولم يكن يدخلها أحد إلا
بإذنه ، حيث أسكنها الشاميين وبعض الأسر الأصليين ممن ترك بلاده ما وراء
النهر ، وبعض وجوه البصرة و الكوفة .

ظلت واسط مقراً للحكومة حتي بعد وفاة الحجاج وصارت أعظم المدن
الحرية في العالم الإسلامي واحتفظت بأهميتها الاستراتيجية طول عصر الخلافة .



خريطة توضح الدولة الأموية (١)

(١) شوقي أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامي ، ص ٤٧ .

قائمة المصادر والمراجع

• القرآن الكريم .

• الحديث الشريف

- سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت،
١٩٩٨ م .

• ابن الأثير : (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري)

ت ١٢٣٢/هـ ١٢٣٠ م

- الكامل في التاريخ ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار
الكتب العلمية،

بيروت ١٩٨٧ م .

- اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد

الرحمن، دار الكتب

العلمية، بيروت ٢٠٠٠ م .

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض، عادل

أحمد عبد

الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت ١٩٩٦ م .

• ابن الجوزي : (عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو

الفرج)

ت ٥٩٧/هـ ١٢٠٠ م

- المنتظم، دار صادر- بيروت ١٩٢٩ .

- ابن المعتز : (عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد) ت ٢٩٦هـ / ٩٠٨م - طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦.
- ابن حجر : (أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي) ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م - الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت ١٩٩١م.
- ابن حزم : (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م - الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث، القاهرة ١٩٨٣.
- - نقط العروس في تواريخ الخلفاء (ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، ج ٢، تحقيق إحسان عباس، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٧م.
- - جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١م.
- ابن خرداذبة : (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م - المسالك والممالك ، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩م.
- ابن خلدون : (عبد الرحمن بن خلدون) ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م .

- العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون،
تحقيق خليل شحادة ، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠ م .
- ابن خلكان : (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر
بن خلكان) ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢ م .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : تحقيق إحسان عباس، دار
صادر ، بيروت ١٩٩٤ م .
- ابن عبد البر : (الحافظ يوسف بن عبد البر النمرى)
ت ٤٦٤هـ / ١٠٧١ م
- الإستيعاب فى معرفة الأصحاب، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٦ .
- الدرر فى اختصار المغازى والسير، تحقيق: شوقى ضيف، دار
المعارف، ط٣، القاهرة ١٩٨٢ م .
- ابن عبد الحكم : (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن
أعين القرشى المصرى) ت ٢٨٧هـ / ٩٠٠ م .
- فتوح مصر، مكتبة مدبولى، ط٢، القاهرة ١٩٩٩ .
- ابن عبد ربه : (أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى) ت
٣٢٨هـ / ٩٣٩ م
- العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية،
بيروت ١٩٨٣ .
- ابن عساكر : (الامام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن
هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر) ت ٥٧١ هـ /
١١٧٥ م

- تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت ١٩٩٨ م.

- مختصر تاريخ دمشق، تحقيق إبراهيم صالح، دار الفكر، دمشق ١٩٨٧ م.

- ابن قتيبة الدينوري : (أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري) (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)

- الإمامة والسياسة، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧ م.

- الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ط٢، القاهرة ١٩٥٨.

ابن كثير : (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي) ت ٧٧٤هـ / ٣٧٢م

- البداية والنهاية، مكتبة الصفا، القاهرة ٢٠٠٣ م.

- تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، القاهرة ١٩٩٩ م.

• ابن منظور : (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) ت ٧١١هـ / ٣١١م

- لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٨٨٢.

• ابن هشام : (أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري) ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م

- السيرة النبوية، تقديم وتعليق : طه عبد الرؤف سعد، دار الجيل، ط٢، بيروت ١٩٧٥ م .
- أبو الفداء : (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر) ت ١٣٣١/هـ ٧٣٢ م
- تقويم البلدان، إعتنى بتصحيحه وطبعه رينود البارون، ماك توكين، صادر، بيروت (د . ت) .
- أبو الفرج الأصفهاني : (أبو الفرج علي بن حسين القرشي الأموي) ت ٣٥٧/هـ ٩٦٧ م
- الأغاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر، ط٢، بيروت (د . ت) .
- أبو عبيد : (القاسم بن سلام بن مسكين بن زيد الأزدي) ت ٢٢٤/هـ ٨٣٨ م
- الأموال، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٩ م .
- نسب قریش، تعليق : ليفى بروفنسال، دار المعارف، ط٣، القاهرة ١٩٥٣ م .
- أبو يعلى : (القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء) ت ٤٥٨/هـ ١٠٦٥ م
- الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت

. ٢٠٠٠ م.

• الإدريسي : (أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) ت
١١٥٤/هـ / ١٨٤٨ م

- نزهة المشتاق فى إختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت)

• الألوسى : (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى)
ت ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣ م

- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربى،
بيروت لبنان، (د.ت) .

• الحميدى : (أبو عبد الله بن محمد بن نصر الأزدي)
ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥ م .

- جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، ط٢،
القاهرة ٢٠٠٨ م .

• الحميرى : (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) ت ٧١٠م / ١٣١٠ م
- الروض المعطار، تحقيق إحسان عباس، دار السراج، مؤسسة
ناصر للثقافة، ط٢، بيروت ١٩٨٠ م .

- الحميرى صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب الروض
المعطار فى خبر

الأقطار) تحقيق ليفى بروفنسال، دار الجيل، ط٢،
بيروت ١٩٨٨ م .

• الذهبي: (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان)

ت ١٣٧٤هـ/١٧٤٨م

- العبر في خبر من غير، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بسيوني،

دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٥.

- تذكرة الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية،

بيروت، لبنان ١٩٩٨م.

- تهذيب سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة

الرسالة بيروت

١٩٨١م.

الرازي: (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر) ت حوالي سنة

١٢٦٦هـ/١٢٦٨م

- مختار الصحاح، مكتبة لبنان، لبنان ١٩٨٩م.

• الزبيدي: (أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيدي)

ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م

• الزمخشري: (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد) ت

١١٤٣هـ/٥٣٨م

- أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت

١٩٩٨.

• الزهري: (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر) توفي أواسط القرن

السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي

- كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د . ت).

• السرخسى : (شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل)
ت ١٠٩٦/هـ / ١٠٩٦ م

- المبسوط، تحقيق خليل محي الدين، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠ م

• السمعاني : (الإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي)
(ت ١١٦٦/هـ / ١١٦٦ م)

- الأنساب، تعليق: عبد الله بن عمر البارودي ، دار الجنان، بيروت ١٩٨٨ .

• السيوطي : (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد الخضير)
(ت ٩١١/هـ / ١٥٠٥ م)

- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٢ .

- الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥ م .

• الشهرستاني : (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم)
ت ١١٥٣/هـ / ١١٥٣ م

- الملل والنحل، تحقيق محمد محمد فريد، المكتبة التوفيقية، القاهرة (د . ت) .

• الشوكاني : (محمد بن علي بن محمد) (١٢٥٠/هـ / ١٨٣٤ م)

- فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير،
مراجعة يوسف الغوش، دار المعرفة، ط ٤، بيروت ٢٠٠٧ م.
- الشيباني : (محمد بن الحسن) ت ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م
- السير الكبير، تحقيق أبو عبد الله حسن محمد حسن، دار الكتب
العلمية،
بيروت - لبنان ١٩٩٧ م.
- صاحب بن عباد : (أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس)
(ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م)
- المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة
المعارف، بغداد ١٩٧٥ م .
- الصفدي : (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤ هـ / ٣٦٢ م
- الوافي بالوفيات تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار
إحياء التراث، بيروت ٢٠٠٠ م.
- الضبي : (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة بن يحيى)
ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م
- بغية الملتبس، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري،
القاهرة ١٩٨٩ م .
- الطبري : (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م .
- تاريخ الأمم والملوك (المعروف بتاريخ الطبري)، دار الكتب
العلمية، بيروت ١٩٨٦ م .

- جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، القاهرة ٢٠٠٠م.
- الفيروز آبادي : (مجد الدين محمد بن يعقوب) ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م
- القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، القاهرة ١٨٨٣.
- الفيومي (أحمد بن محمد بن علي المقرئ) ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م
- المصباح المنير : مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٨٧م .
- القرطبي : (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر)
ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م
- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وأي الفرقان، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة ١٩٦٤م .
- الفزويني : (زكريا بن محمد بن محمود) ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م
- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت ١٩٦٠م .
- الفلقشندی : (أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م
- نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، ط٢، بيروت ١٩٨٠م .
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، ط٢، القاهرة ١٩٨٢م .
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق ١٩٨٧م .

- **الموردى : (أبو الحسن على بن محمد) ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م**
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق د أحمد مبارك
البغدادى، دار ابن قتيبة، الكويت ١٩٨٩م .
- الحاوي في فقه الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤م .
- **المسعودى : (أبو الحسن على بن الحسين بن على)**
ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م
- مروج الذهب، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط
٥،
بيروت ١٩٧٣ .
- **المقدسى : (شمس الدين أبو عبد الله محمد) ت ٣٨٨هـ - ٩٩٧م**
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق: غازي طليمات، وزارة
الثقافة،
دمشق ١٩٨٠ .
- **المقدسى : (المطهر بن طاهر) ت ٥٠٧هـ / ١١١٣م**
- البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د . ت).
- **ياقوت الحموى : (شهاب الدين أبو عبد الله) ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م**
- معجم البلدان ، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م .
- اليقوبى : (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح) ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م**
البلدان ، مطبعة ليدن ١٨٩١م .

المراجع العربية

- إبراهيم القلا :
- تاريخ مصر الإسلامية وجوانب من حضارتها منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ - ٥٦٧هـ / ٦٤٠ - ١١٧١م دار العلم والإيمان، القاهرة ٢٠٠١م.
- نظم الحضارة العربية الإسلامية، دار العلم والإيمان، القاهرة ٢٠٠٧م .
- إبراهيم بن محمد بن حسين العلي : صحيح السيرة النبوية ، دار النفائس للنشر والتوزيع، لأردن ١٩٩٩ م .
- أحمد سعد العث: حروب الردة" دراسة تحليلية"، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠١٥م .
- أحمد غلوش: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٣م.
- أكرم بن ضياء العمري : السيرة النبوية الصحيحة، ط٦، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٩٤م .
- عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، مكتبة العبيكان - الرياض ٢٠٠٩ م .
- جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار الساقى، بيروت ٢٠٠١م.

- الأمام الأعظم ، العراق ٢٠٠٧م .
- خير الدين الزركلي : الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥ ، بيروت ٢٠٠٢م .
- حسن إبراهيم حسن:
- سيرة عمرو بن العاص ، دار ابن خلدون ، ط ٢ ، الإسكندرية ١٩٢٤م .
- خير الدين الزركلي :
- الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥ ، بيروت ٢٠٠٢م .
- سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: أطلس حروب الردة في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ط ٢ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ٢٠١٥م .
- سليمان الندوي الحسيني : سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، تحقيق :محمد حافظ الندوي، دار القلم ٢٠٠٣م .
- الصَّالِبِيُّ :
- الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتدعيات الإنهيار، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٠ .
- عمر بن عبد العزيز، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٦م .
- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار الدعوة، الإسكندرية ٢٠٠٨م
- عبد اللطيف عامر:

- أحكام الأسرى والسبايا فى الشريعة الإسلامية، دار الكتب الإسلامية، القاهرة ١٩٨٦م .
- محمد أبو زهرة: خاتم النبيين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٤٢٥ هـ صفي الرحمن المباركفوري:
- الرحيق المختوم، دار ابن خلدون ،الإسكندرية، (د ت)
- محمد حميد الله:
- مجموعة الوثائق السياسية فى العصر النبوى والخلافة الراشدة، ط٦، دار النفائس بيروت ١٩٨٧ .
- محمد خير هيكل:
- الجهاد والقتال فى السياسة الشرعية، ط ٢، دار البيارق، لبنان بيروت ١٩٩٦م .
- محمد رواس قلعه جي، حامد صادق قنبيبي:
- معجم لغة الفقهاء : دار النفائس، ط ٢، بيروت ١٩٩٨م .
- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية ، دار النفائس ، بيروت ٢٠٠٣م .
- محمود شيت خطاب : الرسول القائد، ط٦، دار الفكر - بيروت ١٤٢٢ هـ .
- محمد صبحى حسن:
- الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، مكتبة الجيل الجديد، اليمن ٢٠٠٧ .
- مصطفى عبد الكريم:

- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة،
بيروت ١٩٩٦

المراجع العربية

- ألفرد ج ؛ بتلر :
- فتح العرب لمصر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ، المركز
العربي للنشر والتوزيع ، ط٢ ، القاهرة (د . ت) .
- فلهاوزن يوليوس :
- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية،
ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريده ، القاهرة ١٩٥٨م.
- كي لسترنج :
- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة : بشير فرامسيس – كوركيس عواد
، مؤسسة الرسالة، ط٢ ، بيروت ١٩٨٥ م .
- ول ديورانت :
- قصة الحضارة، ترجمة : زكي نجيب ، مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م .

الدوريات العلمية .

- عبد الله بن سليمان المنيع :

- تحويل الموازين والمكاييل الشرعية الى المقادير المعاصرة، مجلة البحوث الإسلامية، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، العدد التاسع والخمسون الرياض، ٢٠٠٠م، ص ١٨٤ .
- الموسوعة الفقهية الكويتية
- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، مطابع دار الصفاة، القاهرة ١٩٨٣ .

مواقع الإنترنت

<https://2u.pw/PcdqZ> .

- <https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=106493>

<https://www.alsiraj.net/sira/html/page00.html>

نزار محمود قاسم : الأطلس الجغرافي الإلكتروني لسرايا النبي ﷺ متاح علي الإنترنت :
[http://www.islamsyria.com/portal/uploads/CMS/maktabah/hgh:gshg\[yvhtd.pdf](http://www.islamsyria.com/portal/uploads/CMS/maktabah/hgh:gshg[yvhtd.pdf)

نزار محمود قاسم : الأطلس الجغرافي الإلكتروني لسرايا النبي ﷺ
متاح علي الإنترنت :

[http://www.islamsyria.com/portal/uploads/CMS/maktabah/hgh:gshg\[yvhtd.pdf](http://www.islamsyria.com/portal/uploads/CMS/maktabah/hgh:gshg[yvhtd.pdf)

الفهرس

الصفحة	الموضوع
	<p style="text-align: center;"><u>تمهيد</u></p> <p style="text-align: center;"><u>الفصل الأول</u></p> <p style="text-align: center;"><u>الحياة العرب قبل الإسلام</u></p> <p style="text-align: center;">١- الحياة السياسية</p> <p style="text-align: center;">٢- الحياة الإقتصادية</p> <p style="text-align: center;">٣- الحياة الدينية عند العرب.</p> <p style="text-align: center;">٤- الحياة الاجتماعية.</p> <p style="text-align: center;">٥- علوم ومعارف العرب قبل الإسلام</p> <p style="text-align: center;"><u>الفصل الثاني</u></p> <p style="text-align: center;"><u>البعثة النبوية وحياة الرسول ﷺ في مكة</u></p> <p style="text-align: center;">١- محمد ﷺ قبل البعثة</p> <p style="text-align: center;">٢- ٢- البعثة النبوية</p> <p style="text-align: center;">٣- قيام الدولة العربية الإسلامية في المدينة.</p> <p style="text-align: center;"><u>الفصل الثالث : الصراع بين مكة والمدينة</u></p> <p style="text-align: center;">● غزوة بدر سنة ٢هـ..</p> <p style="text-align: center;">● غزوة أُحُد سنة ٣هـ..</p> <p style="text-align: center;">● غزوة الأحزاب (الحنديق) ٥هـ.</p> <p style="text-align: center;">● صلح الحديبية إلى حجة الوداع</p>

الصفحة	الموضوع
	<p style="text-align: center;"><u>الفصل الرابع</u></p> <p style="text-align: center;"><u>عصر الخلفاء الراشدين (١١-٤٠ هـ / ٦٣٢-٦٦١ م)</u></p> <p style="text-align: center;">١- الخليفة أبو بكر الصديق .</p> <p style="text-align: center;">٢- الخليفة عمر بن الخطاب .</p> <p style="text-align: center;">٣- الخليفة عثمان بن عفان</p> <p style="text-align: center;">٤- الخليفة علي بن أبي طالب</p> <p style="text-align: center;"><u>الفصل الخامس : عصر الخلفاء الأمويين</u></p> <p style="text-align: center;"><u>(٤١-١٣٢ / ٦٦١-٦٨٠ م)</u></p> <p style="text-align: center;">خلفاء الدولة الأموية</p> <p style="text-align: center;">المدن العربية الإسلامية ..</p> <p style="text-align: center;">المصادر والمراجع ..</p>